المناهج الدعوية للأنبياء

من خلال سورة هود

الشيخ الدكتور/ حسين محمد عامر



www.alrashedoon.com

الولايات المتحدة الأمريكية

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

عمادة الدراسات العليا

كلية/ الدراسات الإسلامية

قسم /الدعوة والثقافة الإسلامية

"المناهج الدعوية للأنبياء من خلال سورة هود "

(قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة "الدكتوراه"

في الدراسات الإسلامية / تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية)

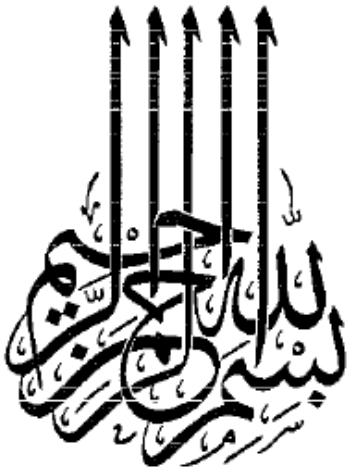
إعداد الطالب

حسين محمد أمين عامر

إشراف

الدكتور / محمد سيد مكي

العام الجامعي 1445هـ/2023


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

أهدي هذه الرسالة لوالدي -رحمه الله-

ولوالدتي بارك الله في عمرها، عرفانا بالجميل،

ولزوجتي العزيزة؛ التي كانت وما زالت خير عون لي،

ولأولادي؛ أسأل الله أن يبارك فيهم جميعا،

ولمشايخي، وأساتذتي الذين دعموني خلال مسيرتي العلمية، وشجعوني لإتمام هذا العمل؛ فجزاهم الله عني خيرا

الباحث

حسين عامر

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل أولاً إلى الله -تبارك وتعالى- ذي المنة والفضل، الذي أعانني على كتابة هذا البحث، وأشكر من بعده كل من أعانني على إتمامه وأخصُّ مشرف البحث:

الدكتور (محمد سيد مكي)

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر والثناء إلى أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا عناء قراءة هذه الرسالة راجياً أن يكون لتصويباتهم الدقيقة، وملاحظاتهم العلمية الأثر الكبير في إخراج هذه الرسالة بالصورة المرضية.

ملخص الرسالة

يهدف هذا البحث إلى استنباط المناهج الدعوية لعدد من الأنبياء من خلال سورة هود، والتي احتوت على قصص كوكبة مباركة من الأنبياء وهم أنبياء الله: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وخاتمهم محمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-)

هؤلاء السبعة الكرام كانت لهم أساليب عدة في دعوة أقوامهم، ما بين الاعتماد على العاطفة: بإظهار الود واللين لقومهم، والترغيب والترهيب، والتذكير بنعم الله عليهم، وأنه لا يقبل منهم أن يتمتعوا بالنعم ويكفروا بالمنعم -جل وعلا-، وهو ما يعرف عند علماء الدعوة بالمنهج العاطفي.

ومنها ما يعتمد على إعمال العقل: بالاستفهام لتحفيز العقول للتفكير الصحيح، وعدم البقاء تحت أسر تقليد الآباء، والجمود على العادات والتقاليد وإن كانت باطلة، وكذلك الجدال لإظهار الحق الذي جاء به أي نبي من أنبياء الله -عليهم السلام-، ورد الشبهات التي يرددها المتكبرون، والمعاندون خاصة من الملأ الذين يرون أن الرسل قد جاؤوا لإزالة الباطل الذي ينتفعون ببقائه، والحوار الذي يعتمد على الوضوح والسلاسة في البيان، وانتقاء الألفاظ، والقوة في إظهار الحق، وهذا ما يعرف عند علماء الدعوة بالمنهج العقلي.

ومنها ما يعتمد على الحس والإدراك، كالمعجزات والآيات البينات التي يظهرها الله على يد نبي من أنبيائه، أو الحث على الاعتبار بالسابقين، أو تطبيق الرسول للمنهج الذي جاء به، ليكون قدوة لقومه، أو من خلال تغيير المنكر باليد، ليرى الجميع كيف يكون إزالة المنكرات التي تسخط الله، وهذا ما يعرف عند علماء الدعوة بالمنهج الحسي.

إن طريق الدعوة طريق شاق وصعب يحتاج أولا للاستعانة بالله، وصدق اللجوء إليه دائما، ثم الصبر وسعة الصدر، والحكمة في التعامل مع المدعوين، والتحلي بالحلم والأناة، وعلو الهمة في الدعوة إلى الله.

أسأل الله أن يديم علينا نعمة الإسلام، وأن يشرفنا بالدعوة إلى الله حتى يقبضنا إليه غير مفرطين ولا مضيعين، اللهم آمين.

Summary of the thesis

This research aims at extracting the preaching approaches of many prophets by examining Surah Hud, which contains stories of a blessed group of prophets who are the prophets of Allah: Noah, Hud Saleh, Lot, Shu'aib, Musa, and the seal of prophets, Muhammad - peace and blessings be upon them all -.

These seven honorable prophets had several approaches in preaching to their people, ranging from relying on emotion by showing kindness and gentleness to their people, using persuasion and admonition, reminding them of Allah's blessings upon them, and making it clear that it is not acceptable for them to enjoy these blessings while disbelieving in the Bestower of the blessings - Allah. This approach is known among scholars of da'wah (calling to Islam) as the emotional approach.

Some prophets relied on intellectual engagement, using questioning to stimulate rational thinking and to abide by the traditions of their forefathers if they were erroneous, and engaging in debates to clarify the truth brought by a Prophet and to refute the doubts raised by the arrogant and disobedient, especially among the elites who believed messengers came to demolish the falsehood from which they benefited, and they also used dialogue that relies on clarity and simplicity in expression, careful selection of words, and strength in presenting the truth. This is known

among scholars of da'wah (calling to Islam) as the intellectual approach.

Additionally, some prophets relied on sensory and perceptual elements, such as miracles and clear signs that Allah revealed through one of His prophets, or by urging to consider past nations, or by the prophets applying the teachings they are calling for to act as role models for their people, or by directly changing evil with their hands to demonstrate how to sin that anger Allah should be eliminated. This is known among scholars of da'wah (calling to Islam) as the sensory approach.

The path of da'wah (calling to Islam) is a challenging and difficult journey that first requires reliance on Allah, sincere and continuous seeking for His help, patience, wisdom in dealing with those who are being called, and embodying clemency and gentleness, as well as having a high determination in calling to Allah.

I ask Allah to maintain the blessing of Islam and to honor us with being called to Allah until He takes us to Him without us being excessive or wasteful. Amen.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بجلال الله، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، حمدًا دائما لا ينقطع إلى يوم الدين، وصل اللهم وسلم وبارك على صفوة النبيين، وخيرة المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد/

إن القرآن كتاب الله – عز وجل – المنزل على قلب الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وهو كتاب يحتوي على العديد من الموضوعات المختلفة منها العقيدة والتشريع، والأخلاق، والقصص.

إن القصص القرآني جزء أساسي في القرآن الكريم، وقد اشتمل على جزء كبير من هذا الكتاب العظيم، وعندنا عدد كبير من أسماء سور القرآن سميت بقصة فيها، كسور (البقرة، آل عمران، المائدة، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، الكهف، النمل)، ومنها سور لم تسم بقصة فيها، ولكن مضمونها مضمون قصصي، كسور (الأعراف، طه، الشعراء، المؤمنون، الفرقان، العنكبوت، ق، الذاريات، القمر، الشمس، النازعات) كلها سور قصصية.

والقصص القرآني فيه خلاصة التاريخ الإنساني، من بدء خلق آدم إلى نزول القرآن، ولذلك جاء ثلث القرآن تقريبا قصصًا، وهذا يدل على أهمية القصص.

إن من أعظم خصائص هذا الدين حيويته، وحيوية هذا الدين أكثر ما تتمثل في الدعوة، وأفضل وأصدق قدوة للدعاة هم الأنبياء الكرام-عليهم السلام-، ولذلك ينبغي علينا مدارسة قصص القرآن لنستخرج منها ركائز الدعوة وأساليبها ووسائلها، فيستفيد الدعاة من الأساليب الناجحة في تعامل الأنبياء مع أقوامهم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ **[يوسف: 111]**

وما أجمل أن يتلمس الدعاة في عصرنا الحاضر السير على خطى الأنبياء، والتخلق بأخلاقهم، والاقتداء بهم في الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، من خلال المنهج القرآني في عرض قصصهم، وأحوالهم مع أقوامهم؛ من خلال دراستي لأحد سور القرآن (سورة هود) والتي جعلت عنوانها:

"المناهج الدعوية للأنبياء من خلال سورة هود"

والله الموفق والمستعان

****

أولا/ أهمية البحث:

1- تعلقه بأشرف الكتب وأجلها كتاب الله -عز وجل – الذي لا تنقضي عجائبه.
2- إبراز المناهج الدعوية للأنبياء مع أقوامهم من خلال سورة مباركة من سور القرآن؛ وهي سورة هود.

3- اشتملت سورة هود على قصص كوكبة مباركة من الأنبياء– عليهم السلام-، وأوضحت أفضل الأساليب في الدعوة إلى دين الله وأحسنها، لذلك فهي تعتبر معلمًا بارزًا للعاملين في حقل الدعوة، تنير لهم الطريق.

4- تحقيق القدوة في الأنبياء– عليهم السلام-، وإبراز جهادهم في سبيل تبليغ كلمة الله إلى أممهم، وصبرهم على أذى قومهم، وعنتهم، ليكون في اتباع منهجهم نبراسا للدعاة إلى الله يقتدون به في دعوتهم.

5- استنهاض الهمم، وحث الدعاة إلى الله الغيورين على الدين أن يضاعفوا جهدهم في تبليغ دعوة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيا/ أهداف البحث:

1- تذكير الدعاة بالمصدر الأول والأساس في عزة المسلمين؛ وهو القرآن الكريم، فهو النبع الصافي الذي نستلهم منه الصراط المستقيم .
2- بيان المناهج الدعوية التي سلكها الأنبياء- عليهم السلام- مع أقوامهم لتقريب كيفية تطبيقها في واقعنا المعاصر، لتكون تبصرة للدعاة في كل زمان ومكان.

3- اشتمال السورة على ركائز مهمة في الدعوة، وبيان للأخلاق التي ينبغي أن يكون عليها الدعاة إلى الله.
4- تعلم فن الحوار والمجادلة لإبراز الحق، وإقامة الحجة على المخالفين.
5- فهم سنن الله –تعالى- في الكون، وطبيعة الصراع بين الحق والباطل.

ثالثا / مشكلة البحث:

يجيب البحث عن أسئلة مهمة في الموضوع هي:

- ما المناهج الدعوية التي سلكها الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم بسورة هود؟
- كيفية تأصيل تلك المناهج وفقا لقصص الأنبياء الوارد ذكرهم بسورة هود؟
- كيف يمكن للدعاة إلى الله تطبيق المناهج الدعوية مع تنوع المدعوين، واختلاف أفهامهم، وثقافاتهم، ومجتمعاتهم؟

رابعا / حدود البحث:

- نوعية البحث: دراسة دعوية.
- موضع البحث: سورة هود-عليه السلام-

خامسا / فروض البحث:

- يمكن التوصل من خلال تدبر سورة هود إلى عدد من المناهج الدعوية المختلفة.
- يمكن تطبيق تلك المناهج الدعوية في واقعنا المعاصر.
- توجد علاقة بين المناهج والأساليب الدعوية وواقعنا المعاصر.

سادسا/ صعوبات البحث:

1- عدم التفرغ الكامل للبحث، وكثرة الانشغال ما بين عملي الدعوي من جانب، والتزامات الأسرة، والاهتمام ببعض شئون الجالية بكندا من جوانب أخرى.

2- قلة المراجع في تناول قصص القرآن من خلال المناهج الدعوية وتطبيقاتها عند الأنبياء، وتركيز كثير من الباحثين على الوسائل والأساليب فقط.

سابعا/ الدراسات السابقة:

هذه الدراسات السابقة التي تمكنت من جمعها في موضوع الدراسة (في حدود علمي واستطاعتي وما توافر لدي من مراجع)

1- **(التناسق الموضوعي في سورة هود)** رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث ياسر بن عبد الله بن محمد بازيد لجامعة أم القرى بالسعودية كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام 1435هـ /2015 م، وقد اهتم الباحث بإبراز التناسق الموضوعي لسورة هود؛ ردا على المستشرقين ومن تابعهم من المتشككين في مصدر القرآن، ومن أوصى منهم بإعادة ترتيب آياته تسهيلا لقراءته على حد زعمهم.

2- **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والعشرين من القرآن الكريم سورة هود الآيات: (1:83)** رسالة ماجستير مقدمة من الباحث سعيد طه خضر للجامعة الإسلامية بغزة كلية أصول الدين قسم التفسير عام 1435هـ /2014 م، وقد اهتم الباحث ببيان الموضوعات الأساسية للحزب الثالث والعشرون من القرآن الكريم من سورة هود، وإظهار مقاصدها العامة، وأهدافها التي تهدف لترسيخها في المجتمع الإسلامي.

3- **(آيات العقيدة في سورة هود)** رسالة ماجستير مقدمة من الباحث حيدر غالب محمد العنبكي، مقدمة للجامعة الإسلامية ببغداد كلية أصول الدين، قسم العقيدة، عام 1431هـ /2010 م، وقد ركز الباحث في رسالته على جوانب العقيدة في السورة (الإلهيات، النبوات، السمعيات)

4- **(القصص القرآني في سورة هود دراسة موضوعية)** رسالة ماجستير مقدمة من الباحث محمد هندي سليمان لكلية الإمام الأعظم ببغداد؛ قسم أصول الدين تخصص تفسير، عام1431هـ /2010 م، وقد اهتم الباحث بالسرد التاريخي لقصص الأنبياء المذكورين بسورة هود، وجاءت الرسالة خالية من الحديث عن مناهج ووسائل وأساليب الدعوة.

5- **(المضامين التربوية في قصص الأنبياء في سورة هود)** رسالة ماجستير مقدمة من الباحث سليمان بن أحمد بن سليمان المشعلي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التربية في كلية العلوم الاجتماعية، عام 1431هـ / 2010م، وقد اهتم الباحث بإبراز الجوانب التربوية في قصص الأنبياء بدراسة الأهداف، والأسس، والقيم، والأساليب التربوية التي تضمنتها الآيات.

6- **(الدعوة إلى الله في سورة هود)** رسالة دكتوراة مقدمة من الباحث عبد الرحمن بن راجي، مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية الدعوة وأصول الدين عام 1413هـ /1992 م، شعبة الدعوة، وقد جاءت الرسالة في مجلدين؛ عنى الباحث فيها بسرد مواقف الرسل مع أقوامهم، وأوجه الاتفاق والشبه في دعوة الرسل، وفي المدعوين من أقوامهم، ثم ختمها ببيان سنة الله -تبارك وتعالى- التي لا تتبدل ولا تتغير أن العاقبة للمتقين، ومما

يلاحظ على الباحث تركيزه على التفسير التحليلي للآيات، ونقل أقوال الأئمة في التفسير، والترجيح بينها، وأطال النفس في السرد التاريخي لقصص الأنبياء، ولم يتعرض لمناهج، أو طرق وأساليب الدعوة.

****

وبعد استعراض الدراسات السابقة أرى أنها لا تتعارض مع موضوع البحث الذي أطرحه؛ لأن الموضوع يتناول المناهج الدعوية عند الأنبياء في سورة هود، وهذا ما لم يتم في أي من الدراسات السابقة.

ثامنا/ المناهج المستخدمة في البحث:

اتبعت في دراستي:

1- المنهج الوثائقي؛ وذلك برجوعي إلى كتب التفسير، والنظر في تفسير ومعاني آيات سورة هود.

2- المنهج التحليلي الذي أقوم من خلاله بدراسة سورة هود لاستخراج، مناهج الدعوة التي سلكها الأنبياء الوارد ذكرهم بالسورة في دعوتهم لقومهم.

3- المنهج الاستنباطي (الاستدلالي) لربط الأساليب بالمناهج الدعوية (العاطفي والعقلي والحسي).

وبهذه المناهج المتنوعة أكون قد استخدمت في هذا البحث المنهج التكاملي الذي يقوم على الربط بين الموضوعات المتنوعة أو المختلفة، وتنسيقها في شكل مترابط.

تاسعا/ عملي في البحث:

1- قمت برسم الآيات القرآنية الكريمة بالرسم العثماني، ثم عزوها إلى مواضعها في المصحف الشريف، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

2- جمع الآيات الخاصة بالمناهج الدعوية عند الأنبياء بسورة هود، مع التعرض لمثيلاتها في القرآن الكريم.

3- الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة لعلمائنا الأوائل وكذلك المعاصرين في تفسير الآيات الكريمة.

4- تخريج الأحاديث التي ذكرت في الرسالة، والحكم عليها إذا لم ترد في الصحيحين من مظان ذلك في كتب الحكم على الأحاديث.

5- إذا اقتبست نصًّا من مصدر، أو من عدد من المصادر، وعبرت عنها بأسلوبي الخاص، أو تصرفت فيه حسب السياق، فإني سأشير إلى ذلك في الحاشية، بعبارة: (ينظر)

6- إذا كان النص المقتبس أقل من 40 كلمة أقوم بكتابته بين علامتي التنصيص هكذا "---" وإذا زاد النص المقتبس عن ذلك أقوم بكتابته بين قوسين هكذا (---) مع الإشارة للمرجع وتفاصيله في الهامش.

7- بالنسبة لتوثيق المراجع اتبعت فيها: ذكر اسم المرجع، ثم المؤلف، ثم الجزء، والصفحة، ثم المحقق -إن وجد-، ثم دار النشر، ورقم الطبعة، وبلد النشر، وسنة النشر.

8- اكتفيت بتعريف الأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم بالرسالة، ولم أقم بتعريف الأعلام المشهورين من الأنبياء والصحابة والتابعين.

9- عملت فهارس للآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، والأعلام الأجلاء المترجم لهم في نهاية البحث.

عاشرا / خطة البحث:

يحتوي البحث على: مقدمة، وتمهيد، وسبعة أبواب، وخاتمة.

- **المقدمة:** وتتضمن الحديث عن: أهمية البحث، أهداف البحث، مشكلة البحث، حدود البحث، فروض البحث، صعوبات البحث، الدراسات السابقة، المناهج المستخدمة في البحث، عملي في البحث، بيان خطة البحث.
- **الفصل التمهيدي: وفيه خمسة مباحث:**
- **المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: تعريف مصطلح "الدعوة" لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف مصطلح "المناهج" لغة واصطلاحا.

- **المبحث الثاني: التعريف بالسورة وفضلها وآياتها ووقت نزولها.**
- **وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: التعريف بالسورة.

المطلب الثاني: ما ورد في فضلها.

المطلب الثالث: ترتيبها في النزول.

- **المبحث الثالث: استعراض السورة وقضاياها الرئيسة.**
- **المبحث الرابع: بيان أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود، والحكمة من تكرار القصص في القرآن.**
- **وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود.

المطلب الثاني: الحكمة من تكرار القصص في القرآن.

- **المبحث الخامس: تعريف موجزٌ برسل الله-عليهم السلام- الواردين في السورة ودعواتهم المباركة.**
- **الباب الأول: المناهج الدعوية في رسالة نوح -عليه السلام-**

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة نوح-عليه السلام-.**

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ستة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف معنى الرفق.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يا بني).

المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.

المبحث الثاني/ الترغيب: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب.

المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق.

المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار.

المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة.

- **المبحث الثالث/ الترهيب: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب.

المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله.

المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك.

- **المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله: وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله.

المطلب الثاني: نعمة الخلق أطوارا.

المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوطة، والسبل الفجاج.

المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة.

- **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة نوح-عليه السلام-.**

ويتكون من ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ الاستفهام: وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف الاستفهام.

المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم.

المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون لله وقارا.

المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات، والأرض والشمس، والقمر.

- **المبحث الثاني/ الجدال: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف الجدال.

المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين.

المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم، واتهامه بالكذب.

- **المبحث الثالث/ الحوار: وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف الحوار.

المطلب الثاني: حواره مع قومه.

المطلب الثالث: حواره مع ولده.

المطلب الرابع: حواره مع رب العالمين.

- **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة نوح-عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: تعريف الاستغفار لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار.

- **المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية.**

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور.

المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض.

المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر.

المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور.

المطلب الخامس: آية بسط الأرض.

المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون)، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة.

المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه.

المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين.

المطلب الرابع: وفار التنور.

المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال.

- **الباب الثاني: المناهج الدعوية في رسالة هود -عليه السلام-**

وفيه ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة هود-عليه السلام-.**

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

- **المبحث الثاني/ الترغيب، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار.

- **المبحث الثالث/ الترهيب، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم.

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم.

- **المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح.

المطلب الثاني: التذكير بأن الله أمدهم بأنعام، وبنين، وجنات، وعيون.

- **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة هود-عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ الاستفهام: وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لآبائهم.

المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم، وأنه لا يريد لهم إلا الخير.

المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء يبنونه.

- **المبحث الثاني/ الجدال، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب.

المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل.

المطلب الثالث: شبهة أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة.

المطلب الرابع: شبهة أن رسولهم بشر وليس من الملائكة.

- **المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

- **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة هود-عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: تعريف الاعتبار.

المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين

- **المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف والطغيان.**

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العبث في البناء رغبة في التفاخر.

المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا.

المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم.

- **المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟ ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام-

- **الباب الثالث: المناهج الدعوية في رسالة صالح -عليه السلام-**

وفيه ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة صالح-عليه السلام-.**

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.**
- **المبحث الثاني / الترغيب: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار.

- **المبحث الثالث/ الترهيب: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء.

المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة.

- **المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد.

المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد.

المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض.

المطلب الرابع: نعمة الأمن والإمداد بالماء العذب والزروع والثمار المنوعة.

- **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة صالح-عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ الاستفهام، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تمتعهم بالنعم وكفرهم بالله.

المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله.

- **المبحث الثاني/ الجدال، وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين.

المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كذاب أشر.

المطلب الرابع: التشاؤم من نبيهم صالح-عليه السلام-.

المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم.

- **المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

- **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة صالح-عليه السلام-.**

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول/ معجزة الناقة.**
- **المبحث الثاني/ الاعتبار بالسابقين.**
- **الباب الرابع: المناهج الدعوية في رسالة لوط -عليه السلام-**

وفيه ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة لوط -عليه السلام-.**

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم).

المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط).

المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي).

- **المبحث الثاني/ الترغيب، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم.

المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟

المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره من الأنبياء: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ ؟

- **المبحث الثالث/ الترهيب.**
- **المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.**

- **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة لوط -عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ الاستفهام، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه.

- **المبحث الثاني/ الجدال، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: "إنهم أناس يتطهرون".

المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء.

- **المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

- **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة لوط -عليه السلام-.**

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول / هل كان للوط – عليه السلام – معجزة؟**
- **المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.**
- **الباب الخامس: المناهج الدعوية في رسالة شعيب -عليه السلام-**

وفيه ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة شعيب -عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

- **المبحث الثاني/ الترغيب: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة.

- **المبحث الثالث/ الترهيب: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط.

المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم.

- **المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم.

المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم.

المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم.

- **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة شعيب-عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول / الاستفهام: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟

المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟

- **المبحث الثاني/ الجدال، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد، والأمانة، وعدم الغش، والتطفيف.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين، وأنه بشر مثلهم.

المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر، والتهديد بالنفي.

المطلب الرابع: ادعاؤهم عدم فهم كلامه، وأنه فيهم ضعيف.

- **المبحث الثالث / الحوار، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب – عليه السلام-

المطلب الثاني: التعقيب على الحوار.

- **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة شعيب-عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه.**
- **المبحث الثاني/ القدوة العملية، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: تعريف معنى القدوة.

المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.

- **المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين.**

- **الباب السادس: المناهج الدعوية في رسالة موسى -عليه السلام-**

وفيه ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة موسى -عليه السلام-.**

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

- **المبحث الثاني: الترغيب، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد.

المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ.

المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء.

المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل.

- **المبحث الثالث: الترهيب: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى.

المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا.

- **المبحث الرابع: التذكير بنعم الله، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بنعمه عليه.

المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم.

المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم.

- **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة موسى -عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ الاستفهام، وفيه ستة مطالب:**

المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون.

المطلب الثاني: إنكاره على قومه لطلبهم طعاما غير المن والسلوى.

المطلب الثالث: إنكاره على قومه في طلبهم تقليد عبدة العجل.

المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل.

المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل.

المطلب السادس: إنكاره على السامري إيقاع قومه في الشرك.

- **المبحث الثاني/ الجدال: وفيه ستة مطالب:**

المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون.

المطلب الثاني: مجادلة موسى -عليه السلام- مع السحرة.

المطلب الثالث: مجادلة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل.

المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل.

المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون.

المطلب السادس: مجادلة موسى -عليه السلام- للسامري.

- **المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس.

المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور.

- **الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة موسى -عليه السلام-.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه.

المطلب الثاني: ما حدث مع بني إسرائيل

- **المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: تعريف معنى المنكر.

المطلب الثاني: نبي الله موسى يحرق العجل.

- **المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين.**
- **الباب السابع: المناهج الدعوية في رسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والمرسلين، وفيه ثلاثة فصول:**
- **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين.**

ويشتمل على ستة مباحث:

- **المبحث الأول/ تأليف القلوب، وفيه سبعة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب

المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال.

المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين.

المطلب الرابع: التودد إلى الناس.

المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء.

المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو.

المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى.

- **المبحث الثاني/ الترغيب، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله.

المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد.

المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات.

- **المبحث الثالث/ الترهيب، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله.

المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير.

المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة.

- **المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة.

المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بال في المسجد.

المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذبه من ثوبه.

- **المبحث الخامس/ القصص العاطفية، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: قصة قاتل المئة نفس.

المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده.

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة.

- **المبحث السادس/ التذكير بنعم الله: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله.

المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم.

المطلب الثالث: التنبيه على عظم بعض النعم.

المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد.

- **الفصل الثاني: المنهج العقلي في خاتم الأنبياء والمرسلين.**

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول/ أسلوب القياس: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم.

المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى.

المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم- للقياس.

- **المبحث الثاني/ أسلوب الجدال، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول / بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها.

المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة وكيف ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم عليها ؟

- **المبحث الثالث/ أسلوب الحوار، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين.

المطلب الثاني: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب.

المطلب الثالث: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أعرابي من نجد.

- **المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال، وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة.

المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر.

المطلب الرابع: مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ اللَّه، وَالْوَاقِعِ فيها.

المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن.

- **الفصل الثالث: المنهج الحسي في خاتم الأنبياء والمرسلين**

ويشتمل على خمسة مباحث:

- **المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.**
- **المبحث الثاني/ المعجزات الحسية، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن.

المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج.

المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر.

المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء.

- **المبحث الثالث/ القدوة العملية.**
- **المبحث الرابع/ تغير المنكر باليد.**
- **المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة.

المطلب الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتبار بالأمم السابقة.

- **الخاتمة:** وتحتوي على نتائج الدراسة، والتوصيات.
- **الفهارس.**
  - فهرس الآيات القرآنية.
  - فهرس الأحاديث النبوية.
  - فهرس الأعلام.
  - فهرس المصادر والمراجع.
  - فهرس الموضوعات.

****

الفصل التمهيدي

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول/ التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الثاني/ التعريف بالسورة وفضلها وآياتها ووقت نزولها.

المبحث الثالث / استعراض السورة وقضاياها الرئيسة.

المبحث الرابع / بيان أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود، والحكمة من تكرار القصص في القرآن

المبحث الخامس/ تعريف موجز برسل الله عليهم السلام الواردين في السورة ودعواتهم المباركة.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول/ التعريف بمصطلحات البحث

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف مصطلح "الدعوة" لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف مصطلح "المناهج" لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: تعريف مصطلح "الدعوة" لغة واصطلاحا:

الدعوة لغة: لها عدة معان: النداء، والطلب، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والاستمالة، ودعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعا الله: رجا منه الخير، ودعا إلى شيء: حث على قصده، ودعاه إلى الدين، أو إلى المذهب: حثه على اعتقاده، والدعوة المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء: واحد الأدعية والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة.(1)

ونخلص من التعريف اللغوي أن الدعوة في كلامنا هنا يقصد بها: الحث على فعل شيء أو اعتقاده واستمالة المدعو إليه.

الدعوة اصطلاحا: أما بالنسبة لتعريف الدعوة اصطلاحا فإن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة، تطلق ويراد بها في الغالب معنيان:

الأول: الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة.

الثاني: الدعوة بمعنى عملية نشر الإسلام وتبليغ الرسالة.

والمعنى المراد بهذا البحث هو المعنى الثاني وقد جاء فيه تعريفات عدة، منها:

---

(1) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (دعا) (1386/2)، ط دار المعارف، والمعجم الوسيط مادة (دعا) (286) الصادر من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة (1425هـ-2004)

التعريف الأول: "الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه." (1)

التعريف الثاني: " تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة." (2)

التعريف الثالث: "هي الحث على فعل الخير واجتناب الشر والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير من الرذيلة واتباع الحق ونبذ الباطل." (3)

المطلب الثاني: تعريف مصطلح "المناهج" لغة واصطلاحا:

المناهج لغة:

جمع منهج، يقال: طريق نهج بين واضح، والمنهاج الطريق الواضح ونهج الطريق: سلكه، واستنهج الطريق صار نهجا، ونهج فلان سبيل فلان: سلك مسلكه، والنهج الطريق المستقيم.(4)

وعلى هذا فإن معنى لفظة منهج لغة: الطريق الواضح البين.

---

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (15/157 وما بعدها) جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية 1425 هـ - 2004 م.

(2) المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، ص (17)، ط. الشؤون الإسلامية بقطر الطبعة الرابعة 1997 م

(3) مرشد الدعاة لمحمد نمر الخطيب، ص: (24)، ط دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الأولى، 1401هـ / 1981م

(4) ينظر لسان العرب مادة (نهج) (4555/6)، والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروزبادي مادة (نهج) ص (208) تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط مكتبة الرسالة، الطبعة الثامنة (1246هـ - 2005)

المنهج اصطلاحا هو: " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بوساطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحديد عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة "[1]

إذن مناهج الدعوة هي: " نظم الدعوة، وخططها المرسومة لها" [2]

****

(1) مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ص (5) ط. وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الثالثة 1977م

(2) المدخل إلى علم الدعوة ص (195)

المبحث الثاني/ التعريف بالسورة وفضلها وآياتها ووقت نزولها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسورة.

المطلب الثاني: ما ورد في فضلها.

المطلب الثالث: ترتيبها في النزول.

المطلب الأول: التعريف بالسورة:

- **عدد آياتها:** ثلاث وعشرون ومائة آية.
- **وهي سورة مكية** كلها عند الجمهور، وقال ابن عباس- رضي الله عنهما – مكية كلها إلا آية.(1)، وهي قوله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ**﴾ **[هود: 114]**

وهناك قول آخر أنها كلها مكية إلا ثلاث آيات.(2)

---

(1) ينظر فتح القدير، للشوكاني (544/2)، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

(2) ينظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (3/148) حيث قال: "السورة مكية إلا ثلاث آيات هي قوله تعالى: (فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحَى إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ) [هود: الآية 12]، وقوله: (أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) [هود: الآية 17]، ونزلت في ابن سلام وأصحابه، وقوله: (إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ) [هود: 114]، نزلت في شأن الثمار وهذه الثلاثة مدنية قاله مقاتل، على أن الأولى تشبه المكي." أ. هـ من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

- **سبب تسميتها بسورة هود:** ذكر الإمام السيوطي [1] في الإتقان أنها سميت باسم هود لتكرر اسمه فيها خمس مرات، ولأن ما حكي عنه فيها أطول مما حكي عنه في غيرها.[2]

المطلب الثاني: ما ورد في فضلها:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا بكر قال: (يا رسول الله قد شبت؟ قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت)[3]

المطلب الثالث: ترتيبها في النزول

نزلت هذه السورة بعد سورة يونس وقبل سورة يوسف، وقد عدت الثانية والخمسين في ترتيب نزول السور. [4]

---

(1) الإمام السيوطي (849 - 911 هـ) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، أصله من أسيوط، كان عالما شافعيا مؤرخا أديبا وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة، ومؤلفاته تبلغ عدتها خمسمائة مؤلف. انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (8/51)، بتحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م؛ والضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي (4/65)؛ منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، والأعلام للزركلي (4/71) ط دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر مايو 2002 م

(2) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (198/1)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م، والتحرير والتنوير لابن عاشور التونسي (311/11)، ط. الدار التونسية للنشر -1974م، تونس 1984 هـ

(3) رواه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، كتاب التفسير باب ومن سورة الواقعة، حديث رقم (3297) سنن الترمذي (255/5)، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت طبعة 1998م، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي حديث رقم (3297)

(4) التحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور(11/311)، ط. الدار التونسية للنشر -1974م، تونس 1984 هـ.

المبحث الثالث/ استعراض السورة وقضاياها الرئيسة

توطئة:

سورة هود كما مر بنا نزلت في وقت من أصعب أوقات الدعوة، بعد وفاة أبي طالب ثم وفاة خديجة، وما تبع ذلك من جرأة كفار مكة على إيذاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم والنيل منه، ومن أصحابه رضوان الله عليهم.

جاءت آيات السورة تقص علينا قصص كوكبة مباركة من الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى عهد خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم- لتكون قصصهم تثبيتا لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم، والذين معه على دعوة الحق، والتسرية عنه مما يعانيه من ضيق صدره، وشعوره بالضيق من أذى قومه وعنتهم، والتأكيد على أن دعوة الأنبياء واحدة هي دعوة التوحيد، وأن مصدرها واحد من لدن حكيم خبير، وعرضت السورة حال المكذبين مع رسلهم وتنوع أساليب الإعراض، والصد عن سبيل الله، من تكذيب وسخرية واستهزاء حتى وصل بهم إلى حد التهديد والإيذاء لرسلهم.

وفي المقابل تعرض السورة المباركة لصبر الرسل وثقتهم في موعود الله بنصرهم، فينجي الله المؤمنين برحمته ويهلك الكافرين بأخذهم وتدميرهم.

مقاصد السورة:

(وأهم مقاصد السورة ما يلي:

1 - الحديث عن القرآن الكريم وإحكامه من لدن حكيم خبير، ودعوة الناس للعمل بما فيه من عقائد وأحكام شرعية، ليمتعهم متاعًا حسنا ويؤتى كل ذي فضل فضله، وبيان أن المرجع إليه - سبحانه - وأنه على كل شيء قدير.

2 - الحديث عن علم الله تعالى وإحاطته - عز وجل - بمكنون الضمائر، وتكفله برزق كل دابة ومعرفته جميع أحوالها وحركاتها وسكناتها.

3 - الإشارة إلى آيات الله الكونية، في خلق السماوات والأرض والعرش العظيم، وأنه اختبرنا بالتكاليف ليبلو عباده أيهم أحسن عملا.

4 - الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، وعجز البشر عن محاكاته، وأن هذا كافٍ في الدلالة على أنه من عند الله، وأن الله أيَّد به رسوله، وأن ما يدعونه من افترائه على الله زعم باطل.

5 - بيان موقف الناس من الإسلام، وذكر ثواب المطيعين وعقاب المسيئين - وأن مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع، وأنهما لا يستويان مثلًا.

6 - الحديث عن قصة نوح - عليه السلام - وقومه، والطوفان، ونجاة المؤمنين وهلاك المكذبين الكافرين ليعتبر كفار قريش ويرجعوا عن كفرهم وتكذيبهم.

7 - بيان قصة هود - عليه السلام - مع قومه عاد، ونجاة المؤمنين منهم وهلاك العاصين المتمردين، ليكون في نبئهم عبرة لأُولى الألباب.

8 - قصة صالح - عليه السلام - مع قومه "ثمود" ونجاة المؤمنين منهم وهلاك المكذبين بالصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين جزاء كفرهم وتكذيبهم لرسول الله إليهم.

9 - قصة إبراهيم - عليه السلام - وتبشير الملائكة له بإسحق ومن ورائه يعقوب - عليهما السلام -.

10 - قصة الملائكة وزيارتهم لوطا عليه السلام، وإهلاك الله لقومه بإبادة قراهم، وإمطارهم بحجارة من سجيل، جزاء شذوذهم الشهواني[1]، وكفرهم بآيات ربهم.

11 - قصة شعيب - عليه السلام - وتمرد قومه عليه وإهلاكهم بالصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها، كما حدث لقوم صالح - عليه السلام - ونجى الله شعيبا ومن آمن معه.

12 - قصة موسى وفرعون، وبيان أن قوم فرعون اتبعوا أمره، فأهلكهم الله وأتبعهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة بسبب كفرهم.

13 - الإشارة إلى سنة الله -تبارك وتعالى- في عقاب الكفار في الدنيا، ونجاة المؤمنين بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ **[هود: 102]**

---

(1) أي جزاء مخالفتهم الفطرة وفجورهم.

14 - بيان حال الكافرين الأشقياء في الآخرة من الخلود في النار وزفيرهم وشهيقهم فيها، وبيان حال المؤمنين السعداء فيها، من الخلود في الجنة والنعيم المقيم فيها.

15 - بيان أنه - تعالى - قص على رسوله صلى الله عليه وسلم قَصَصَ إخوانه الأنبياء مع أُممهم، ليُثَبِّتَ به فؤادَه، عظة وذكرى للمؤمنين.) [1]

المبحث الرابع/ بيان أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود والحكمة من تكرار القصص في القرآن

من خلال النظر في آيات القصص القرآني سيبرز لنا العديد من الأهداف والمقاصد، وتكرارها في أكثر من موضع في القرآن له عدة أغراض، وهذا ما سيتناوله الباحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود.

المطلب الثاني: الحكمة من تكرار القصص في القرآن.

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود

القصص القرآني الوارد في سورة هود يحقق عدة أهداف ومقاصد منها:

1- أخذ العظة والعبرة:

وبذلك نَفْقه ما جاء في هذه القصص من أخبار وحقائق وأنماط من المدافعات بين أهل الحق والباطل، وأن نعتبر به، فمن ذلك أنّ الله تعالى قص علينا أخبار الأنبياء وما أصابهم وأصاب أتباعهم المؤمنين من الأذى في سبيل الله، ثم إن الله تعالى نصرهم وجعل العاقبة الحسنى لهم، وفي ذلك عبرة للمؤمنين.

2- إثبات الوحي والرسالة:

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف البحوث الإسلامية مجمع بالأزهر (156/4)، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، (1393 هـ 1973 - 1414)

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتباً ولا قارئاً، ولا عرف عنه أنه جلس إلى أحبار اليهود والنصارى؛ ثم جاءت هذه القصص في القرآن، وبعضها جاء في دقة وإسهاب كقصص يوسف وموسى وعيسى، فورودها في القرآن اتخذ دليلاً على وحي يوحى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ من أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ **[آل عمران: 44]**

3- تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته:

وقد صرح القرآن بهذا الغرض في قوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **[هود: 120]**، فقص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم- قصص السابقين من الأنبياء عليهم السلام ليسليه وليعلمه أن ما جرى له من قومه جرى لمن سبقه ممن سلك طريق الدعوة إلى الله تعالى فتحملوا المشاق وصبروا فكانت النتيجة النصر والغلبة والتمكين لهم بإذن الله تعالى والهلاك للمكذبين.

4- بيان لسنن الله في خلقه من الأمم والجماعات والأفراد:

في دراسة حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - نتعرف على سنن الله - عز وجل - في التغيير، وسننه - سبحانه - في الدفع والمدافعة، كما أنها تكشف للدعاة إلى الله - عز وجل - ذلك الصراع الطويل المرير بين الحق والباطل، وفي هذا أكبر العزاء لأهل الحق، وذلك لإيمانهم بحتمية هذا الصراع، وأن الدولة والعاقبة في نهاية الأمر للحق وأهله.

5- تربية وتوجيه للدعاة:

في دراسة حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أكبر العظات والعبر للدعاة إلى الله - عز وجل - في كل مكان، وزمان؛ فالقصص القرآني يخبر الدعاة عن مناهج الأنبياء - عَلَيْهم السَّلام - في دعوة أقوامهم إلى الله، وبيان ما أصابهم من أذى في سبيل الله، وكان النصر في نهاية المطاف نصيبهم، وكيف أن الله أظهرهم على عدوهم رغم قلة عددهم، فعلى اللاحقين من المؤمنين عدم

اليأس، وليعلموا أن ما أصابهم من أذى قد أصاب من قبلهم، ولكن العاقبة أبداً للمتقين. (1)

المطلب الثاني: الحكمة من تكرار القصص في القرآن:

امتد نزول القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا وعشرين سنة، وكان مما يتنزل عليه قصص الأنبياء والرسل قبله الذين مروا بما يمر به صلى الله عليه وسلم، من تكذيب وصدود وإعراض عن الحق وابتلاء، وكانت الآيات تتنزل فيها مشهد من مشاهد قصة ذلكم النبي مع قومه بما يتوافق مع الحال وقت نزول الآيات، تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لقلبه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه بما يتنزل من نور الوحي على هذه المعاني، ثم يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمشهد آخر من مشاهد قصة نبي من الأنبياء (كما في قصة نوح أو موسى - عليهما السلام-) إما لتفصيل مجمل، أو إجمال مفصل، أو إبراز معنى بحسب مقتضيات المرحلة من عمر الدعوة؛ أو لإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع بقاء التحدي بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن الذي عجز العرب عن الإتيان بمثله وهذا أبلغ في التحدي... وهكذا فالتكرار لا يدل على تناقض أو اختلاف أو نقص.

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ سيد قطب(2): (يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها.

---

(1) ينظر: التصوير الفني في القرآن. سيد قطب ص (144:155) ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة عام 2004م، ومباحث في علوم القرآن مناع القطان (301)، ط مكتبة وهبة الطبعة الحادية عشرة عام 2000م، والقصة في القرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي ص 4 وما بعدها، ط نهضة مصر، الطبعة الأولى 1996م، والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث للدكتور صلاح الخالدي (1/33) وما بعدها، ط دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1998، والمستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة للدكتور عبد الكريم زيدان (1/6) وما بعدها، ط الرسالة الطبعة الأولى 1998.

(2) سيد قطب بن إبراهيم مفكر إسلامي، مصري، من مواليد قرية «موشا» في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة 1353 هـ / 1934م، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم 1953 وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأُعدم، رحمه الله (من كتاب الأعلام للزركلي (147/3)

والطريقة التي تؤدى بها تنسيقا للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقي إيقاعها المطلوب، ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار، ويزيغ أناس فيزعمون أن هنالك خلقاً للحوادث أو تصرفاً فيها، يقصد به إلى مجرد الفن - بمعنى التزويق الذي لا يتقيد بواقع - ولكن الحق الذي يلمسه كل من ينظر في هذا القرآن، وهو مستقيم الفطرة، مفتوح البصيرة، هو أن المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء.

والقرآن كتاب دعوة، ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية ولا تسلية ولا تاريخ، وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار، بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق الجمال الفني الصادق، الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء.) (1)

ويقول الشيخ مناع القطان(2)**:** (يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتُعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك، ومن حكمة هذا:

1- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها؛ فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

---

(1) في ظلال القرآن (55/1) مرجع سابق.

(2) الشيخ مناع خليل القطان ولد في1925م في قرية شنشور مركز أشمون من محافظة المنوفية بمصر، وتخرج من كلية أصول الدين، وعمل بمصر إلى عام 1953 م ثم أعير إلى السعودية وبقي فيها حتى صار مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود، وتوفي في 19 يوليو، 1999م. ينظر كتاب من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل 1182/1، ط دار البشير الطبعة السابعة 2008م

2- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

3- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون؛ لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

4- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات؛ حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.)[1]

****

(1) مباحث في علوم القرآن ص (302) مرجع سابق.

المبحث السادس/ تعريف موجز برسل الله عليهم السلام الواردين في السورة ودعواتهم المباركة.

توطئة:

لما كانت عقول البشر قاصرة لا يستطيعون وحدهم أن يهتدوا إلى الحق، وأن يعرفوا مراد الله من خلقه، ولا يقدرون على التفريق بين الحسن والقبيح، والخير والشر، هنا كانت الحاجة ماسة إلى من يعرفهم بربّهم جل وعلا، وتلكم هي مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام، فالأنبياء والرسل عليهم السلام- أرسلهم الله لهداية البشرية فيبلغون إلى الناس ما يوحى إليهم من ربهم، فآمن من آمن وكفر من كفر.

هذا وقد تناولت سورة هود - وهي موضوع دراستنا –قصص عدد من هؤلاء الأنبياء الكرام، وهم أنبياء الله:

1- نوح-عليه السلام-

2- هود-عليه السلام-

3- صالح-عليه السلام-

4- لوط-عليه السلام-

5- شعيب-عليه السلام-

6- موسى-عليه السلام-

7- وخاتمهم نبينا محمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

وفي الأسطر القادمة تعريف موجز

بهؤلاء الرسل الكرام، ودعوتهم وحالهم مع أقوامهم.

****

أولا/ نوح ـ عليه السلام

هو أبو البشرية الثاني، وهو أول الرسل بعد آدم ـ عليه السلام-، وقد اصطفاه الله للنبوة، وهداه للحق، وكلفه بالرسالة، وأثنى عليه بما هو أهله، وهو أحد أولي العزم الخمسة من الرسل، وأثنى الله عليه في القرآن فقال: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ **[الإسراء: 3]**، وقد فصل القرآن الكريم قصة نوح عليه -السلام- في أكثر من سورة، وخصها بسورة كاملة؛ بيانا لأهميتها. (1)

قوم نوح:

طال الزمن بعد آدم، واستمر الناس على الحق عشرة قرون(2)، وبعدها حدثت أمور أدت إلى أن يعبد الناس الأصنام المعروفة: (ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا)، وهذه أسماء رجال صالحين بين آدم ونوح ـ عليهما السلام-، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون زين لهم الشيطان عبادتهم فعبدوهم.

وهذا ما قاله ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى

---

(1) ورد ذكر نوح عليه السلام – في مواضع كثيرة من القرآن، منها: الأعراف (59-64)، يونس (71-73)، هود (25-48)، الأنبياء (76 - (77)، المؤمنون (23-30)، الشعراء (105-122)، العنكبوت (14-15)، الصافات (75-82)، القمر (179)، سورة نوح بكاملها.

(2) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (621/3) في تفسير قوله تعالى: ({كان الناس أمة واحدة} [البقرة: 213] وذكر بسنده عن ابن عباس قال: " كان بين نوح، وآدم، عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين} [البقرة: 213] ط دار هجر الطبعة: الأولى، 2001م، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (854/7) صحيح

مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت)[1]

دعوة نوح لقومه:

أرسل الله نوحا إلى قومه، فدعاهم إلى التوحيد، ولكن القوم رفضوا الدعوة، واتهموه بالضلال، والجنون، والسفاهة، واتهموا أتباعه - عليه السلام - بأنهم الأراذل والسفلة، -بزعمهم- الذين بمجرد ما دعوتهم اتبعوك، فهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، يبين ذلك قول الله تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ **[هود: 27]**، ولم يكتفوا بهذا، بل طلبوا من نوح أن يطردهم فلا يليق بهم أن يكونوا مع الفقراء والمستضعفين، فرد عليهم نوح -عليه السلام- قائلا: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾**﴾ **[هود: 28-29]**

يا قوم أخبروني إن كنت "على يقين وأمر جلي، ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم، (فعميت عليكم) أي: خفيت عليكم، فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها، بل بادرتم إلى تكذيبها وردها، (أنلزمكموها) أي: نغضبكم بقبولها وأنتم لها كارهون. " [2]

ومع هذا استمروا في الانصراف عنه، فلم يألو نوح -عليه السلام – جهدا في دعوتهم، إلا أنهم تمسكوا بضلالهم، واستمروا في عبادة أصنامهم، وطلبوا منه

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب: {ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق} حديث رقم (4636) بتحقيق د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/317) المحقق: سامي بن محمد السلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م

أن يتركهم: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]، ومكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما لم يهدأ، ولم يفتر، حتى أوحى الله إليه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]، ويعجب العاقل حين يعلم قلة عدد الذين آمنوا، وقد أشار الله إلى ذلك، فقال سبحانه: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]

الطوفان:

لما علم نوح - عليه السلام- بأنه لن يؤمن من قومه أحد إلا من آمن معه طلب من ربه أن يهلك الكافرين جميعا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ [نوح: 26-27]، وبدأ نوح - عليه السلام- والمؤمنون معه في صنع السفينة، فلما أتمها حمل فيها الذين آمنوا معه، ومن كل سائر المخلوقات زوجين اثنين.

وفار التنور:

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40] كانت العلامة لبداية الطوفان أن يفور التنور بالماء (وهو الفرن الذي يخبز فيه)، وبدأ الطوفان، فأمطرت السماء مطرًا غزيرا، وتفجرت عيون الماء من الأرض، فقال نوح: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: 41] وبدأت السفينة تطفو على سطح الماء، ورأى نوح - عليه السلام ابنه، وكان كافرًا، فناداه: ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝٤٣﴾ [هود: 42-43]

ما بعد الطوفان:

وصدر أمر الله -تعالى- بأن يتوقف المطر، وأن تبتلع الأرض الماء: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 44]

وهنا تحركت عاطفة الأبوة في نبي الله نوح - عليه السلام- فناشد ربه في ولده، كما ذكر ذلك الحق- سبحانه-: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: 45-47]

وكما أغرق الله تعالى ابن نوح بسبب عدم إيمانه، أغرق كذلك زوجته بسبب عدم إيمانها هي الأخرى، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: 10]

الهبوط من السفينة:

ثم أمر الله نوحا - عليه السلام ومن معه من المؤمنين بالهبوط من السفينة، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48]، فامتثل نوح لأمر الله، وهبط من السفينة ومعه المؤمنون، وأطلق سراح الحيوانات والطيور لتبدأ دورة جديدة من الحياة على الأرض، وظل نوح عليه السلام يدعو المؤمنين، ويعلمهم أحكام الدين، ويكثر من طاعة الله إلى أن توفي ولقي ربه وهو راض عنه.

****

2- هود - عليه السلام-

بعث الله نبيه هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قومه عاد، قال تعالى: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**﴾ **[هود: 50]**، وقد فصل القرآن الكريم قصة هود - عليه السلام- وحاله مع قومه في أكثر من موضع؛ بيانا لأهميتها.(1)

من هم عاد؟

كانوا عربا يسكنون الأحقاف(2) ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ**﴾ **[الأحقاف: 21]**، وكانوا يسكنون البيوت ذوات الأعمدة الضخمة، ويبنون القصور العالية والحصون المرتفعة، ويتفاخرون ببنائها، وأعطى الله أهل هذه القبيلة بنية جسدية تختلف عن سائر البشر، فكانوا طوال الأجسام أقوياء، إذا حاربوا قومًا أو قاتلوهم هزموهم، وبطشوا بهم بطشا شديدًا، ولذلك قال لهم نبيهم: ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ **[الشعراء: 130-131]**

دعوة هود لقومه:

وبرغم هذه النعم والخيرات الكثيرة التي أعطاهم الله إياها، لم يشكروا الله - تعالى- عليها، بل أشركوا معه غيره؛ فعبدوا الأصنام، ولم يكتفوا بهذا، بل وارتكبوا المعاصي والآثام، وأفسدوا في الأرض، فأرسل الله لهم هودًا- عليه السلام - ليهديهم إلى الطريق المستقيم وينهاهم عن ضلالهم، فقال لهم: ﴿**يَا قَوْمِ**

---

(1) ورد ذكر هود - عليه السلام - في مواضع عديدة من القرآن منها الأعراف (65-74)، يونس (71-73)، هود (50-60)، الشعراء (123-140)، فصلت (1613)، الأحقاف (21-26)، القمر (18-21)، الحاقة (4-8)

(2) الأحقاف: جمع حقف بكسر فسكون، وهو المعوج من الرمل، أو هو الرمل العظيم المستدير، أو هي رمال مستطيلة بناحية الشحر، وقال ابن إسحاق: الأحقاف: رمل فيما بين عمان إلى حضرموت، وقال قتادة: الأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن. ينظر تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي (23/156)، وأطلس القرآن للدكتور شوقي أبو خليل، ص (29) ط. دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الثانية (1423هـ - 2003)

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50]، وأوصاهم بالتوبة والرجوع إلى الله عما هم فيه من عصيان، لكنهم استكبروا وأصروا على شركهم.

وقوع العذاب بقوم عاد:

انقطع عنهم المطر مدة طويلة، ثم جاء سحاب عظيم، فلما رأوه استبشروا به، وفرحوا، وظنوا أنه سيمطر ماءً، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24] ظنوا أن السحب ستأتي لهم بالخير، ولكنها كانت تحمل لهم العذاب والفناء، ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: 25] ، فجاءتهم ريح شديدة استمرت سبع ليال وثمانية أيام دائمة دون انقطاع، تدمر كل شيء أمامها حتى أهلكتهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: 6-8]

ونجى الله هودًا والذين آمنوا معه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝٦٠﴾ [هود: 58-60]

****

3- صالح - عليه السلام

بعث الله نبيه صالح - عليه السلام إلى ثمود، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61]

وثمود قبيلة عربية في منطقة الحجر التي تقع بين الحجاز والشام، والتي تسمى الآن (بمدائن صالح).[1]

وقد وردت قصة صالح-عليه السلام مع قومه في مواضع عديدة من سور القرآن الكريم.[2]

عبادة ثمود للأصنام:

أنعم الله -عز وجل- على ثمود بنعم كثيرة، وكانت لهم حضارة عمرانية كبيرة، فقد نحتوا الجبال واتخذوها بيوتًا، قال تعالى حكاية عن نبيهم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]

ولكنهم قابلوا النعمة بالجحود والنكران، فكفروا بالله -سبحانه- ولم يشكروه على نعمه وعبدوا الأصنام، فأراد الله هدايتهم، فأرسل إليهم نبيًّا منهم، هو صالح – عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما هم فيه من عبادة الأصنام، فرفض قومه ذلك، فآمنت به طائفة من الفقراء والمستضعفين، وكفرت طائفة الأغنياء، واستكبروا وكذبوه، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75-76]

---

(1) تفسير التحرير والتنوير (216/ 8 ب) مرجع سابق.

(2) ورد ذكر صالح - عليه السلام - في مواضع عديدة من القرآن، منها: الأعراف (73-79)، هود (61-68)، الشعراء (141-159)، النمل (545)، القمر (3223)، الشمس (11-15).

معجزة الناقة:

وطلب القوم من نبيهم آية تدل على صدقه فقالوا له: ﴿**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ **[الشعراء: 153-154]**، وحدثت المعجزة، فخرجت ناقة عظيمة من الجبل- بأمر الله تبارك وتعالى- فكانت برهانا ساطعا، ودليلاً على نبوة صالح، ولما رأى قومه هذه الآية العجيبة آمن بعض قومه، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم، ثم أوحى الله إلى صالح أن يأمر قومه بأن لا يتعرضوا للناقة بسوء، لكن الشيطان أغواهم، فاتفقوا على قتل الناقة، قال تعالى : ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥**﴾ **[الشمس: 11-15]**

وعلم صالح بما فعل قومه، وأوحى الله إليه أن العذاب سوف ينزل بقومه بعد ثلاثة أيام، ومرت الأيام الثلاثة، وخرج الكافرون في صباح اليوم الثالث ينتظرون ما سيحل عليهم من العذاب والنكال، وفي لحظات جاءتهم صيحة شديدة من السماء، وهزة عنيفة من أسفلهم، فزهقت أرواحهم، وأصبحوا في دارهم هالكين مصروعين، قال تعالى: ﴿**فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾ **[هود: 65]**، وهكذا أهلك الله عز وجل قوم صالح بسبب كفرهم وعنادهم وقتلهم لناقة الله، والاستهزاء بنبيهم صالح - عليه السلام وعدم إيمانهم به، وبعد أن أهلك الله الكافرين من ثمود، وقف صالح - عليه السلام ومن معه من المؤمنين ينظرونإليهم، فقال صالح - عليه السلام-: ﴿**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾ **[الأعراف: 79]**

****

4- لوط - عليه السلام-

لوط عليه السلام نبي من أنبياء الله أرسله الله إلى قومه الذين كانوا يأتون الفاحشة ويقطعون الطريق على الناس، بقرية تسمى سدوم.(1)

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ۝٨١﴾ [الأعراف: 80-81] (2)

وهو أول من آمن بإبراهيم حين رأى النار عليه بردا وسلاما.(3) ، قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 26]

دعوته لقومه:

وكانت أخلاق أهل تلك البلدة سيئة، فكانوا لا يستحيون من المنكر، ويقطعون الطريق، وفوق هذا كانوا يفعلون فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين؛ فكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وأخذ لوط - عليه السلام- يدعو أهل سدوم إلى الإيمان وترك الفاحشة، لكنهم لم يستجيبوا له، واستمروا في ضلالهم وفجورهم، فغضب لوط من قومه، وابتعد عنهم هو ومن آمن به من

---

(1) سَدُومُ: مدينة من مدائن قوم لوط. ينظر «معجم البلدان» لياقوت الحموي (3/200) الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية 1995م. وأشار الدكتور شوقي أبو خليل في أطلس القرآن ص (57 ،61) أن ما كان يعرف قديما ببحيرة لوط هي (البحر الميت) وفي أقصى جنوب البحر الميت قرى سدوم وعامورة اللتان دمرتا.

(2) جاءت قصة نبي الله لوط - عليه السلام في مواضع عديدة من القرآن منها: الأعراف (80-84)، هود (77-83) الحجر (61-77) الأنبياء (74-75)، الشعراء (160) (175) النمل (54-58)، العنكبوت (28-35)، الصافات (133-138)، القمر (33-40)

(3) تفسير القرطبي (13/339) ، وذكر ابن كثير أن لوطا (هو ابن أخي إبراهيم الخليل - عليهما السلام-، وكان قد آمن مع إبراهيم - عليه السلام- وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله إلى أهل سدوم، وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عز وجل، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم، والمحارم، والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم، ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله.) تفسير ابن كثير (3/444)

أهل بيته إلا زوجته، فقد كفرت وانحازت إلى قومها، وشاركتهم في مضايقته والاستهزاء به، وضرب الله بها مثلاً في الكفر، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: 10]، وخيانة امرأة لوط هي كفرها وعدم إيمانها بالله.(1)

الملائكة تزور لوطا ـ عليه السلام:

أرسل الله ثلاثة من الملائكة لنبي الله لوط ـ عليه السلام، فلما رآهم أُصيب بالغمّ، لما سيترتب على مجيئهم من شرور قومه، قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۝٧٨ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾ [هود: 78-80]

وأصروا على الدخول، ولم يجد لوط من بينهم رجلاً عاقلاً يبين لهم ما هم فيه من الخطأ، وأحس لوط بضعفه أمام هؤلاء القوم، فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80] ، وعندئذ كشف الضيوف عن حقيقتهم، وأخبروا لوطًا بأنهم ليسوا بشرًا وإنما هم ملائكة من السماء جاءوا لتعذيب هؤلاء القوم الفاسقين، وما هي إلا لحظات حتى اقتحم قوم لوط البيت على الملائكة، فأشار أحد الملائكة بيده ناحيتهم ففقد القوم أبصارهم، وراحوا

(1) قال ابن عباس وغيره: "خانتا" في الكفر، وفي أن امرأة نوح كانت تقول للناس: إنه مجنون، وأن امرأة لوط كانت تنم إلى قومه متى ورده ضيف فتخبر به وقال ابن عباس: وما بغت زوجة نبي قط، ولا ابتلي الأنبياء في نسائهم بهذا." من تفسير "المحرر الوجيز لابن عطية (5/335) مرجع سابق

يتخبطون بين الجدران، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: 37]

هلاك قوم لوط:

طلبت الملائكة من لوط أن يرحل مع أهله عندما يقبل الليل، لأن العذاب سينزل على قومه في الصباح، ونصحوه ألا يلتفت هو ولا أحد من أهله خلفهم عندما ينزل العذاب حتى لا يصيبهم، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 65-66] وفي الليل خرج لوط وابنتاه وتركوا القرية، وأرسل الله العذاب الشديد على قرية سدوم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 82-83]

(إنها قصَّةٌ غريبةٌ، قصَّةُ قومٍ أدْمنوا الفاحشة، ابتكروا هذه الفاحشة ابتكارًا، فكان عليهم وِزْرها ووزر مَن عملها مِن بعدهم، هذه الفاحشة، ما حَدَثتْ في قوم من الأقوام قبل قوم لوط، فاحشة إتيان الذكور، أو ما كانوا يسمُّونه في عصرنا: (الشذوذ الجنسيّ)، والآن لم يعودوا يسمُّونه الشذوذ الجنسي؛ لأنَّ كلمة الشذوذ هي اسم ذمٍّ، وهؤلاء لا يريدون أن يذمَّهم أحد، فأصبحوا يسمُّونه: (المثلية)؛ أي: الرجل يأتي الرجل، والمرأة تأتى المرأة، قوم لوط قاموا بهذه الفاحشة وأصبحت معروفة بينهم، واستمرأوا هذه الرذيلة، وتركوا نساءهم اللائي خَلَقهنَّ الله لهم، ولكن هؤلاء انتكسوا وارتكسوا، قلبوا فِطْرَةَ الله التي فطر اللهُ الناس عليها، فلذلك استحقُّوا عذاب الله.) (1)

وبقيت قرية سدوم عظة وعبرة لكل الأجيال القادمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات: 137-138]

---

(1) تفسير سورة الحجر للدكتور يوسف القرضاوي باختصار يسير، ص (129) الناشر: مكتبة وهبة الطبعة الأولى (1433هـ- 2012)

5- شعيب - عليه السلام-

أرسل الله نبيه شعيبا إلى قومه مَدْيَنَ، وتطلق مدين [1]على القبيلة، وعلى المدينة، وهي التي بقرب "معان" من طريق الحجاز[2]، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 84][3]

دعوة شعيب - عليه السلام – لقومه:

كان قومه كفاراً يقطعون السبيل، ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة (شجرة)، وكانوا يبخسون المكيال والميزان ويطففون، فبعث الله نبيه شعيبًا - عليه السلام - إليهم، فدعاهم إلى التوحيد، وترك القبائح، وعدم ظلم الناس.

قال تعالى : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85]، ولكن كعادة الأمم الظالمة، كذبوا نبيهم واستهزأوا به ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]، فأجابهم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] ولكنهم عاندوا وكابروا، فتوعدهم بوقوع العذاب فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ

---

(1) مَدْيَنُ: على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى، عليه السلام، لسائمة شعيب، وهي مدينة قوم شعيب، وتقع حاليا شرق خليج العقبة. ينظر معجم البلدان (5/78)، وأطلس القرآن ص (71)

(2) تفسير ابن كثير (3/447) مرجع سابق.

(3) ورد ذكر شعيب - عليه السلام - في مواضع عديدة من القرآن منها الأعراف (85-93)، هود (84-95)، الشعراء (176 (190)، العنكبوت (36-37)

اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93]

وقوع العذاب بقومه:

لما استحقوا العقاب والعذاب، جمع الله لهم صنوفاً من العذاب، لأنهم جمعوا صنوفاً كثيرة من الأفعال القبيحة، فأخذوا بعذاب الظلة.(1)

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 189]، ثم عذبوا بالرجفة التي زلزلت الأرض من تحتهم وأزهقتهم، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 91]، ثم عذبوا بالصيحة وهي صيحة عظيمة أخمدت الأصوات وأزهقت أرواحهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝٩٤ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۝٩٥﴾ [هود: 94-95]

فأعرض شعيب عنهم حين رأى الهلاك الذي نزل بهم وقال معلنا عدم حزنه عليهم وعلى ما حل بهم: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 93]

****

(1) الظلة سحابة بَدَت لهم أرادوا أن يستظلوا بها، فكانت عذابا لهم، انظر: التفسير الوسيط (7/1623) مرجع سابق.

6- موسى - عليه السلام-

موسى - عليه السّلام نبي مرسل من أولي العزم من الرسل[1]، وتعتبر قصته عليه السلام من أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم.[2]، وهو كليم الله، فقد كلمه الله مباشرة بدون واسطة كما قال تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ **[النساء: 164]**

فرعون وطغيانه مع بني إسرائيل:

استقر بنو إسرائيل في مصر زمن يوسف -عليه السلام- وأصبح لهم نسلٌ كبيرٌ، ثم دار الزمان وملك مصر فرعون، فحكم بالقوة والبطش وخشي فرعون من كثرة بني إسرائيل أن يقع منهم شرٌ، فأذلهم واستعبدهم، وسخرهم في أشق الأعمال، وأكثرها جهدا لإنهاك قواهم، كما جعلهم فرقا وأحزابا، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ**

---

(1) ورد ذكر نبي الله موسى - عليه السلام في مئة وواحد وثلاثين آية في أربع وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم منها: البقرة وآل عمران، النساء، المائدة الأنعام، الأعراف، يونس، مريم، طه، القصص، الكهف.

(2) لعل السبب في ذلك ما ذكره ابن تيمية ، في مجموع الفتاوى (9/12)، قال: وثنى قصة موسى عليه السلام مع فرعون لأنهما في طرفي نقيض في الحق والباطل، فإن فرعون في غاية الكفر والباطل حيث كفر بالربوبية وبالرسالة، وموسى عليه السلام في غاية الحق والإيمان من جهة أن الله كلمه تكليما لم يجعل الله بينه وبينه واسطة من خلقه، فهو مثبت لكمال الرسالة وكمال التكلم، ومثبت لرب العالمين بما استحقه من النعوت، وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار، فإن الكفار أكثرهم لا يجحدون وجود الله، ولم يكن أيضا للرسل من التكليم ما لموسى؛ فصارت قصة موسى عليه السلام وفرعون أعظم القصص وأعظمها اعتبارا لأهل الإيمان ولأهل الكفر. انتهى.

وأشار ابن القيم إلى فائدة أخرى وهي وجود التناسب بين شريعة موسى وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبين كتابيهما ولهذا يكثر في القرآن ذكر موسى وكتابه وبعده ذكر القرآن؛ كما قال الله تعالى: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) [الأنبياء:48]، ولهذا يذكر الله سبحانه وتعالى قصة موسى عليه السلام ويعيدها ويبديها ويسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يناله من أذى الناس: لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر. فتأمل هذا التناسب بين الرسولين والكتابين والشريعتين. ينظر جلاء الأفهام لابن القيم (197-200) بتحقيق شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة – الكويت الطبعة: الثانية، 1407 - 1987

﴿أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]، ومرت السنوات، فقلّ عدد بني إسرائيل بسبب قتل الذكور من المواليد، فخافوا أن لا يجدوا من يعمل في أراضيهم ويخدمهم، فقرر فرعون أن يقتل الذكور عامًا، ويتركهم عامًا آخر، فولد هارون في العام الذي لا يُقتل فيه الأطفال. (1)، أما موسى فقد ولد في عام القتل، فخافت أمه عليه، واحتار تفكيرها في المكان الذي تضعه فيه بعيدًا عن أعين جنود فرعون فأوحى الله تعالى إليها: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝٨ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [القصص: 7-9]

عودة موسى إلى حضن أمه:

وأمرت أم موسى أخته بمتابعته، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 10-11]، والتمست زوج فرعون المراضع لهذا الطفل الصغير؛ فأمرت بإحضار مرضعة ترضعه، فجاء إلى القصر عدد كثير من المرضعات، لكن الطفل امتنع عن أن يرضع منهن، مما جعل أهل القصر ينشغلون بهذا الأمر ، واشتهر هذا الأمر بين الناس، فعرفت أخته بذلك، فأشارت عليهم أنها تعلم مرضعة تصلح لهذا الطفل، واستدعت زوجة الملك أم موسى وأحسنت إليها وأعطتها عطاء جزيلا - وهي لا تعرف أنها أمه الحقيقية - وحين طلبت أم موسى أن تأخذ معها موسى لترضعه في بيتها أجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة. (2)

حادثة قتل موسى للقبطي:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ

(1) ينظر تفسير ابن كثير (6/221) مرجع سابق.

(2) ينظر التفسير الوسيط 1745/7 مرجع سابق.

﴿عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۝١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝١٦ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۝١٧﴾ [القصص: 15-17] ، ودخل موسى المدينة مستخفيا في وقت راحة الناس فيها في بيوتهم في وقت القيلولة، أو ما يشبه ذلك، فَوَجَدَ فِيها أي رَجُلَيْنِ يتخاصمان ويتنازعان في أمر من الأمور؛ هذا مِنْ شِيعَتِهِ من بنى إسرائيل، والثاني كان من القبط الذين كانوا يسيمون بنى إسرائيل سوء العذاب، فَاسْتَغاثَهُ الإسرائيلي لينقذه من يد القبطي، فَوَكَزَهُ مُوسى (الضرب بجميع الكف) فقتله، وهو لا يريد قتله، وإنما كان يريد دفعه ومنعه من ظلم الرجل الإسرائيلي، ولكن موسى- عليه السلام بعد أن رأى القبطي جثة هامدة، استرجع وندم، وقال:هذا الذي فعلته وهو قتل القبطي، من عمل الشيطان ومن تزيينه فهو عدو للإنسان مُضِلٌّ له عن طريق الحق، ثم أضاف إلى هذا الندم والاسترجاع، ندما واستغفارا آخر فقال: رب إني ظلمت نفسي، بتلك الضربة التي ترتب عليها الموت، فاغفر لي ذنبي، فَغَفَرَ الله- تعالى- لَهُ ذنبه، فقال: رب اعصمني بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون- إن عصمتني- ظهيرا للمجرمين.[1]

انتشار خبر مقتل الرجل القبطي:

وفي اليوم التالي وبينما موسى يسير في المدينة؛ وجد الرجل الإسرائيلي نفسه يتشاجر مع مصري آخر، واستغاث مرة ثانية بموسى فغضب موسى من هذا الأمر، ثم تقدم ليفض هذا النزاع، فظنَّ الإسرائيلي أن موسى سيقبل عليه؛ ليضربه لأنه غضبان منه ففضح الأمر بحماقته، قال تعالى : ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ۝١٨ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي

(1) ينظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي (387/ 10 وما بعدها) الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى (1997 ،1998م.)

كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴿١٩﴾﴾ [القصص: 18-19]

ومن هنا انتشر الخبر وعرفوا أن موسى هو القاتل، واجتمع الملأ من قوم فرعون ليبحثوا الأمر بعد أن تبين أن موسى هو القاتل، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٢١﴾﴾ [القصص: 20-21]، فخرج موسى - عليه السلام - من مصر ممتثلاً نصح ذلك المؤمن خائفا يتوقع أن يتعرض له أعداؤه بالأذى في الطريق، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: 21-22]

وصول موسى - عليه السلام – ماء مدين:

فلما وصل إلى مدين توجه ناحية شجرة بجوار بئر، وجلس تحتها فرأى فتاتين، ومعهما أغنامهما تقفان بعيدًا عن الازدحام حتى ينتهي الناس، فتقدم موسى منهما، وسألهما عن سبب وقوفهما بعيدًا، فأخبرتاه أنهما لا يسقيان حتى ينتهي الناس من سقي أغنامهم، ويخف الزحام، وقد خرجا يسقيان لأن أباهما

شيخ كبير لا يستطيع أن يتحمل مشقة هذا العمل، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: 23-24]، ولما عادت الفتاتان إلى أبيهما، قصتا عليه ما حدث، فأعجب الأب بهذا الرجل الغريب وشهامته ومروءته، وأمر إحدى ابنتيه أن تخرج إليه، وتدعوه للحضور ليكافئه، ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 25] ، وهنا طلبت إحدى الفتاتين من أبيها أن يستأجر موسى ليعينهما فهو

رجل قوي أمين، قال تعالى : ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: 26-28] ، فوافق موسى على هذا الأمر، وتزوج إحدى البنتين، واستمر يرعى الغنم عشر سنين، ثم أراد موسى الرحيل والعودة بأهله إلى مصر، فوافق الشيخ الصالح على ذلك، وأكرمه وزوده بما يعينه في طريق عودته إلى مصر. (1)

تكليف موسى بالرسالة:

وسار موسى بأهله تجاه مصر، حتى حل عليهم الظلام، فجلسوا يستريحون من أثر هذا السفر، وكان الجو شديد البرودة، فأخذ موسى يبحث عن شيء يستدفئون عليه، فرأى ناراً من بعيد، فطلب من أهله الانتظار؛ حتى يذهب إلى مكان النار، ويأتي منها بشيء يستدفئون به، وتوجه موسى وفي يده عصاه ناحية النار التي شاهدها، فلما وصل إليها سمع نداء يقول: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ

---

(1) قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو؟ على أقوال: أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين. وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد. ورواه ابن أبي حاتم. حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز الأويسي، حدثنا مالك بن أنس؛ أنه بلغه أن شعيبا هو الذي قص عليه موسى قال: ولا تخف نجوت من القوم الظالمين، وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد العنزي أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "مرحبا بقوم شعيب وأختان، موسى هديت، وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب. وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب. وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة؛ لأنه قال لقومه: وما قوم لوط منكم ببعيد [هود: 95]. وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل، عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين موسى والخليل عليهما السلام، مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة، كما ذكره غير واحد. وما قيل: إن شعيبا عاش مدة طويلة، إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال، ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده، كما سنذكره قريبا إن شاء الله. ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه: "ثبرون"، والله أعلم. أهـ من تفسير ابن كثير (6/228)

شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴿٣١﴾﴾ [القصص: 30-31]، ومن هنا كان التكليف الإلهي لموسى - عليه السلام- بالرسالة فأمره الله-عز وجل-بالذهاب إلى فرعون لهدايته وتبليغه الدعوة، فاستجاب موسى لأمر ربه، ثم أخذ يدعو ربه بأن يوفقه لما هو ذاهب إليه، ويسأله العون والمدد، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: 25-28]، وسأل موسى ربه أن يعينه بأخيه هارون ليكون عونا له على مهمته، فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴿٣٦﴾﴾ [طه: 29-36]، وكان فرعون جبارا في الأرض شديد البطش والظلم ببني إسرائيل فتوجه هارون وموسى- عليهما السلام- إلى ربهما يدعوانه بأن ينقذهما من طغيان فرعون ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه: 45]، فقال لهما الله تعالى مطمئنا ومثبتًا: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46] ، فلما ذهب موسى مع أخيه هارون إلى فرعون قاما بدعوته إلى الله، وإخراج بني إسرائيل معهم، لكن فرعون راح يستهزئ بهما ، ويسخر منهما ، ومما جاءا به، وذكّر موسى بأنه هو الذي رباه في قصره وظل يرعاه حتى قتل القبطي وفر هاربًا، كما بين الله تعالى في قوله حكاية عن فرعون : ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: 18-22]، وقال فرعون مستنكرا ما قاله موسى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي

﴿أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: 23-33]

ومع هذه الآيات البينات؛ إلا أن فرعون أعلن في قومه أن موسى - عليه السلام- ساحر، ليهوّن من شأن موسى -عليه السلام-، وينال منه، منعا لقومه أن يميلوا إليه، فقال: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: 34-37]

واتفقوا على أن يكون الموعد يوم عيدهم: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59]، ويوم الزينة يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه [1]، فاختاره موسى عليه السلام حتى يحضر الكثير من الناس هذا المشهد، واختار وقت الضحى ليكون كل شيء واضح لكل ذي عينين.

وسارع فرعون في إعلان الموعد لجميع الناس، ليشهدوا هذا اليوم، وكتب إلى كل السحرة ليعدوا العدة لذلك اليوم.. وجاء اليوم المنتظر، وتسابق الناس إلى ساحة المناظرة، قال تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: 38-42]، وعرض السحرة على موسى أحد أمرين؛ إما أن يلقي عصاه أولاً أو يلقوا عصيهم أولاً؟ فترك لهم موسى البداية.

---

1) ينظر تفسير الطبري (18/323)

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۝٦٥ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۝٦٦ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۝٦٩ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۝٧٠﴾ [طه: 65-70]، لقد آمن السحرة بعد أن تيقنوا أن ما حدث ليس سحرا – فهم أعلم الناس بالسحر- وإنما هو حقيقة ووقع كل منهم سجدا لله وحده معلنين إيمانهم بالله وبرسالة رسوليه موسى وهارون -عليهما السلام-، وهنا اشتد غيظ فرعون وأخذ يهدد السحرة ويتوعدهم بالعذاب والنكال، كما قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۝٧١ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٧٢ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝٧٣ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝٧٤ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۝٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۝٧٦﴾ [طه: 71-76]

التحريض على قتل موسى:

أصدر فرعون أوامره لجنوده أن يقتلوا أبناء الذين آمنوا من بني إسرائيل، ويتركوا النساء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127] ، واستطاع فرعون بهذه التهديدات أن يرهب الضعاف من قوم موسى، فلم يؤمنوا به خوفًا من فرعون وبطشه، قال تعالى : ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى

﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: 83]

عقاب الله لفرعون وقومه لعلهم يرجعون:

ومع بلوغ فرعون ما بلغ من الفجور والبغي والظلم والعلو في الأرض وموافقة قومه له في ذلك؛ سلط الله عليهم أعوام جدب وفقر حيث قل ماء النيل، ونقصت الثمار، وجاع الناس، وعجزوا أمام بلاء الله - عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 130]، ثم أنزل الله بهم أنواعًا أخرى من العذاب لاستكبارهم وإصرارهم على الكفر بالله وبرسوله، قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133]

ولجأ قوم فرعون لنبي الله موسى أن يدعو ربه بكشف هذا العذاب عنهم على وعد بإطلاق سراح بني إسرائيل، فدعا موسى ربه حتى استجاب له، وكشف ما أصاب فرعون وقومه من عذاب وبلاء، لكن فرعون زاد في عناده وكفره بالله، ولما رأى موسى إصرار فرعون على كفره وجحوده، وتماديه في غيّه وتكذيبه بكل الآيات التي جاء بها، دعا عليهم فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88] ، واستجاب الله لدعاء نبييه فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 89]

خروج موسى - عليه السلام ببني إسرائيل:

وأمر الله -تبارك وتعالى- نبييه - موسى وهارون - عليهما السلام – (أن يخرجا ببني إسرائيل من مصر، فخرجوا على حين غفلة من فرعون وقومه فلما علم فرعون بخروجهم، خرج بجنوده في طلبهم بغيا وعدوا، فلما أدركهم قالوا يا موسى كيف الخلاص؟ والبحر أمامنا والعدو وراءنا، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، فسلك موسى ببنى إسرائيل طريقا في البحر يبسا ووصل فرعون وجنوده إلى الساحل وكان طريق بني

إسرائيل في البحر لا يزال باقيا، فسار فيه فرعون بجنوده فلما اكتملوا جميعًا فيه وهم أولهم بالخروج، انطبق البحر عليهم وأغرقوا أجمعين)[1]

قال الحق -تبارك وتعالى-: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: 60-63]، ولما أدرك فرعون أنه سيغرق أراد أن ينجو فقال آمنت بإله بني إسرائيل، لكن هيهات هيهات ، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: 90-92]، لقد نفذ أمر الله، وغرق فرعون لأنه آمن وهو يعاين الموت وهذا وقت لا تنفع فيه التوبة، ولا ينفع الندم.

بنو إسرائيل في سيناء:

عبرَ موسى -عليه السلام- وقومه البحر، ومَضَوْا في طريقهم حتى وصلوا إلى قومٍ يتّخذون الأصنام آلهةً لهم، فطلب قوم موسى منه أن يتّخذوا آلهةً كما لهم، فأجابهم موسى -عليه السلام- مستنكرا: كيف تطلبون هذا الطلب وقد أنجاكم الله من فرعون وبطشه بكم وبأولادكم كما بين ذلك الحق -تبارك وتعالى- فقال: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: 138-141]

---

(1) ينظر تفسير الطبري (134/4)

موسى يذهب للقاء ربه:

واعد الله موسى أن يكلمه في موعد بعد أربعين ليلة، واستخلف موسى أخاه هارون، ثم ذهب للقاء ربّه، وكلَّمَه الله -تعالى- من وراء حجابٍ، فطلب موسى منه -سبحانه- أن يراه، فأخبره ربّه بأنّه لا يمكنه تحمُّل ذلك؛ وأعطاه برهانا حسيا على ضعفه، قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: 142-144]

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه، فقال: يا محمد، إن رجلا من أصحابك من الأنصار لطم وجهي، قال: (ادعوه). فدعوه، قال: (ألطمت وجهه). قال: يا رسول الله، إني مررت باليهود فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، قال: قلت: أعلى محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: فأخذتني غضبة فلطمته، قال: (لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور).)[1]

ثم أَخذ الألواح، وأمره أن يأخذها بقوة وأن يعمل بما فيها ، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الديات، باب: إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب، حديث رقم: (6519)

﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: 145-146]

السامريّ وعبادة العجل:

وعلم موسى وهو يكلم رب العزة أن قومه قد فتنوا وعبدوا العجل، وأن رأس الفتنة في ذلك السامري الذي صنع لهم عجلاً من الحليّ التي أخذوها من المصريين عند خروجهم، وادّعى أنّه إلهُهم، وأنّ عليهم عبادته، ففُتِن القوم، وعبدوه من دون الله، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴿٨٩﴾﴾ [طه: 88-89]، ونهاهم هارون -عليه السلام- عن ذلك، فلم يستجيبوا له، بل اشتدّ تمسُّكهم بعبادة العجل، فقالوا: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه: 91]، فلمّا عاد موسى -عليه السلام- إلى قومه وقد اشتد غضبه وأسفه قال لهم معاتبا ومستنكرا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 86] ، واشتد على أخيه هارون -عليه السلام-، وأمسك برأسه ولحيته حتى استرحمه أخوه بقوله: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: 94]، وأخبره أنّهم استضعفوه، وكادوا يقتلونه، فلم يقوَ على رَدعهم.

ثمّ توجه بالسؤال إلى السامريّ، فسأله عن فِعلته، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴿٩٧﴾﴾ [طه: 95-97]

نعم الله على بني إسرائيل:

ومن نعم الله تعالى على بني إسرائيل أنهم وهم في الصحراء أراهم الله آياته من تظليل الغمام لهم وساق لهم من الطعام الطيب، قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 57]، ثم فجر لهم الله اثنتي عشرة عينا ليشربوا ماء عذبا سهلا يسيرا في هذه الصحراء، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ **[البقرة: 60]**، ومع كل هذه النعم طلب بنو إسرائيل من موسى أن يأكلوا مطعومات أخرى غير المن والسلوى كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ **[البقرة: 61]**

يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة:

وتنفيذا لأمر الله -تبارك وتعالى- أمر موسى -عليه السلام- أن يدخلوا الأرض المقدسة فلسطين، وبين لهم أن الله كتب لهم دخولها والنصر على عدوهم؛ فلا ينبغي أبدا أن ينكلوا عن أمر الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝٢٠ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝٢١﴾ **[المائدة: 20-21]**

ولكن بني إسرائيل كعادتهم جادلوا نبيهم وقالوا له: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ **[المائدة: 22]**، وهنا ألهم الله رجلين مؤمنين أن يقولا لهم: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ

﴿يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] فقط عليكم أن تأخذوا بالأسباب، وقلوبكم معلقة بالله الذي بيده النصر، لكن القوم قد تمكن الجبن والضعف منهم فقالوا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]

وهنا توجه موسى -عليه السلام- بالشكوى إلى ربه قائلا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 25]، وقد استجاب الله- تبارك وتعالى- دعاءه فيهم، فقال: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 26]

وفاة موسى عليه السلام ومكان دفنه:

وبقي موسى في قومه في فترة التيه حتى وافاه الأجل، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن موسى لما حضرته الوفاة :فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، والحديث رواه أبو هريرة – رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر.)[1]

فسأل موسى ربه أن يقبضه على مشارف الأرض المقدسة التي كان يتشوف أن يدخلها مع قومه، فلما حدث منهم ما حدث من نكول سأل الله ذلك، ومقدار رمية حجر أي قريبا منها أو على مشارفها.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب: من أحب الدفن ليلا في الأرض المقدسة أو نحوها حديث رقم (1274) ورواه مسلم في كتاب الفضائل باب فضائل موسى حديث رقم (2372) بتحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري وآخرون، الناشر: دار الطباعة العامرة – تركيا، عام النشر: 1334 هـ

****

7- خاتم الأنبياء والمرسلين

محمد - صلى الله عليه وسلم-

ولد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب -صلى الله عليه وسلم- بمكة، يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، عام الفيل في أشرف بيت من بيوت العرب، وهم بنو هاشم، وكان قد توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه. (1)

في بني سعد:

واسترضع له امرأة من بني سعد، وهي حليمة، ورأت حليمة من بركته ما قصت منه العجب، وفي السنة الرابعة من مولده وقع حادث شق صدره وخشيت عليه حليمة بعد هذه الوقعة فردته إلى أمه، فكان عند أمه إلى أن بلغ ست سنين، ثم ماتت أمه فكفله جده حتى مات عنه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب.

حرب الفجار:

وفي العشرين من عمره صلى الله عليه وسلم وقعت حرب بين قريش وبين قَيْس عَيْلان، تعرف بحرب الفجار، وسميت بذلك؛ لانتهاك حرمة الشهر الحرام فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ينبل على عمومته؛ أي يجهز لهم النبل للرمي.

حلف الفضول:

وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

زواجه بخديجة:

ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عمل معين في أول شبابه، إلا أن الروايات توالت أنه كان يرعى غنمًا، ويبدو أنه انتقل إلى عمل التجارة حين شب، وفي

---

(1) نظرا لاتساع الكلام في سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم بما يتسع له مجلدات فقد قام الباحث بتلخيص هذا المبحث من كتاب الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري ط دار الوفاء الطبعة العشرون 2009

الخامسة والعشرين من سنه خرج تاجرًا إلى الشام في مال خديجة، ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، فوجدت ضالتها المنشودة فيه فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها، فذهبت إليه تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم أعمامه، وتم الزواج، وكل أولاده صلى الله عليه وسلم منها سوى إبراهيم.

حالة العرب قبل الإسلام:

كانت العرب قد انتشرت بينهم عبادة الأصنام، وكانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت، ومع ذلك كانوا يشركون به ويدعون معه غيره، بل كانت الكعبة وهي بيت الله المعظم تحيط بها الأصنام من كل جانب.

جبريل ينزل بالوحي:

ولما تكامل له أربعون سنة أكرمه الله بالنبوة، وأنزل عليه أول ما نزل من آيات سورة العلق، قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ **[العلق: 1-5]**، ثم انقطع الوحي أياماً، ثم عاد بتكليف النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ **[المدثر: 1-7]**

ثلاث سنوات من الدعوة السرية:

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ وكان من الحكمة أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية؛ فعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام أولا على ألصق الناس به من أهل بيته وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم ويعرفونه، وعرف هؤلاء بالسابقين الأولين.

الجهر بالدعوة

نزل الوحي يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعلان الدعوة، قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ **[الحجر: 94-95]**

مقاومة قريش للدعوة

انزعج كفار مكة من دعوة التوحيد، ورأوا فيها تهديدا لمراكزهم وسيادتهم ولمعتقداتهم الموروثة عن آبائهم ، فانتصبوا لعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومقاومة دعوته وإلحاق الأذى به؛ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه، يظهر دين الله، ويدعو إليه وانتشر خبره بين القبائل، وآمن به بعض الأفراد القلائل، ووثبت كل قبيلة من قريش على من فيها من مستضعفي المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم، بالضرب والجوع ، والعطش، ورمضاء مكة والنار ليفتنوهم عن دينهم، ولم يسلم الرسول صلى الله عليه وسلم منهم فقد لحق به أشد أنواع الأذى، وكانوا يسخرون ويستهزئون به فاتهموه بالجنون، واتهموه بالسحر والكذب.

المبالغة في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم:

في الحديث عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا ثلاثا، وإذا سأل ثلاثا، ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم، عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب،- قليب بدر -.) [1]

(1) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب: إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، حديث رقم (237) ورواه مسلم في صحيحه في الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم: (1794)

ومع ذلك فقد استمر النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله تعالى صابرا محتسبا، فكان يحضر مجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، وفي الحج يبلغ الرسالة ويؤدي الأمانة ويعرض الدعوة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه لتحمل أذى المشركين، ويربيهم على الصبر والثبات وتحمل الأذى، ولمَّا اشْتَدّ بهم البَلاءُ أَذِنَ اللهُ لهمُ بالهجرَةِ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ، ثم عادوا بعد أن سمعوا أن قريشا قد كفت عن الأذى، وكان ذلك غير صحيح، فلما اشتد الأذى أذِنَ لهم الرسُولُ صلى الله عليه وسلم بالهجرة إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّةً ثانيةً.

بيعة العقبة الثانية:

وفي العام 12 من البعثة، وافى اثنا عشر رجلا من الأنصار في الموسم، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه، فلما عادوا أرسل معهم مصعب ابن عمير إلى المدينة، وفي العام الذي يليه حضر من الأنصار جماعة في موسم الحج، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مستخفين، وكانوا سبعين رجلا وامرأتين، وبايعوه على النصرة والتأييد، وعلى أن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأهليهم.

وبدأ المسلمون بالهجرة إلى المدينة، ورأت قريش أن الرسول قد صار له شيعة وأصحاب بغير بلدهم، فتآمروا على قتله فأنجاه الله منهم، وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة أبي بكر- رضي الله عنه- تحفهما عناية الله وحفظه، ووصل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه المدينة، واستقبله الأنصار بحفاوة بالغة، وقام ببناء المجتمع في المدينة، فبدأ أولا ببناء مسجده بالمدينة، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار، وأقام معاهدة مع اليهود بالمدينة.

غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان الأمر الإلهي للنبي وصحبه بمكة ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ [النساء: 77] ، فلما هاجروا إلى المدينة، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يعد العدة لمواجهة أعداء الإسلام، وأذن الله للمؤمنين بالقتال كما في قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39] ، فواجه قريشا في غزوة بدر وهزمهم شر هزيمة، ثم كانت غزوة أحد، ثم غزوة الخندق فهزم الله الأحزاب ، ثم تتابعت الغزوات والسرايا، فكانت الحديبية، ثم خيبر، إلى أن جاء فتح مكة فدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معه عشرة آلاف مقاتل واستسلمت قريش وعفا عنهم.

الناس يدخلون في دين الله أفواجاً:

كان فتح مكة معركة فاصلة، قضت على الوثنية قضاء باتاً، عرفت العرب لأجلها الحق من الباطل، وزالت عنهم الشبهات، فتسارعوا إلى اعتناق الإسلام، ولذلك نري الوفود تقصد المدينة تتري في العامين التاسع والعاشر، ونري الناس يدخلون في دين الله أفواجا، حتى إن الجيش الإسلامي الذي كان قوامه عشرة آلاف مقاتل في غزوة الفتح، إذا هو يبلغ ثلاثين ألف مقاتل في غزوة تبوك قبل أن يمضي على فتح مكة عام كامل.

حجة الوداع

أعلن النبي صلى الله عليه وسلم بقصده لهذه الحجة المبرورة، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخرج صلى الله عليه وسلم فواصل سيره حتى دخل مكة - فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت، وسعي بين الصفا والمروة، ولم يَحِلَّ لأنه كان قارناً قد ساق معه الهدي، وفي يوم عرفة قام فيهم خطيباً، وبعد أن فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من إلقاء الخطبة نزل عليه قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ **[المائدة: 3]**، وباشر بقية المناسك على ما هو مبين بكتب الفقه.

وفاة رسول الله:

وبعد رجوعه - صلى الله عليه وسلم- من الحج، وفي شهر ربيع الأول بدأ به المرض، ثم اشتد وجعه حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى في 12 ربيع الأول 11هـ.

****

الباب الأول

المناهج الدعوية في رسالة

نوح -عليه السلام-

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني/ المنهج العقلي.

الفصل الثالث/ المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة نوح -عليه السلام-

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول

المنهج العاطفي في دعوة نوح عليه السلام

تعريفه:

لغة: مأخوذ من الفعل عطف: والذي يأتي في اللغة بعدة معان منها: البر والصلة والرقة، وحسن الخلق، والشفقة، والحنو، والميل.[1]

واصطلاحا هو: "النظام الدعوي الذي يرتكز على القلب، ويحرك الشعور والوجدان." [2]

وعند تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله نوح – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في دعوة قومه من خلال عدة أساليب، سيتكلم عنها الباحث من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الرفق.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

---

(1) ينظر لسان العرب مادة (عطف) (4/2996)

(2) المدخل إلى علم الدعوة (204) مرجع سابق.

المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يا بني).

المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.

المطلب الأول: تعريف معنى الرفق:

الرِّفق لغة: مأخوذ من الرفق: والرفق ضد العنف، والرفق لين الجانب ولطافة الفعل.[1]

واصطلاحا: "هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف." [2]

والرفق للداعية دليل حسن الإسلام، وصلاح العبد وحسن خلقه، ودليل على فقه الرّجل وأناته وحكمته، ويثمر محبّة الله ومحبّة النّاس، وينشأ مجتمعا سالما من الغلّ والعنف.[3]

المطلب الثاني: نداؤه على قومه (يا قوم):

وقد تكرر نداء نوح -عليه السلام – على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: 59]

---

(1) ينظر لسان العرب مادة الفعل "رفق" (3/1694) ومقاييس اللغة لابن فارس (2/ 418) بتحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام: (1399هـ - 1979م.)

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (10/449) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية – مصر الطبعة: «السلفية الأولى»، 1380هـ - 1390 هـ

(3) ينظر نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم (6/2168) لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة بدون تاريخ طباعة.

أي: (قال نوح لقومه- على سبيل التلطف في النصح، والتقرب إلى قلوبهم- يا قوم ويا أهلي وعشيرتي: إني لكم منذر واضح الإنذار، ولا أسألكم على هذا الإنذار الخالص أجرا، وإنما ألتمس أجرى من الله.

وإني آمركم بثلاثة أشياء: أن تخلصوا لله- تعالى- العبادة، وأن تتقوه في كل أقوالكم وأفعالكم، وأن تطيعوني في كل ما آمركم به وأنهاكم عنه، وافتتح كلامه معهم بالنداء يا قَوْمِ، أملا في لفت أنظارهم إليه، واستجابتهم له، فإن النداء من شأنه التنبيه للمنادى.) (1)

المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوهم:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ **[الشعراء: 106]،**" فكلمة (أخوهم) وهي تعني أخوة النسب لا الدين، تثير فيهم عاطفة الأخوة النسبية وتوحي لهم بأنه يريد لهم الخير فهو ليس بعيدا عنهم ولا غريبا منهم، إنه أخوهم." (2)

"وإنما ابتعث الله الرسل، من نسب من أرسل إليهم، لئلا يشمئزوا من الانقياد له، ولأنهم يعرفون حقيقته، فلا يحتاجون أن يبحثوا عنه." (3)

المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يا بني):

وقد صور لنا القرآن هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝٤٣**﴾ **[هود: 42-43]،** وهنا تظهر عاطفة الأبوة في نداء نوح على ابنه حينما بدأ الطوفان لعله يسمع له أو يعقل فينجو من الغرق، فالسفينة بدأت في الجريان والأمواج مرتفعة كالجبال، ينادي نوح ابنه (وكان هذا الابن في مكان منعزل، فقال له نوح بعاطفة الأبوة الناصحة الملهوفة يا بنى اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع القوم الكافرين الذين سيلفهم الطوفان بين أمواجه عما قريب، ولكن هذه النصيحة الغالية من الأب الحزين على مصير ابنه، لم تجد أذنا واعية من هذا الابن العاق المغرور، بل رد

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي (15/111)

(2) المستفاد من قصص القرآن للدعاة (ص 1/131) مرجع سابق

(3) تفسير السعدي (ص 594) ط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م

على أبيه: **(قالَ سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ)** أي: قال: سألتجئ إلى جبل من الجبال الشاهقة، لكي أتحصن به من وصول الماء إلىّ.
وهنا يرد عليه أبوه الرد الأخير فيقول- كما حكى القرآن عنه-: (قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) أي: قال نوح لابنه: لا معصوم اليوم من عذاب الله إلا من رحمه- سبحانه- بلطفه وإحسانه، وأما الجبال وأما الحصون.. وأما غيرهما من وسائل النجاة، فسيعلوها الطوفان، ولن تغنى عن المحتمي بها شيئا. (1)

المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه:

فقد بين نبي الله نوح لقومه خوفه عليهم إن استمروا على ضلالهم وكفرهم بالله فقال لهم: ﴿**إِنَّنِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ [هود: 25-26]، (وقوله: **(إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ)** جملة تعليلية، تبين حرص نوح الشديد على مصلحة قومه ومنفعتهم، أي إني أحذركم من عبادة غير الله، لأن هذه العبادة ستؤدى بكم الى وقوع العذاب الأليم عليكم، وما حملني على هذا التحذير الواضح إلا خوفي عليكم، وشفقتي بكم، فأنا منكم وأنتم منى بمقتضى القرابة والنسب.) (2)

إنها الرحمة التي أنزلها الله في قلوب أنبيائه ففاضت على أقوامهم رفقا ولينا وصبرا عليهم، وحرصا على هدايتهم، وشفقة عليهم من عاقبة عنادهم وتكذيبهم، وهذا درس للدعاة إلى الله بإظهار العاطفة تجاه من ندعو، وإشعاره بالخوف عليه من عذاب الله إن أصر على ما هو عليه من معصية الله.

المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات:

لما دعا نوح – عليه السلام- على الكافرين من قومه بالهلاك والدمار- كما سيأتي في موضعه -، لم ينس الدعاء لنفسه بالمغفرة ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات، كما قال تعالى: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**﴾ **[نوح: 28]**

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي مرجع سابق (7/209)

(2) المرجع السابق (7/190)

وهذه عاطفة المؤمن حينما يمتلئ قلبه بالرحمة فتفيض على كل من حوله، بل وتمتد دعوته عبر السنين والقرون لتصيب جميع المؤمنين والمؤمنات.

يقول الأستاذ سيد قطب: (وإلى جانب الدعوة الساحقة الماحقة التي جعلها خاتمة دعائه وهو يقول: «وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً» إلى جانب هذا كان الابتهال الخاشع: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28]، ودعاء نوح لربه أن يغفر له هو أدب العبد في حضرة الرب، العبد الذي لا ينسى أنه بشر، وأنه يخطئ، وأنه يقصر، مهما يطع ويعبد، ودعاؤه الخاص لمن دخل بيته مؤمنا هو بر المؤمن بالمؤمن وحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، وتخصيص الذي يدخل بيته مؤمنا، لأن هذه كانت علامة النجاة، وحصر المؤمنين الذين سيصحبهم معه في السفينة، ودعاؤه العام بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات هو بر المؤمن بالمؤمنين كافة في كل زمان ومكان) [1]

وفي هذا درس للدعاة إلى الله، فنوح -عليه السلام- بعد هذا الجهاد الطويل مئات السنين وهو يدعو إلى الله بشتى الوسائل والأساليب، ويصبر ويتحمل الأذى، ومع ذلك كله لم يغترَّ أو يُعجب بنفسه، بل ختم ذلك كله باتهام نفسه بالتقصير، وطلب المغفرة والرحمة من ربه عز وجل، ثم دعا لوالديه ولسائر المؤمنين.

المبحث الثاني / الترغيب

من أولى مهام الرسل جميعا تبشير المؤمنين الصادقين، بحسن الثواب، وترهيب وإنذار الكافرين المعرضين عن الإيمان بالعقاب الشديد، وهو ما اصطُلح عليه عند علماء الدعوة بالترغيب والترهيب، لأن طبيعة الإنسان الرغبة فيما ينفعه فيسعي إلى تحقيقه والإقبال عليه، وترك ما يضره والفرار منه.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب.

المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق.

---

(1) تفسير الظلال لسيد قطب (ص 3717 / 6) باختصار يسير.

المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار.

المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة.

المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب:

الترغيب لغة: الحرص على الشيء والطمع فيه، والرغبة: السؤال والطمع، ورغبه: أعطاه ما رغب. (1)

وفي نضرة النعيم: "أما الترغيب فهو مصدر قولهم: رغبه في الشيء أي أوجد فيه الرغبة إليه، ويكون ذلك بتحسينه وتزيينه، لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها." (2)

وعلى هذا فإن الترغيب لغة: حث الإنسان على فعل شيء وتحبيبه إليه.

ويقصد بالترغيب اصطلاحا: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه." (3)

المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق:

وقد جاء ذلك في عدة مواضع من قصة نوح في القرآن الكريم:

1- قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿**لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ**﴾ [الأعراف: 59]

في هذه الآية بين الله أن نبيه نوحا -عليه السلام- دعا قومه إلى ثلاثة أشياء:

- عبادة الله وحده لا شريك له، فقال: {يَا قَوْمِ اعبدوا الله}
- وبين لهم أنه ليس هناك إله سواه فقال: {مَا لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرُهُ} ومقتضى ذلك بطلان عبادتهم لأصنامهم.

---

(1) ينظر لسان العرب مادة "رغب"(3/1679) والمعجم الوسيط (1/356)

(2) موسوعة نضرة النعيم (6/2127)

(3) أصول الدعوة (ص437) مرجع سابق

- وأظهر لهم حرصه وشفقته عليهم إذا عصوا الله بأن عاقبة ذلك العذاب من الله، فقال: ﴿**إِنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾

إن نوحا – عليه السلام- جاء ليردهم إلى التوحيد بعبادة الله وحده فلا إله غيره ولا رب سواه، (والمنهج القرآني يكثر من الربط بين عبودية هذا الكون لله، ودعوة البشر إلى الاتساق مع الكون الذي يعيشون فيه والإسلام لله الذي أسلم له الكون كله والذي يتحرك مسخراً بأمره، ذلك أن هذا الإيقاع بهذه الحقيقة الكونية كفيل بأن يهز القلب البشري هزاً وأن يستحثه من داخله على أن ينخرط في سلك العبادة المستسلمة فلا يكون هو وحده نشازاً في نظام الوجود كله! إن الرسل الكرام لا يدعون البشرية لأمر شاذ إنما يدعونها إلى الأصل الذي يقوم عليه الوجود كله وإلى الحقيقة المركوزة في ضمير هذا الوجود.. وهي ذاتها الحقيقة المركوزة في فطرة البشر والتي تهتف بها فطرتهم حين لا تلوي بها الشهوات، ولا يقودها الشيطان بعيداً عن حقيقتها الأصيلة.) (1)

2- ولما دعا نوح – عليه السلام – قومه إلى التوحيد كان أول من تصدى لدعوته الملأ، فقالوا له: ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأعراف: 60]، فلم يكن منه عليه السلام إلا أن رد عليهم قائلا: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **[الأعراف: 61]** أي: لست ضالا، وإنما أنا رسول الله الذي أمرني أن أرشدكم إلى توحيده ومعرفة أوامره ونواهيه، ثم قال: ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ **[الأعراف: 63]**، ولأن النفوس تنفر وتعجب من كل جديد يخالف ما اعتادوه ودرجوا عليه قال لهم: "لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس يعجب أن يوحي الله إلى رجل منكم، رحمة بكم ولطفا وإحسانا إليكم، لأنذركم ولتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به، (ولعلكم ترحمون) (2)

(وانظر إلى كلمة (رجل منكم) وما فيها من التواضع وكرم النفس، واستمالة القلوب، وتبين أنه رجل منهم، له ما لهم، وعليه ما عليهم، مع ما بينه وبينهم من صلة النسب والقرابة والدم؛ ليلفت انتباههم إلى الخوف النابع من المحبة لهم

---

(1) في ظلال القرآن (3/1307) مرجع سابق

(2) تفسير ابن كثير (2/308) مرجع سابق.

التي اقتضتها فطرة الله التي فطر الناس عليها، من محبة الإنسان لأهله وقومه وعشيرته) [1]،

إذن فأنا منكم تجمعني بكم صلة وقربى وأنتم تعرفونني جيدا؛ قال هذا لطمأنتهم وليكون أقرب لقلوبهم.

(وقوله: (لِيُنْذِرَكُمْ) علة للمجيء، أي: وليحذركم العذاب والعقاب على الكفر والمعاصي، وقوله: (وَلِتَتَّقُوا) علة ثانية مرتبة على العلة التي قبلها، أي: ولتوجد منكم التقوى، وهي الخشية من الله بسبب الإنذار، وقوله: وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ علة ثالثة مترتبة على التي قبلها. أي: ولترحموا بسبب التقوى إن وجدت منكم، قال بعض العلماء: وهذا الترتيب في غاية الحسن، لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى. ومن التقوى الفوز بالرحمة.)[2]

3- وفي سورة (نوح) رغبهم في الإيمان بالله وتوحيده، وأن ذلك سيكون سببا لمغفرة ذنوبهم وتأخيرهم إلى أجل مسمى برفع العذاب عنهم، قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤**﴾ **[نوح: 2-4]**، أي قال نوح لقومه: (يا قومي، إني لكم منذر من عذاب الله ومخوف إياكم، واضح الإنذار والإعلام. ومضمون دعوتي: أني آمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن تؤدّوا حقوقه، وتمتثلوا أوامره، وتجتنبوا نواهيه التي توقعكم في العذاب، وتطيعوني فيما آمركم به وأنهاكم عنه، والتقوى: امتثال الأوامر، واجتناب المحرّمات، وثمرة التكاليف أمران: أنه تعالى يستر لكم بعض ذنوبكم، ويمدّ في أعماركم، ويؤخر موتكم إلى أمد محدد قدره الله لكم، إن آمنتم وأطعتم. وقوله: مِنْ ذُنُوبِكُمْ من للتبعيض، وهذا وعد كريم على الطاعة والعبادة بشيئين: دفع مضارّ الآخرة وهو غفران الذنوب، وتحقيق منافع الدنيا، وهو تأخير الأجل إلى وقت آخر.) [3]

---

(1) أدب الأنبياء مع الخلق في القرآن الكريم رسالة ماجستير للباحث عبد الله الغامدي (ص 269) مقدمة لجامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة التفسير في العام الجامعي :1429 هـ – 1430هـ، والرسالة لم تتول طبعها دار نشر.

(2) التفسير الوسيط للقرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي مرجع سابق (ص5/300)

(3) التفسير الوسيط للزحيلي (ص 3/2743) ط دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى - 1422 هـ

4- ولما رد نوح على قومه وأبطل كل حججهم في عدم الإيمان به قالوا له: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]، لما ألجمهم بالحجة وجاءهم بالحق الناصع والبيان الواضح قالوا له: على سبيل التحدي نحن مصرون على تكذيبك ولن نؤمن لك، فأتنا بما تعدنا من العذاب الأليم إن كنت من الصادقين.

(وهذا شأن الجاهل المعاند، إنه يشهر السيف إذا أعجزته الحجة، ويعلن التحدي إذا يئس عن مواجهة الحق، فقال لهم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: 33-35]، ولكن نوحا- عليه السلام- لم يخرجه هذا التحدي عن سمته الكريم، ولم يقعده عناد قومه عن مداومة النصح لهم، وإرشادهم إلى الحقيقة التي ضلوا عنها، فقد رد عليهم بقوله إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ- إِنْ شاءَ- وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ، أي: إنما يأتيكم بهذا العذاب الذي تستعجلونه الله- تعالى- وحده، إن شاء ذلك، لأنه هو الذي يملكه وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ أي: وما أنتم بمستطيعين الهروب من عذابه متى اقتضت مشيئته- سبحانه- إنزاله لكم، لأنه- تعالى- لا يعجزه شيء.) (1)

5- ولما أمر الله – تعالى - نبيه نوحا بصنع السفينة، أخذ قومه يسخرون منه، ويتهكمون عليه، كما بين ذلك الحق جل وعلا بقوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [هود: 38-39]، فتوعدهم بقوله: (إن تسخروا منا لصنع هذه السفينة، فإنا سنسخر منكم في المستقبل حين الغرق، كما تسخرون منا الآن، فسوف تعلمون قريبا

(1) التفسير الوسيط للقرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي مرجع سابق (7/198)

بعد تمام العمل من يأتيه عذاب يهينه في الدنيا، وهو عذاب الغرق، ويحل عليه عذاب مقيم، أي دائم مستمر.) [1]

المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار:

وترغيبا في إيمان قومه بالله ورجوعهم عن غيهم وعد نوح - عليه السلام - قومه بخيرات وبركات، فقال لهم: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢**﴾ **[نوح: 10-12]**، وكأنه يريد أن يقول لهم: إن المخرج من ضيق الأرزاق وقلة الأقوات هو العودة إلى الله والإيمان به وحدة والتوبة والاستغفار من ذنوبكم، (فوعدهم على التوبة من الكفر والعصيان بخمسة أشياء: إرسال المطر المتتابع، الكثير الغزارة ليكثر الخير والخصب، والإمداد بالأموال الكثيرة، وإكثار الذرّية والأولاد بسبب الأمن والرفاه، ومنحهم بساتين نضرة عامرة بالأشجار والثمار، وجعل الأنهار جارية بالماء العذب، ليكثر الزرع والثمر والغلة.) [2]

المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة:

لما حانت ساعة وقوع العذاب على الكافرين وفار الماء من التنور كعلامة على بداية الطوفان؛ أشار نوح – عليه السلام – على المؤمنين بركوب السفينة قائلا :﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ **[هود:** 41]، وهو بذلك يذكر أتباعه المؤمنين بأن نجاتهم من الغرق بركوب السفينة إنما هو برحمة الله فإن جريانها ورسوها إنما يكون بقدرة الله، فقال لهم اركبوا: (بِسْمِ اللَّهِ يَكُونُ جَرْيُها عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَبِسْمِ اللَّهِ يَكُونُ مُنْتَهَى سَيْرِهَا، وَهُوَ رُسُوها). [3]

ولعل نبي الله نوح أراد بهذا أن يربي المؤمنين لتتعلق قلوبهم بالله وحده فهو المُجري للسفينة وهو المُرسي لها، وكل نعمة تحدث فهي من فضله ومنته، فاذكروا الله الذي بيده الأمر كله ولا تخافوا من الغرق.

---

(1) التفسير الوسيط للزحيلي (2/1041)

(2) المرجع السابق (3/2744)

(3) تفسير ابن كثير(ص2/602) مرجع سابق

"وجملة إن ربي لغفور رحيم تعليل للأمر بالركوب المقيد بالملابسة لذكر اسم الله تعالى، ففي التعليل بالمغفرة والرحمة رمز إلى أن الله وعده بنجاتهم، وذلك من غفرانه ورحمته، وأكد بإن ولام الابتداء تحقيقا لأتباعه بأن الله رحمهم بالإنجاء من الغرق ". [1]

المبحث الثالث/ الترهيب

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب.

المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله.

المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك.

المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب:

الترهيب لغة: من الفعل رهب: أي خاف، ورهب الشيء: خافه. والرهبة: الخوف والفزع.[2]

وفي نضرة النعيم: "أما الترهيب فهو مصدر قولهم: رهبه من الشيء بمعنى أخافه منه خوفا شديدا ترتعد له فرائصه، ويتحقق بذلك رهبة منه تخالج شعوره وتدفع صاحبها إلى البعد عنه وعما يؤدي إليه من أعمال في هذه الحياة الدنيا." (3)

وعلى هذا فإن معنى الترهيب: التخويف والتوعد بحصول شيء.

واصطلاحا: "كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله." [4]

---

(1) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (12/74) مرجع سابق

(2) ينظر لسان العرب مادة "رهب"(3/1748) والمعجم الوسيط مادة "رهب" (1/376)

(3) موسوعة نضرة النعيم (6/2170)

(4) أصول الدعوة (ص437) مرجع سابق

المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله:

إذا كان الترغيب عاملا مهما من عوامل الاستجابة لله والإيمان به، فإن التخويف عامل آخر، بل إنه العامل الأقوى؛ ذلك لأنه لا شيء يعدل سلامة الإنسان ونجاته من العذاب، ولذلك توعد الله عز وجل الكفار من قوم نوح بالعذاب الأليم، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٢٥ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦﴾ [هود: 25-26]، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: 1] والعذاب الأليم يحتمل أن يكون في الدنيا، ويحتمل أن يكون في الآخرة، أو فيهما جميعا، وكلاهما فيه هلاك للإنسان، وإن كان العذاب الأخروي هو أشد وأنكى.

المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك:

مضى نبي الله في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، كما ذكر القرآن ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14]، ومضى نوح طوال هذه المدة يدعو قومه إلى التوحيد ونبذ الشرك وعبادة الأصنام لكنهم تمادوا في غيهم وكفرهم حتى أوحى الله إليه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]

(فالقلوب المستعدة للإيمان قد آمنت، أما البقية فليس فيها استعداد ولا اتجاه، هكذا أوحى الله إلى نوح، وهو أعلم بعباده، وأعلم بالممكن والممتنع، فلم يبق مجال للمضي في دعوة لا تفيد، ولا عليك مما كانوا يفعلونه من كفر وتكذيب وتحد واستهزاء.) [1]، وهنا دعا نوح ربه قائلا: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ [نوح:

(1) تفسير الظلال لسيد قطب (ص1876/ 4) مرجع سابق

27-26]، أي: (يا رب، لا تترك على الأرض من هؤلاء الكافرين واحدا يسكن دارا، بل اقطع دابرهم جميعا، لا تترك منهم أحدا سالما، بل أهلكهم جميعا لأنك إن تترك منهم أحدا على أرضك بدون إهلاك، فإن هؤلاء المتروكين من دأبهم- كما رأيت منهم زمانا طويلا- إضلال عبادك عن طريق الحق... لن يلدوا إلا من هو مثلهم في الفجور والكفران لأنهم قد نشّأوا أولادهم على كراهية الحق، وعلى محبة الباطل. (1)

هل يجوز الدعاء على الكافرين بالهلاك والاستئصال؟

في عصرنا الحاضر نسمع بعض الدعاة عندما يدعو في النوازل، أو في قنوت الوتر في رمضان يدعو بدعاء نبي الله نوح فيقول: (اللهم لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أو يقول: (اللهم أهلك اليهود والنصارى أجمعين)، ومنهم من يفصل فيدعو قائلا: (اللهم يتم أطفالهم ورمل نساءهم.... الخ)

ولو تأملنا القرآن والسنة فلن نجد في القرآن أمرا بالدعاء على الكافرين بالإهلاك والتدمير، كما دعا نوح -عليه السلام-، ونوح قد دعا بذلك بعد أن أوحى الله إليه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ **[هود: 36]** (2)

إنما ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ **[البقرة: 250]**، وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝٨٦﴾ **[يونس: 85-86]**

وكذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم لن نجد من دعائه أنه دعا بعذاب الاستئصال على الكافرين، ومن دعائه في القنوت: (اللهم أنج سلمة بن هشام،

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي باختصار يسير (15/125) مرجع سابق

(2) أشار إلى هذا المعنى الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (18/312) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م

اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف) [1]

ومن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم: يوم الأحزاب على المشركين: (ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)[2]

وقال أيضا: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم)[3]

قال القاضي أبو بكر بن العربي[4] في أحكام القرآن: (لقد دعا نوح على الكافرين أجمعين، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين، وألب عليهم، وكان هذا أصلا في الدعاء على الكفار في الجملة، فأما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه؛ لأن مآله عندنا مجهول، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة للسعادة؛ وإنما خص النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء على عتبة وشيبة وأصحابه لعلمه بمآلهم، وما كشف له من الغطاء عن حالهم، والله أعلم) [5]

إذن فيجوز الدعاء على الكفار المحاربين للمسلمين، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، أما الدعاء بهلاك الكفار أجمعين فهو من الاعتداء في الدعاء، وليس من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أيضا يخالف ما يخبرنا به القرآن من

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة حديث رقم: (2774)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة حديث رقم: (2773)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة حديث رقم: (2775)

(4) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري، من أهل إشبيلية وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها، حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة 543هـ. انظر ترجمته في "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لابن فرحون، برهان الدين اليعمري تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور (2/252) الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

(5) أحكام القرآن للقاضي أبو بكر بن العربي (4/312)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م

أن كفر الكافرين يقع بإذن الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: 99]، فمن يستطيع أن يعارض إرادة رب العالمين؟[1]

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله.

المطلب الثاني: نعمة الخلق أطوارا.

المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوطة والسبل الفجاج.

المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة.

المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله:

التذكير لغة: من الفعل ذكر: وذكر الشيء حفظه واستحضره، وجرى على لسانه بعد نسيانه، وذكر النعمة شكرها، وذكر الشيء له: أعلمه به، وذكر حقه: حفظه ولم يضيعه، والتذكرة: ما تستذكر به الحاجة، وما يدعو إلى الذكر والعبرة. [2]

ونخلص من هذا أن التذكير هو التنبيه من غفلة، أو استحضار شيء منسي.

واصطلاحا: التذكير هو" تعريف الخلق نعم الله عز وجل عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته " [3]

---

(1) ينظر أيضا خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، للدكتور يوسف القرضاوي (43) ط دار الشروق الطبعة الأولى 1424 هـ 2004م

(2) ينظر لسان العرب مادة (ذكر) (3/1507)، والمعجم الوسيط مادة (ذكر)، ص (313)

(3) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ ص (71) طبعة دار الاعتصام الطبعة التاسعة 1399 هـ 1979 م

والنعم لغة: جمع النعمة: ضد البأساء، ونعمة العيش حسنه وغضارته، والنَّعيم مَا استمتع بِهِ، وغضارة الْعَيْش وَحسن الْحَال.[1]

ونخلص من هذا أن كلمة " النعمة " في أصل اللغة تدل على رفاهية العيش وحسنه وطيبه.

واصطلاحا هناك عدة تعريفات ذكرها العلماء منها:

1- "ما يقصد به الإحسان والنفع لا لغرض ولا لعوض"[2]

2- هي "ما يستلذه الإنسان أو يستطيبه، ولكنها هنا تفسر بأنها المنفعة التي تدوم، ويستطيبها القلب، سواء أكانت عاجلة أم آجلة، وسواء أكانت دنيوية أم كانت أخروية، وسواء أكانت مادية أم كانت روحية، وإن نعم الله تعالى على عباده لا يحصيها العدُّ ولا يحيط بها الحصر"[3]

3- النعمة: "عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير."[4]

ونخلص من هذه التعريفات أن النعمة اصطلاحا هي: كل منفعة يستطيبها القلب يقصد بها الإحسان إلى الغير، لا لغرض أو عوض.

معنى التذكير بالنعم: وبناء على هذا فإن التذكير بالنعم يقصد به: السُبُل التي يُسَلِكها الداعية لتذكير المدعوين، حيث يُسلِّط الضوء على النعم التي وهبها الله لهم، محفِّزًا إياهم على تأمل هذه النعم والاعتراف بفضل الله، وذلك يُعزِّز إيمانهم بالله المنعم، ويقوي وعيهم بتلك النعم، ويوجههم نحو الشكر الصادق لله على هذه النعم.

المطلب الثاني: نعمة الخلق أطوارا:

ذكر نوح –عليه السلام- قومه ببعض نعم الله عليهم: ومنها نعمة الخلق من العدم وتكوينهم طورا بعد طور، قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿**مَا لَكُمْ لَا**

---

(1) ينظر لسان العرب مادة (نعم)، (6/4478) والمعجم الوسيط (مادة نعم)، ص (935)

(2) التعريفات للجرجاني (242) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م

(3) زهرة التفاسير للشيخ محمد أبو زهرة (1/69) ط: دار الفكر العربي.

(4) مفاتيح الغيب للرازي (1/220)

﴿تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 13-14]، قال ابن عباس: "أطوارا يعني نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، أي طورا بعد طور إلى تمام الخلق، كما ذكر في سورة" المؤمنون"، والطور في اللغة: المرة، أي من فعل هذا وقدر عليه فهو أحق أن تعظموه. وقيل: أطوارا صبيانا، ثم شبابا، ثم شيوخا وضعفاء، ثم أقوياء." (1)

المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

أراد نوح – عليه السلام- أن يمدوا أبصارهم إلى صفحة الكون المنظور أمامهم وما سخر لهم من النعم التي غفلوا عنها ولم يؤدوا شكرها، فذكرهم بنعم خلق السموات، وتسخير الشمس والقمر، فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: 13-20]، أي: مالكم لا تبالون أن لله عظمة لقد علمتم ورأيتم أن الله- تعالى- هو الذي خلق سَبْعَ سَماواتٍ بعضها فوق بعض وَجَعَلَ – سبحانه- بقدرته القمر في السماء الدنيا نورا للأرض ومن فيها، وَجَعَلَ الشَّمْسَ كالسراج في إضاءتها وتوهجها وإزالة ظلمة الليل، ثم انتقل نوح- عليه السلام- من تنبيههم إلى ما في خلق السموات والشمس والقمر من دلالة على وحدانية الله وقدرته إلى لفت أنظارهم إلى التأمل في خلق أنفسهم، وفي مبدئهم وإعادتهم إلى الحياة مرة أخرى بعد موتهم، فقال- كما حكى القرآن عنه-: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: 17-18] ، أي: والله- تعالى- هو الذي أوجد وأنشأ أباكم آدم من الأرض إنشاء وجعلكم فروعا عنه، ثم يعيدكم إلى هذه الأرض بعد موتكم لتكون قبورا لكم، ثم يخرجكم منها يوم البعث للحساب والجزاء.

المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوطة والسبل الفجاج.

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (18/303)

ونعمة تذليل الأرض وما عليها للإنسان، ونعمة ما على الأرض من النعم والأرزاق والخيرات والثروات التي لا يحصيها إلا الله تعالى، قال تعالى حكاية عن نوح -عليه السلام- : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: 19-20]، أي: والله- تعالى- وحده هو الذي جعل لكم- بفضله ومنته- الأرض مبسوطة حيث تتقلبون عليها كما يتقلب النائم على البساط، وجعلها لكم كذلك لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا أي: لكي تتخذوا منها لأنفسكم طرقا فِجاجاً أي: متسعة جمع فج وهو الطريق الواسع.) [1]

المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة:

ثم أمره الله تعالى إذا رست بهم السفينة أن يحمد الله هو والمؤمنين من أتباعه أن نجاهم من القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٢٨ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۝٢٩﴾ [المؤمنون: 28-29]، فيكون بذلك قد جمع بين ذكر الله في ابتدائه وحمده والثناء عليه عند انتهائه.

(وقد ألهمه الله بالوحي أن يحمد ربه على ما سهل له من سبيل النجاة، وأن يسأله نزولا في منزل مبارك عقب ذلك الترحل، والدعاء لذلك يتضمن سؤال سلامة من غرق السفينة.) [2]

إنها الربانية التي ينبغي أن يوطن الداعية نفسه عليها في كل أحواله وتقلباته، فهو (رباني الغاية والوجهة)[3]، وقلبه معلق بالله موصول به -سبحانه- في الشدة

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (ص15/119) باختصار يسير، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق (18/47)

(3) استعرت هذا التعبير من الدكتور يوسف القرضاوي – رحمه الله- من كتابه الخصائص العامة للإسلام حيث قال: فأما ربانية الغاية والوجهة، فنعني بها: أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد، هو حسن الصلة بالله -تبارك وتعالى-، والحصول على مرضاته، فهذه غاية الإسلام، وبالتالي هي غاية الإنسان، ووجهة الإنسان، ومنتهى أمله وسعيه وكدحه...الخ ما قال رحمه الله. من كتاب الخصائص العامة للإسلام ص (9) ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (1404هـ -1983م)

والرخاء، في الضيق والسعة، في العسر واليسر، عند الكرب والفرج، وهو حماد لربه في العطاء والمنع، في السراء والضراء.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة نوح -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة نوح عليه السلام

تعريفه:

لغة مأخوذ من الفعل عقل: والعقل: الحجر والنهى ضد الحمق، والجمع عقول، ويقال رجل عاقل، وهو الجامع لأمره ورأيه، وهو مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، والعقل: التثبت في الأمور، وعقل عقلا: أدرك الأشياء على حقيقتها. [1]

والعقل: (العلم، أو بصفات الأشياء [2]من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، أو مطلق لأمور، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعان مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه.) [3]

ونخلص من هذا إلى أن العقل هو إدراك الأشياء على وجهها الصحيح، والقدرة على التمييز بينها.

والعقل اصطلاحا " أداة الإدراك والفهم، والنظر والتلقي، والتمييز والموازنة، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسؤولية الوجود والفعل، في عالم الشهادة والحياة " [4]

وعلى هذا فإن تعريف المنهج العقلي هو: "النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل، ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار."[5]

---

(1) ينظر لسان العرب مادة "عقل"(4/3046) والمعجم الوسيط (616)

(2) هكذا بالأصل وأظنه تصحيف والصواب: العلم بصفات الأشياء.

(3) القاموس المحيط للفيروزبادي (1033)

(4) أزمة العقل المسلم، د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان، ص (119)، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية (1412هـ -1992م)

(5) المدخل إلى علم الدعوة، ص (208) مرجع سابق.

وقد استخدم نبي الله نوح-عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه لإقامة الحجة عليهم بالعديد من فنون القول، من خلال عدة أساليب، سيتكلم عنها الباحث من خلال ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستفهام.

المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم.

المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون لله وقارا.

المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

المطلب الأول: تعريف الاستفهام.

الاستفهام لغة مأخوذ من الفعل فهم وهو معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء عقلته وعرفته، واستفهمه سأله أن يفهمه.[1]

وعلى هذا فإن معنى الاستفهام لغة: السؤال عن الشيء لفهمه.

واصطلاحا هو: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة مخصوصة."[2]

---

(1) ينظر لسان العرب مادة "فهم "(5/3481)

(2) من بلاغة القرآن المعاني -البيان - البديع" للدكتور محمد شعبان علوان، والدكتور نعمان شعبان علوان ص (51)، ط الدار العربية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1998م

وهذا ما يعرف بالاستفهام الحقيقي، فالسائل يسأل ويحتاج الجواب، لكن قد يخرج الاستفهام من هذا الأصل إلى غرض بلاغي، ويكون السائل حينئذ لا يطلب جوابا، ومن هنا تتعدد أغراضه البلاغية فيخرج من غرضه الأصلي إلى التقرير، أو التهكم والسخرية، أو النفي، أو الإنكار، أو التشويق، أو التعجب، أو الاستبعاد...الخ.[1]

وقد استعمل نبي الله نوح - عليه السلام- هذا الأسلوب مع قومه في عدة مواضع ذكرها القرآن الكريم، يذكرها الباحث في المطالب التالية:

المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم:

قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ **[الأعراف: 63]** لما دعا نوح –عليه السلام- قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام ما كان منهم إلا أن رموه بالضلال المبين فرد عليهم نافيا عن نفسه الضلالة، وإنما هو رسول مهمته التبليغ عن الله- تعالى- ثم أنكر عليهم استبعادهم أن يخصه الله بالنبوة فقال مستفهما: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ **[الأعراف: 63]**، (والهمزة في أول الجملة للاستفهام الإنكاري، والواو بعدها للعطف على محذوف مقدر بعد الهمزة، والمعنى: أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر أي موعظة من ربكم وخالقكم على لسان رجل من جنسكم، تعرفون مولده ونشأته، وقوله: (لِيُنْذِرَكُمْ) علة للمجيء، أي: وليحذركم العذاب والعقاب على الكفر والمعاصي، وقوله: (وَلِتَتَّقُوا) علة ثانية مرتبة على العلة التي قبلها، أي: ولتوجد منكم التقوى، وهي الخشية من الله بسبب الإنذار، وقوله: (وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) علة ثالثة مترتبة على التي قبلها. أي: ولترحموا بسبب التقوى إن وجدت منكم، قال بعض العلماء: وهذا الترتيب في غاية الحسن، لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى، ومن التقوى الفوز بالرحمة.)[2]

---

(1) انظر المرجع السابق ص (55) وما بعدها.

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (5/300) باختصار يسير، مرجع سابق.

المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم:

قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**﴾ **[هود: 28]**، وهنا نرى أن نبي الله نوح – عليه السلام- استعمل الاستفهام مرة لتقرير حقيقة أنه رسول من الله ومرة لاستنكار إعراضهم على النحو التالي:

1- **الاستفهام التقريري** بقوله: يا قَوْم أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي، ومنحني النبوة فغاب عنكم الانتفاع بهداياتها، فحجبها عنكم جهلكم وغروركم.

2- **الاستفهام الإنكاري** في قوله: **(أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ)** أي: (إذا كانت الهداية إلى الخير التي جئتكم بها قد خفيت عليكم مع وضوحها وجلائها، فهل أستطيع أنا وأتباعي أن نجبركم إجبارا، ونقسركم قسرا على الإيمان بي، وعلى التصديق بنبوتي، والحال أنكم كارهون لها نافرون منها، كلا إننا لا نستطيع ذلك لأن الإيمان الصادق يكون عن اقتناع واختيار لا عن إكراه وإجبار.) [1]

فهو يبين لهم أن لهم حرية الاختيار، لكنه يرجو أن يكون اختيارهم لطريق الرشد لا الغي، لأن اختيارهم للغي هو عمى عن رحمة الله التي أرسله بها إليهم، (وهكذا يتلطف نوح في توجيه أنظارهم، ولمس وجدانهم، وإثارة حساسيتهم لإدراك القيم الخفية عليهم، والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها، ويبصرهم بأن الأمر ليس موكولاً إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها، وفي الوقت ذاته يقرر لهم المبدأ العظيم القويم مبدأ الاختيار في العقيدة، والاقتناع بالنظر والتدبر، لا بالقهر والسلطان والاستعلاء!) [2]

المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون لله وقارا:

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (193، 7/194) مرجع سابق.

(2) تفسير الظلال لسيد قطب (ص 1874 / 4) مرجع سابق

استعمل نوح -عليه السلام- الاستفهام الإنكاري؛ في قوله لقومه: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾ **[نوح: 13-14]**، فالاستفهام هنا للتوبيخ والإنكار عليهم.

المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض والشمس والقمر:

في قول نوح -عليه السلام- لقومه :﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا**﴾ **[نوح: 15-16]**، وكل هذه الاستفهامات لا يُراد منها الجواب، بل المدعو سيُجيب نفسه بنفسه عليها؛ فهي إما لتوبيخ المدعو، أو لومه، أو إدانته، أو تقريره على أمر ما، ونحو ذلك.

المبحث الثاني/ الجدال

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجدال.

المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين.

المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم، واتهامه بالكذب.

المطلب الأول: تعريف الجدال:

الجدال لغة مأخوذ من الفعل جدل، والجدل: شدة الفتل، وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله وفتلته فتلا محكما، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته. ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالا، والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة، والجدال طريقة في المناقشة والاستدلال[1]

(1) ينظر لسان العرب مادة "جدل "(1/569) والمعجم الوسيط (111)

واصطلاحا عرفه الإمام النووي[1] بقوله: (جدل: الجدل والجدال والمجادلة: مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل فإن كان للوقوف على الحق كان محمودًا. قال الله تعالى: ﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ **[النحل: 125]** وإن كان في مرافعة أو كان جدالاً بغير علم كان مذمومًا؛ قال الله تعالى: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ **[غافر: 4]** وأصله الخصومة الشديدة وسمي جدلاً لأن كل واحد منهما يحكم خصومته وحجته إحكامًا بليغًا على قدر طاقته تشبها بجدل الحبل، وهو إحكام فتله، يقال جادله يجادله مجادلة وجدالا.) [2]

وقد استعمل نبي الله نوح هذا الأسلوب الدعوي القائم على المنطق القويم، والحجة القوية، والرأي السديد في دعوته لقومه إلى عبادة الله تعالى وحده وعدم الإشراك به، فلم يثمر ذلك معهم شيئا.

المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين:

وقد تناول القرآن هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ **[الأعراف: 60]**، لما دعا نوح -عليه السلام قومه إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام قال الملأ له: **(إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)** [الأعراف: 60]، سبحان الله! نبي مرسل إليهم من عند الله في ضلال مبين؟!

" وهكذا يبلغ الضال من الضلال أن يحسب من يدعوه إلى الهدى هو الضال! بل هكذا يبلغ التبجح الوقح بعد ما يبلغ المسخ في الفطر! هكذا تنقلب

---

(1) هو الإمام يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعيّ، ولد بنوى سنة 631 هـ (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا.، وله مؤلفات عديدة من أشهرها: " رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين " و" المنهاج في شرح صحيح مسلم "، توفي سنة 676هـ بنوى، ودفن هناك، رحمه الله. ينظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير (17/540) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (8/395)، بتحقيق د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ والأعلام للزركلي (8/149) مرجع سابق.

(2) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي (3/48) ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون تاريخ طباعة.

الموازين، وتبطل الضوابط، ويحكم الهوى ما دام أن الميزان ليس هو ميزان الله الذي لا ينحرف ولا يميل." [1]

وكان بوسع نوح – عليه السلام أن يرد القائلين إلى صوابهم ويقول لهم : بل أنتم الذين في ضلال مبين ... أنتم من اتخذ أصناما وسماها آلهة وعبدها من دون الله ؛ أنتم من انغمستم في النعم، وكفرتم بالمنعم، وشكرتم غيره ، لكن لم ينشغل بالرد عليهم عن المهمة التي أرسل بها ، إنما رد عليهم قائلا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٦٣﴾ [الأعراف: 61-63]

أي: (قال نوح لقومه مستميلا لقلوبهم: يا قوم ليس بي أدنى شيء مما يسمى بالضلال فضلا عن الضلال المبين الذي رميتموني به، فقد نفى الضلال عن نفسه الكريمة على أبلغ وجه، لأن التاء في- ضلالة- للمرة الواحدة منه، ونفى الأدنى أبلغ من نفى الأعلى، والمقام يقتضي ذلك، لأنهم لما بالغوا في رميه بالضلال المبين، رد عليهم بما يبرئه من أي لون من ألوانه، وفي تقديم الظرف (بي) تعريض بأنهم هم في ضلال واضح، ثم قفى على نفى الضلالة عنه بإثبات مقابلها لنفسه وهي الهداية والتبليغ عن الله- تعالى- فقال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 61-62] [2]

فهنا نرى أن نبي الله نوح – عليه السلام- فند شبهات قومه ورد عليهم على النحو التالي:

1- نفي الضلال عن نفسه هو إثبات لصحة ما جاءهم به: توحيد الله، وإثبات أنه رسول من رب العالمين.

---

(1) تفسير الظلال (ص 3/1309) مرجع سابق

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (5/298) مرجع سابق

2- أن مهمته البلاغ والنصيحة وأن عنده علم من الله ليس عندهم.

3- استنكر عليهم تكذيبهم وعجبهم أن الله اختصه من دونهم بالرسالة.

4- التذكير بأنه رجل منهم يعرفونه جيدا جاءهم يخوفهم من عذاب الله.

5- لم يرد إساءتهم له بإساءة مثلها، إنما اكتفى بنفي الضلالة عن نفسه.

المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم، واتهامه بالكذب:

وقد تناول القرآن هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴿٣١﴾**﴾ **[هود: 27-31]**

بعد التأمل في هذه الآيات الكريمة نرى أن الملأ الذين كفروا من قومه جادلوه ببعض الشبهات وهي:

1- أنه بشر مثلهم.

2- أن الذين اتبعوه الضعفاء والفقراءُ وأنهم اتبعوه دون تفكير، لأنهم لا يحسنون التدبر في الأُمور.

3- أنه لا مزية ولا فضل لنوح ومن معه حتى يتركوا مكانتهم في السيادة والزعامة وينقادوا لنوح – عليه السلام -.

4- أننا نظن أنكم مفترون فيما زعمتموه لأنفسكم من فضل.

فرد نوح -عليه السلام - عليهم في رفق وحكمة، ناقضا هذه الشبه والاتهامات الباطلة، وجادلهم بالتي هي أحسن، من باب العناية بإظهار الحق الذي يدعو إليه، وعسى أن يفيئوا إلى الصواب، فقال:

1- يا قوم إني لا أزعم أنى أمتاز عليكم فإنني بشر مثلكم، ولكن أخبروني عن رأيكم فيما أعرضه عليكم: إن الله سبحانه قد هداني إليه فآمنت به، وتفضل على بنعمة خصني بها من عنده وهي الرسالة، وأمرني بإبلاغها إليكم، وقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة فخفى أمرها عليكم حين بادرتم إلى تكذيبها دون تدبر أو تأمل، فأخبروني ماذا أفعل لكم أنا ومن معي من المؤمنين بعد ذلك؟ أنرغمكم على العمل بشريعة الله التي رحمكم بها وأنتم لها كارهون.

2- وفي هذا عدم إغلاق طريق الرجعة والتوبة، فإذا كانت النبوة أو الرحمة التي أوتيها نوح عليه السلام قد عميت عليهم، فإنها الآن ظاهرة وواضحة، فليفتحوا لها أبصارهم ويرفعوا العماية عنها ليروها.

3- نفى عن نفسه أي منفعة دنيوية فقال: يا قوم إنني لا أُريد منكم مالا على أَداءِ هذه الرسالة، فما أَجرى إلا على الله وحده فما بالكم ترفضون ما دعوتكم إليه من الحق.

4- الصراحة والوضوح، فقد صرح لهم ألا يمكن أن يتخلى عمن آمن برسالته، ولا أن يغلق الطريق أمام من انقاد لأمر ربه عز وجل، وهل يعقل أن يدعوهم إلى الإيمان بربهم وأن ينبذوا عبادة الأصنام والأوثان ثم يتنكر لهم ويطردهم من مجلسه؛ ليستقبل فيه الأشراف والسادة؟!

5- ثم قدم لهم شخصه ورسالته مجردين عن كل زخرف، ليقرر لهم القيم الحقيقية، ويزدري أمامهم القيم الظاهرية، بتخليه عنها، فمن شاء الرسالة كما هي، بقيمها، فليتقدم إليها مجردة خالصة لله.

6- وعند هذا الحد كان الملأ من قوم نوح قد يئسوا من مناهضة الحجة بالحجة فإذا بهم وقد أخذتهم العزة بالإثم، واستكبروا أن تغلبهم الحجة، إذا بهم يتركون الجدل إلى التحدي قائلين: ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ **[هود: 32]**، بل بلغ بهم الحال أن طلبوا من نبيهم أن ينزل عليهم ما خوّفهم به من العذاب، ولما سألوه ذلك قال لهم: ﴿**قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ**

اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٣٤﴾ [هود: 33-34] (1)

المبحث الثالث/ الحوار

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحوار.

المطلب الثاني: حواره مع قومه.

المطلب الثالث: حواره مع ولده.

المطلب الرابع: حواره مع رب العالمين.

المطلب الأول: تعريف الحوار:

الحوار لغة: مأخوذ من الفعل "حور" والحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والحور: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال، وأحار عليه جوابه: رده، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب؛ والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. (2)

واصطلاحا يقصد به: (نوع من الحديث بين شخصين، أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب) (3)

والحوار هو أمثل أسلوب لعرض الدعوة، والدفاع عنها وتفنيد الشبه المثارة حولها، وتضييق مساحة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإقامة الحجة على

---

(1) ينظر: تفسير الظلال لسيد قطب (4/1874)، والتفسير الوسيط (188:183/ 4

(2) ينظر لسان العرب مادة "حور "(2/1042)

(3) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ليحيى زمزمي (ص22) ط دار التربية والتراث مكة المكرمة، ودار رمادي للنشر بالدمام الطبعة الأولى 1994م

المخالفين والمعاندين، وبيان ما هم عليه من الباطل لعلهم يرجعون إلى الحق، ولئلا يغتر بكلامهم بقية الناس فيختار كل واحد طريقه عن بينة وبرهان، وفي إظهار الحق وإبطال الباطل إظهار لعزة الإسلام وقوته في نفوس أتباعه، بل ومخالفيه. (1)

المطلب الثاني: حواره مع قومه:

1-ابتدأ نبي الله نوح – عليه السلام – حواره مع قومه بدعوتهم إلى التوحيد، وبين شفقته عليهم محذرا إياهم إن عصوه من عذاب يوم أليم، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ **[هود: 25-26]**

2-وبعد دعوتهم لتوحيد الله أنكروا أن يكون رسولا من عند الله لأنه بشر، وكيف يرسل الله رسولا بشرا؟ ويكون أتباعه من أراذلهم؟ قال تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ **[هود: 27]**

3-استمع نبي الله نوح – عليه السلام- لما قالوا، وتناول شبهاتهم وفندها واحدة تلو الأخرى، ورد عليهم بحلم وحكمة بدون غضب أو مقابلة لإساءتهم له ولمن آمن معه بإساءة مثلها مبينا أنه رسول من عند الله.

4-ويبدو من رد نوح – عليه السلام – تجرده للحق وحرصه على هداية قومه، وأن الله آتاه رحمة من عنده فلم يهتدوا إليها، وأنه لا يريد أن يلزمهم بها مكرهين إنما يريد منهم أن ينقادوا لله مختارين قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ**

---

(1) وإتماما للفائدة: ما الفرق بين الجدل والحوار؟ الجدل والحوار "يلتقيان في كونهما حديثاً أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدال فيه لدد في الخصومة، وشدة في الكلام مع التمسك بالرأي، والتعصب له، وأما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب ونحوه، فالحوار أعم من الجدل من هذا الوجه." المرجع السابق ص (26)

﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: 28]، وهذا يسمونه التسليم الجدلي للخصم وقد كثر هذا الأسلوب في الحوار على ألسنة الأنبياء عليهم السلام أن يطلبوا (من أقوامهم أن يفترضوا ولو مجرد افتراض ـ أن يكونوا مرسلين من عند الله، وأن يفترضوا أن معهم حجة وبينة، ولا شك في صدق الأنبياء وثقتهم في ربهم، ولكنه من باب التنزل مع الخصم لتقريب الأمر إليه وزعزعة موقفه) (1)

5-ثم بين عليه السلام في بقية حواره مع قومه أنه لا يرجو من وراء دعوته أي منفعة دنيوية، فهو لا يرجو مالا على دعوته ولا يتطلع إلى شهرة فما نصحكم ولا دعوتكم إلا ابتغاء وجه الله، قال: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: 29]

6-ثم رد على شبهتهم بقولهم أنه ما اتبعه إلا الضعفاء وأراذل القوم فقال : ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 29] ، وكأنهم طلبوا منه أن يطردهم من مجلسه استنكافا أن يجالسونهم (وكان هذا جهلا منهم، لأنهم عابوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لا عيب فيه، لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغيير الصور والهيئات، وهم يرسلون إلى الناس جميعا، فإذا أسلم منهم الدنيء لم يلحقهم من ذلك نقصان، لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم)(2)

7-ثم دعاهم إلى الإنصاف وإعادة النظر في كلامهم عن أتباعه من المؤمنين ثم تساءل مستنكرا: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 30] وهذا كله إظهارا للحق وتفنيدا للشبهة برد الأباطيل التي قالوها.

8-ثم قدم لهم نفسه بتجرد وشفافية وتواضع ، وبدون تزكية أو تمجيد لنفسه قائلا: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ

(1) الحوار آدابه وضوابطه ليحيى زمزمي (ص303) مرجع سابق

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (ص9/23)

لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 31]، فهو بشر مثلهم ليس عنده مال وفير أو خزائن وكنوز، وليس عنده قدرة لمعرفة الغيب ؛ فلا يعلم الغيب إلا الله، وَلا يقول إنه من جنس الملائكة ليتميز عنهم وفيها نفي لشبهة قولهم : (مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا) [هود: 27] ، وَلا يقول أيضا لمن تحتقرون من المؤمنين أن الله لن يعطيهم أجورهم، فليس لي إلا ظاهرهم، والله أعلم بما في بواطنهم، وإلا سأكون ظالما إن ادعيت ذلك.

9-وهنا يقرر نوح -عليه السلام- في حواره مع قومه مبدأ الإنصاف، وهذا من حكمة نبي الله نوح –عليه السلام – مع قومه أنه أراد حملهم على الإنصاف من أنفسهم بتقرير فكرته وحملهم عليها، مع قوة في الحجة، برد الاعتبار للمؤمنين من اتباعه وأنه كبشر لا يعلم إلا ظاهرهم فيعاملهم على أساسه، أما بواطنهم فعلمها عند الله.

10-وبعد أن فند نوح شبههم كلها وأبطلها واحدة تلو الأخرى لم يعد للقوم سبيل إلا أن يؤمنوا أو يستمروا على تكذيبهم فيقع بهم العذاب الأليم، لكنهم وأسفاه اشتروا الضلالة بالهدى واستعجلوا وقوع العذاب بهم، فقالوا: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]

ولم ينجحوا أبدا بردهم هذا في استفزاز نبي الله نوح – عليه السلام- ولا استغضابه (فلا يخرجه هذا التكذيب والتحدي عن سمت النبي الكريم، ولا يقعده عن بيان الحق لهم، وإرشادهم إلى الحقيقة التي غفلوا عنها وجهلوها في طلبهم منه أن يأتيهم بما أوعدهم، وردهم إلى هذه الحقيقة وهي أنه ليس سوى رسول، وليس عليه إلا البلاغ، أما العذاب فمن أمر الله، وهو الذي يدبر الأمر كله، ويقدر المصلحة في تعجيل العذاب أو تأجيله، وسنته هي التي تنفذ.. وما يملك هو أن يردها أو يحولها إنه رسول، وعليه أن يكشف عن الحق حتى اللحظة الأخيرة، فلا يقعده عن إبلاغه وبيانه أن القوم يكذبونه ويتحدونه: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝٣٣ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٣٤ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ۝٣٥﴾ [هود: 33-35]، فإذا

كانت سنة الله تقتضي أن تهلكوا بغوايتكم، فإن هذه السنة ستمضي فيكم، مهما بذلت لكم من النصح، لا لأن الله سيصدكم عن الانتفاع بهذا النصح، ولكن لأن تصرفكم بأنفسكم يجعل سنة الله تقتضي أن تضلوا، وما أنتم بمعجزين لله عن أن ينالكم ما يقدر لكم، فأنتم دائماً في قبضته، وهو المدبر والمقدر لأمركم كله، ولا مفر لكم من لقائه وحسابه وجزائه. (1)

رده على سخرية قومه منه:

وبعد دعوة نوح لقومه ألف سنة إلا خمسين عاما أوحى الله إليه أن يصنع سفينة تكون مركبا للنجاة عند وقوع العذاب بقومه، لكن قومه سخروا منه واستهزأوا بما يصنع، وقد سجل لنا القرآن هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴿٣٩﴾**﴾ **[هود: 38-39]** ، في بعض الأحيان لا يجدي مع الخصم الرفق واللين، فلا بد من إيقافه عند حده بقوة وصرامة، فهنا لما سخر قوم نوح منه، فكانوا يتضاحكون ويقولون له: يا نوح، صرت نجاراً بعد ما كنت نبيا؟! رد عليهم بما يوافقهم في أسلوبهم ، فهنا نوح – عليه السلام- يجيبهم جواب الواثق بربه ويخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء أنه يبادلهم سخرية بسخرية ، فَكما تَسْخَرُونَ منا الساعة فَإِنَّا سنَسْخَرُ مِنْكُمْ في المستقبل مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة؛ لأنكم لا تدركون ما وراء هذا العمل من تدبير الله وما ينتظركم من مصير.(2)

المطلب الثالث: حواره مع ولده:

إنه حوار اللحظات الأخيرة إما نجاة بركوب السفينة، أو هلاك مع القوم الكافرين، قال تعالى :﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي**

---

(1) تفسير الظلال لسيد قطب (ص 1875 / 4) مرجع سابق

(2) ينظر تفسير الزمخشري المسمى (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) (2/393) للإمام الزمخشري، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة 1407 هـ - 1987 م، وتفسير الظلال (4/1877) مرجع سابق.

مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴿٤٣﴾ [هود: 42-43]، ركب نوح –عليه السلام- السفينة مع الذين آمنوا معه ، وقبل إبحارها نادى الأب على ابنه ، وكلماته تفيض بالرقة والحنان والخوف على ولده من المصير المنتظر للكافرين، قال: يا بني اركب معنا فهذه سفينة النجاة من لم يركب معنا فهو مع الهالكين ، وكان ابنه في مكان عزل فيه نفسه عن أَبيه وعن المؤْمنين وقتما كانوا على الشاطئ يستعدون لركوب السفينة، فيرد الابن العاق معلنا عصيانه وإصراره على الكفر قائلا: (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) [هود: 43] ، سأَلجأُ إِلى جبل مرتفع يحميني من الماء ويمنعني تسلُّقُه من الغرق بالطوفان، لم يدرك الابن بعد حجم الهلاك الذي سيحدث للجميع دون ركاب السفينة وظن أن الجبل يحميه فمهما بلغ الماء فلن يبلغ قمة الجبل هكذا ظن أو منّى نفسه، ولم يدر بخلده أنها النهاية، ومن هنا قالها نوح الأب الشفيق قبل أن يحول الموج بينه وبين ولده المغرور (قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ) [هود: 43] ، لم يستمع الابن إلى نصيحة أبيه، وقام الموج حائلا بين نوح وابنه فاجتذبه إليه، وكان هذا الولد من جملة الذين أَغرقهم الله بالطوفان من الكفار أَمثاله. (1)

ونلاحظ في هذا الحوار عدة أمور:

1- طول نفس نوح -عليه السلام- وصبره وعدم يأسه من دعوة ابنه إلى الإيمان، وتوجيهه نحو الطريق الصحيح ولو في اللحظات الأخيرة رغم بداية الطوفان.

2- عاطفة الأبوة والتي يغلب عليها الشفقة والخوف، والتحذير من الهلاك.

3- إصرار الابن وعناده وتمنية نفسه بالنجاة باللجوء إلى جبل يعصمه من الماء.

4- مشهد النهاية يبين أن كل امرئ مسؤول عن نفسه، ويتحمل نتيجة اختياره.

---

(1) ينظر التفسير الوسيط (196:197/ 4) مرجع سابق

المطلب الرابع: حواره مع رب العالمين:

وبعد انتهاء الطوفان واستواء السفينة على الجودي نادى نوح ربه وهو الأب الشفيق الذي أحزنه إصرار ابنه على الكفر وهلاكه مع الهالكين، فأراد نفعه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا، فسأل الله المغفرة لولده، وألا يعامله معاملة الكافرين في الآخرة. (1)

قال تعالى : ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٤٨﴾﴾ **[هود: 45-48]**، قالها نوح يستنجز ربه وعده في نجاة أهله، ويستنجزه حكمته في الوعد والقضاء، وجاءه الرد بالحقيقة التي غفل عنها؛ فالأهل ليسوا قرابة الدم، إنما هم قرابة العقيدة، وهذا الولد لم يكن مؤمناً، فليس إذن من أهله ، جاءه الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد:﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ **[هود: 46]**، ولأن نوحاً دعا دعاء من يستنجز وعداً لا يراه قد تحقق.. كان الرد عليه يحمل رائحة التأنيب والتهديد: إني أعظك خشية أن تكون من الجاهلين بحقيقة الوشائج والروابط، ويرتجف نوح ارتجافة العبد المؤمن يخشى أن يكون قد زل في حق ربه، فيلجأ إليه، يعوذ به، ويطلب غفرانه ورحمته: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ **[هود: 47]**، وأدركت رحمة الله نوحاً، تطمئن

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ص 12/83) مرجع سابق

قلبه، وتباركه هو والصالح من نسله، فأما الآخرون فيمسهم عذاب أليم: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48]) (1)

ونلاحظ في هذا الحوار:

1- أدب العبودية وكيف ينادي العبد مولاه وسيده وكيف يستغفر ويستعتب إن أخطأ.

2- بيان أن رابطة العقيدة هي الأبقى وليس رابطة النسب، فلا ينفع النسب عند الله مع الكفر.

3- تجرد نوح وإخلاصه لله، وركونه إليه في كل شيء، وثقته في عدل الله ورحمته.

4- عبودية نوح لله وانكساره، واعترافه بضعفه أمام عظمة الله وجلاله، واستسلامه لحكم الله وقضائه.

5- اصطفاء الله لنوح والذين آمنوا معه ليكونوا نواة لعمارة الأرض من جديد بعد الطوفان.

****

(1) ينظر تفسير الظلال (ص 4/1879) مرجع سابق

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة نوح -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم.

المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية.

المبحث الثالث/ معجزة السفينة.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة نوح عليه السلام

تعريفه:

لغة: كلمة الحسي مأخوذ من الفعل[حسس] والحس والحسيس: الصوت الخفي، والحس أيضا: وجع يأخذ النفساء بعد الولادة، والحس أيضا: مصدر قولك حس له، أي رق له، والحواس: المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. ويقال أيضا: أصابتهم حاسة، وذلك إذا أضر البرد أو غيره بالكلأ، ويقال أيضا: حسست بالخبر وأحسست به، أي أيقنت به.[1]

والمعنى الذي يعنينا هنا أن الحس في اللغة بمعني الإدراك، والإحساس الناتج عن الحواس الخمس بالنسبة للإنسان.

واصطلاحا المنهج الحسي: "هو النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس، ويعتمد على المشاهدات والتجارب." [2]

ويعد هذا المنهج من أبرز مناهج الدعوة التي ينبغي أن يسلكها الدعاة إلى الله، لسرعة تأثيره في النفوس لأنه يعتمد على لفت الأنظار للأمور المشاهدة والمحسوسة، ولاشتراك الناس جميعا في أنواع الحس أو بعضها [3]

وقد استخدم نبي الله نوح هذا المنهج في الدعوة في عدد من المواقف يتناولها الباحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم.

المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية.

المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون).

---

(1) ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور (3/916)، مادة "حسس" طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ 1987 م.

(2) المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني (ص 214) مرجع سابق

(3) ينظر المرجع السابق ص(218)

المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاستغفار لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار.

المطلب الأول: تعريف الاستغفار لغة واصطلاحا:

الاستغفار لغة: غفر: أصل الغفر التغطية والستر، ويقال: غفر الله ذنوبه أي سترها؛ والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، والاستغفار: طلب المغفرة قولا وفعلا. (1)

واصطلاحا هو: "طلب الغفر، وهو الستر، والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية" (2)

المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار:

دعا نوح – عليه السلام- قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا ومن الطرق التي سلكها في إقناع قومه تبصيرهم بأن المعاصي سبب لزوال النعم ، وأن الإيمان بالله سبب لنزول الخيرات والبركات، فأراد أن يرغبهم في خير الدنيا والآخرة، كما قال تعالى حكاية عن نوح : ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢**﴾ **[نوح: 10-12]** ، فقد كانوا أهل دنيا فأراد ترغيبهم بالكثير من الخيرات إذا أخذوا سببا واحدا؛ وهو التوبة إلى الله (أطمعهم في

---

(1) ينظر لسان العرب مادة (غفر)، (5/3273)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (4/135) تحقيق: محمد علي النجار، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: 1416 هـ - 1996 م

(2) تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (2/471)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

الغفران إذا استغفروا ربهم فهو- سبحانه- غفار للذنوب: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10] ، وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور من أسبابه التي يعرفونها ويرجونها وهي المطر الغزير، الذي تنبت به الزروع، وتسيل به الأنهار، كما وعدهم برزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها- وهي البنين- والأموال التي يطلبونها ويعزونها: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 11-12] [1]

فأراد –عليه السلام- أن يلفت حس قومه بأن حدوث هذه النعم التي حرموا منها [2] إنما يكون بالتوبة إلى الله غفار الذنوب، واستمطار فضله وإنعامه مما حرموه بسبب كفرهم وعنادهم.

المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور.

المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض.

المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر.

المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور.

المطلب الخامس: آية بسط الأرض.

---

(1) تفسير الظلال (6/3713) مرجع سابق

(2) قال الإمام البغوي في تفسيره (وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أولادهم وأموالهم ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد، يرسل السماء عليكم مدرارا.) تفسير البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن (ص 5/156) بتحقيق عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور:

أراد نوح – عليه السلام - أن يلفت أنظار قومه إلى بعض آيات الله في الكون المنظور أمامهم، وقد رأي فيهم استخفافا بجلال الله وعظمته وعنادا وصدودا عن قبول الحق فتوجه إليهم بالسؤال مستنكرا عليهم عدم إيمانهم بالله فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ [نوح: 13-14]، قال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته، أي: لا تخافون من بأسه ونقمته. (1)

مالكم لا تعظمون الله وقد خلقكم أطوارا ، وقد جاءهم بهذه الصورة (لأن الأطوار التي يعلمونها دالة على رفقه بهم في ذلك التطور، فهذا تعريض بكفرهم النعمة، ولأن الأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، فإن تطور الخلق من طور النطفة إلى طور الجنين إلى طور خروجه طفلا إلى طور الصبا إلى طور بلوغ الأشد إلى طور الشيخوخة وطور الموت على الحياة وطور البلى على الأجساد بعد الموت، كل ذلك والذات واحدة، فهو دليل على تمكن الخالق من كيفيات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى التفات الذهن، فكانوا محقوقين بأن يتوصلوا به إلى معرفة عظمة الله وتوقع عقابه لأن الدلالة على ذلك قائمة بأنفسهم وهل التصرف فيهم بالعقاب والإثابة إلا دون التصرف فيهم بالكون والفساد.(2)

فاستدل على عظمة الله وأنه المستحق للعبادة دون غيره بالنظر في أنفسهم فهي أقرب شيء إليهم، والتأمل في آية خلقهم من العدم، وإنعامه عليهم بنعمة الوجود، وتطور خلقهم من نطفة إلى علقة إلى مضغة.

المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض:

ثم وجههم إلى آية أخرى أعظم من خلق الإنسان، وهي آية خلق السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57]، وكأنه يسألهم ماذا خلقت آلهتكم المزعومة حتى تشركوها في عبادة الله (أَلم تشاهدوا أَيها القوم عظمة الله، وكمال قدرته فيما أَبدع من آيات كونية، وتنظروا إليها نظر تفكر واعتبار، كيف خلق

---

(1) تفسير ابن كثير (ص4/565) مرجع سابق

(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ص 29/201) مرجع سابق

الله العظيم سبع سماوات متطابقة من غير مماسَّة، بعضها فوق بعض، وهي في غاية الإحكام والإتقان وإبداع الصنع) [1]

وهذا كله دال على عظمته وتفرده بالخلق، وموجب للإيمان به ربا خالقا مبدعا وإلها واحدا معبودا ليس له شركاء ولا أنداد.

المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر:

ويواصل نبي الله نوح –عليه السلام – دعوة قومه لإعمال الحس والفكر والنظر إلى آية أخرى، وهي: ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا**﴾ **[نوح: 16]**، أي: (وجعل- سبحانه- بقدرته القمر في السماء الدنيا نورا للأرض ومن فيها، وَجَعَلَ الشَّمْسَ كالسراج في إضاءتها وتوهجها وإزالة ظلمة الليل، إذ السراج هو المصباح الزاهر نوره، الذي يضيء ما حوله.) [2]

فهذه النعم لو سلبت منهم أو اختل مسيرها لهلكوا جميعا فهي آيات دالة عليه سبحانه، وعلى وجوب إفراده بالعبادة، وآيات على قدرته سبحانه في تدبيرها وتقديرها وتسييرها.

المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور:

ثم انتقل نوح- عليه السلام- من تنبيههم إلى ما في خلق السماوات والشمس والقمر من دلالة على وحدانية الله وقدرته.. إلى لفت أنظارهم إلى التأمل في خلق أنفسهم، وفي مبدئهم وإعادتهم إلى الحياة مرة أخرى بعد موتهم، فقال- كما حكى القرآن عنه-: ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾**﴾ **[نوح: 17-18]** [3]

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، بل الكون كله من العدم، وكل شيء عدا الله عز وجل مخلوق له خاضع لأمره، فإذا كان الحق جل وعلا هو الخالق المبدع.. فإنه إذن وحده المستحق للعبادة والمستحق للشكر، وعبادة غيره ظلم

---

(1) التفسير الوسيط مجمع البحوث (10/1599) مرجع سابق

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (15/119) مرجع سابق

(3) المرجع السابق (15/120)

للنفس وحياد عن الحق، وفي ذلك يقول جل شأنه: **(وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ)** [النحل: 20]، وكما خلق الله الخلق من العدم فإنهم سيموتون ثم يبعثهم الله من قبورهم فيجازيهم على أعمالهم ﴿**ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا**﴾ **[نوح: 18]**

المطلب الخامس: آية بسط الأرض:

ثم ختم نوح- عليه السلام- حديثه لقومه عن نعم الله بلفت أنظارهم إلى نعمة الأرض التي يعيشون عليها، فقال: ﴿**وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا**﴾ **[نوح: 19-20]**

أي: (والله- تعالى- وحده هو الذي جعل لكم- بفضله ومنته- الأرض مبسوطة، حيث تتقلبون عليها كما يتقلب النائم على البساط، وجعلها لكم كذلك لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا أي: لكي تتخذوا منها لأنفسكم طرقا فِجاجاً أي: متسعة جمع فج وهو الطريق الواسع، وقوله: بِساطاً تشبيه بليغ. أي: جعلها لكم كالبساط، وهذا لا يتنافى مع كون الأرض كروية، لأن الكرة إذا عظمت جدا، كانت القطعة منها كالسطح والبساط في إمكان الانتفاع بها، والتقلب على أرجائها.) [1]

فهنا نرى كيف أن نبي الله نوح – عليه السلام - حاول أن يصل إلى عقول قومه وقلوبهم، مستدلا على الإيمان بالله بهذه الآيات الكونية التي ساقها لهم، ولكن قومه كانوا قد بلغوا الغاية في العناد والكفر، والصد عن سبيل الله -تعالى-.

المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة.

المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه.

المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين.

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (15/121) مرجع سابق

المطلب الرابع: وفار التنور.

المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال.

المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة:

أوحى الله -عز وجل- إلى نبيه نوح -عليه السلام- بأنه لن يؤمن أحد بدعوته إلا من آمن، قال تعالى: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ **[هود: 36]**، ثم أمره الله – تعالى - أن يصنع سفينة، وعلَّمه كيف يتقن صنعها، ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾ **[هود: 37]**، وقد كانت تلك السفينة آية من آيات الله –عز وجل- الدالة على قدرته وعظمته، بناها نوح - عليه السلام - بوحي وتعليم من الله، ولا نعرف حجمها ولا شكلها ولا تصميمها، وكل ماورد من ذلك أقوال مرسلة لا دليل عليها، لأن (القرآن في إيراده للقصص والأخبار، لا يهتم إلا بإبراز النافع المفيد منها، أما ما عدا ذلك مما لا فائدة من ذكره، فيهمل القرآن الحديث عنه، فمثلا في قصة نوح- عليه السلام- هنا، لم يتعرض القرآن لبيان المدة التي قضاها نوح في صنع السفينة، ولا لبيان طول السفينة وعرضها وارتفاعها، ولا لتفاصيل الأنواع التي حملها معه في السفينة، ولا لبيان الفترة التي عاشها نوح ومن معه فيها، ولا لبيان المكان الذي هبط فيه نوح بعد أن استوت السفينة على الجودي.. ولا لبيان الزمان الذي استغرقه الطوفان فوق الأرض، وما ورد في ذلك من أقوال وأخبار، أكثرها من الإسرائيليات التي لا يؤيدها دليل من الشرع أو العقل.) [1]

لكن لا شك أنها كانت آية لأهل الأرض، دالة على عظمة الله وقدرته، كما قال تعالى: ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ **[العنكبوت: 15]** وقال سبحانه :﴿**وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾ **[يس: 41]**

المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه:

(1) المرجع السابق (7/217،218)

وصنع نوح – عليه السلام- السفينة بوحي من الله، فهو لا يعرف شيئاً عن صناعة السفن من قبل، قال تعالى: **(فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) [المؤمنون: 27]**. ودل قول الله تعالى: (بأعيننا ووحينا) على: (أن التنفيذ وخطة العمل، وهندسة بناء السفينة، وتحديد المواد التي تصنع منها، وطريقة التنفيذ أمور مسبوقة بالوحي، ومحفوفة بالعناية والمراقبة التوجيهية، والتسديد المتتابع، حتى تبلغ الفلك الغاية المقصودة من إحكام الصنع للأمر الذي تُهيأ له، كل هذا ضمن إمكانات نوح –عليه السلام- المتاحة له في زمانه.)[1]

المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين:

أتمَّ نوح -عليه السلام- صنع السفينة، وحمل فيها الذين آمنوا معه، ومن كل حيوان وطير وسائر المخلوقات زوجين اثنين، تنفيذا لأمر الله، ﴿**قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ **[هود: 40]**

المطلب الرابع: علامة بداية الطوفان: (وفار التنور):

هذه علامة بداية الطوفان (وفار التنور)، فما هو التنور؟ التنور الفرن الذي يخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين، ورجح هذا القول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري[2] فقال: "وأولى الأقوال عندنا بتأويل قوله: "التنور" قول من قال: "هو التنور الذي يخبز فيه"، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء

---

(1) تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (10/387)، ط دار القلم – دمشق الطبعة الأولى 2006م

(2)هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (224-310) المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، له كتب عديدة منها: أخبار الرسل والملوك، ويعرف بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن، ويعرف بتفسير الطبري، وغيرها من الكتب النافعة، وهو من ثقات المؤرخين، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. ينظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي (2/212)، بتحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر: 1420هـ- 2000م، ومعجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، للحموي (6/24416)، بتحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، والأعلام للزركلي (6/69)

منه بخلاف ذلك، فيسلم لها، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به".[1]

أمره الله –عز وجل- بتسيير السفينة وكانت علامة بدء الطوفان أن يفور التنور بالماء ، أي أن الله سينزل السماء بالماء بالمنهمر، ويفجر الأرض كلها عيونا؛ لدرجة أن التنور، وهو الفرن الذي يخبز فيه الذي يكون محل النار في العادة، وأبعد ما يكون عن الماء، سيتفجر منه الماء ، حينئذ عليه أن يحمل معه المؤمنين ، ومن كل زوجين اثنين ، وأما من كفر من قومه فعاقبته الغرق بالطوفان، قال تعالى : ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ **[هود: 40]**، وركب نوح السفينة مع المؤمنين: ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ **[هود: 41]**، والعجب أنها سفينة تتحمل فيضان الماء، وارتفاع الأمواج العاتية، التي وصفها عز وجل بقوله تعالي: **(وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ)** [هود: 42]، وهذا التعبير القرآني الموجز البليغ يهدف إلى:(تقديم صورة بدء جري الفلك في الماء العظيم، الذي صار الموج فيه كالجبال الصغرى شكلاً وارتفاعاً، ولا تكون الأمواج في البحر متعالية بحسب السنة المعتادة، إلا إذا كانت الرياح العاتيات تحركها، فوصف الموج بأنه كالجبال أغنى عن ذكر الرياح العاتيات في الصورة، لأنّ الذهن يستدعيها في التصور) [2]

كانت السفينة تجري مسرعة في الماء ،الذي يغمرها من تحتها ومن فوقها ، ويحتويها من كل جوانبها ، والمعتاد أن السفن تمشي فوق الماء، أما هذه السفينة

---

(1) تفسير جامع البيان الطبري: (12/406)، ومما هو جدير بالذكر؛ ما ذكره الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء، فقد ذكر قولا لبعض المفسرين وهو: أن قوله تعالى: (وفار التنور) يشير إلى أن سفينة نوح كان بخارية مستدلا بقوله (وفار التنور) وأن قوم نوح كان قد بلغوا في المدنية شأوا بعيدا فاستخدموا البخار وأجروا به السفن، ثم قال: ولست أميل إلى هذا لأنه يقتضي أن التنور يفور من نفسه، بل الذي أفهمه أن الأرض لما هيأ الله الطوفان كانت ممتلئة بالماء من تحتها إشارة إلى قربه، ففار تنور أهله الذي يخبزون فيه. أ. هـ كلامه، من كتابه قصص الأنبياء ص (60) ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت -لبنان الطبعة الأولى (1425-2005)

(2) المرجع السابق (ص 10/396)

فقد تحملت الماء المندفع من الأرض ، والماء المنهمر من السماء، قال تعالي: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: 11-14] ، فهذا الماء بهذه الكثرة يستحيل أن تنجو منه أي سفينة عادية ، لكن لا غرابة في ذلك فهي تجري بأمر الله ، وقد تعهدها سبحانه وتعالي أثناء جريانها وعند مرساها بالعناية والرعاية .

المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال:

ومن الأمور التي نتوقف عندها: ركاب السفينة فقد شُحنت السفينة بكل من آمن مع نوح من البشر، وكل الحيوانات والطيور والحشرات، من كل صنف زوجين اثنين، على اختلاف بيئاتها، وطبائعها، ومع اختلاف طرق معيشتها، ونوعية غذائها، والتناقض والتضاد بينها، وفيها من هو عدو للآخر، إلا أنها تعايشت بسلام مع بعضها إلى أن وصلت السفينة محطتها الأخيرة، واستقرت علي جبل الجودي، وقد وصفها رب العزة بالسفينة المشحونة، وتعهد بنجاة كل من فيها ممن كانوا مع نوح- عليه السلام- من المؤمنين، وغيرهم ممن شحنت بهم السفينة، قال تعالي: **(فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ)** [الشعراء: 119]، وبذلك تعد السفينة في صناعتها، وقوة تحملها وسرعتها، وحمولتها، وركابها، آية للعالمين تفوق قدرات البشر، وكانت وقت الطوفان مركب النجاة للمؤمنين معه والأزواج التي حملها من سائر الكائنات.

****

الباب الثاني

المناهج الدعوية في رسالة

هود -عليه السلام-

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني/ المنهج العقلي.

الفصل الثالث/ المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة هود -عليه السلام-

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم اللّه.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة هود عليه السلام

عند تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله هود – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في عدة مواقف يتناولها الباحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا**﴾ **[الأعراف: 65]**، فكلمة (أخاهم) تعني أخوة النسب لا الدين، فنبي الله هود رجل من قومه معروف لديهم، وهي أيضا كلمة " تُشْعرُ بأشياء كثيرة؛ إنه من جنسهم، ولغته لغتهم، وأنسهم به، ويعرفون كل شيء وكل تاريخ عنه، وكل ذلك إشارات تعطى الأنس بالرسول؛

فلم يأت لهم برسول أجنبي عاش بعيداً عنهم حتى لا يقولوا: لقد جاء ليصنع لنفسه سيادة علينا، بل جاء لهم بواحد منهم وأرسل إليهم «أخاهم»" [1]

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم):

وقد تكرر نداء هود -عليه السلام – على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات كما قال تعالى: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**﴾ **[هود: 50]**، قال: (يا قوم)، ولا يخفى علينا ما في هذا النداء من التلطف في النصح، وتأليف القلوب، قالها هود -عليه السلام – "بهذا التودد، والتذكير بالأواصر التي تجمعهم، لعل ذلك يستثير مشاعرهم ويحقق اطمئنانهم إليه فيما يقول، فالرائد لا يكذب أهله، والناصح لا يغش قومه." [2]

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه:

فقد بين نبي الله هود لقومه خوفه عليهم إن استمروا على ضلالهم وكفرهم بالله فقال لهم: ﴿**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ **[الشعراء: 135]**

وقوله: (إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ) فيه بيان شفقته وحرصه على هدايتهم، وأيضا هو (تعليل لإنكار عدم تقواهم وللأمر بالتقوى، أي أخاف عليكم عذابا إن لم تتقوا، فإن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، والعذاب يجوز أن يريد به عذابا في الدنيا توعدهم الله به على لسانه، ويجوز أن يريد به عذاب يوم القيامة، ووصف يوم بـ (عظيم) على طريقة المجاز العقلي، أي عظيم ما يحصل فيه من الأهوال.) [3]

المبحث الثاني/ الترغيب

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

---

(1) تفسير الشعراوي (8/4205)

(2) تفسير الظلال (4/1896) مرجع سابق

(3) التحرير والتنوير (19/170) مرجع سابق.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار.

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله:

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**﴾ **[هود: 50]**، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده فلا إله غيره ولا رب سواه، واستحثهم على ذلك فقال **(أفلا تتقون)** الله فتخافون عقابه.

(وجملة: **"أفلا تتقون"** استفهامية إنكارية معطوفة بفاء التفريع على جملة: **"ما لكم من إله غيره"** والمراد بالتقوى الحذر من عقاب الله تعالى على إشراكهم غيره في العبادة واعتقاد الإلهية، وفيه تعريض بوعيدهم إن استمروا على ذلك، وإنما ابتدأ بالإنكار عليهم إغلاظا في الدعوة، وتهويلا لفظاعة الشرك إن كان قال ذلك في ابتداء دعوته، ويحتمل أن ذلك حكاية قول من أقواله في تكرير الدعوة بعد أن دعاهم المرة بعد المرة ووعظهم) [1]

المطلب الثاني / حثهم على الاستغفار:

وكان قوم عَاد ذَوِي قوة أدت بهم إلى الغرور والاستكبار، كما قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً** ﴾ **[فصلت: 15]** ، فذكرهم نبيهم هود – عليه السلام- بهذه النعمة، وهي أن الله زاد في قوتهم؛ فهم مميزون عن بقية الخلق، وبما أن الله هو الذي أعطاكم هذه النعمة فأولى بكم شكرها لتدوم عليكم، بل وبشرهم بزيادة هذه النعمة ووعدهم بنزول المطر الغزير إذا هم تابوا إلى الله واستغفروا فقال: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾ **[هود: 51]**

يا قوم اسْتَغْفِرُوا ربكم عما ارتكبتم من الشرك، ثم توبوا إليه بترك تلك الذنوب، فإذا فعلتم ذلك، فسيزيد الله تعالى نعمه عليكم ويمنحكم القوة للاستفادة من تلك النعم، فإن النعم إذا لم تكن متاحة أصاب الإنسان الشقاء في حياته، وإذا كانت متاحة، ولكنكم مرضى أو ضعفاء لا تقوون على تحصيلها فأنتم أيضا في شقاء،

---

(1) المرجع السابق (202 /8 ب)

أما عندما تتزايد النعم وتتوفر القوة الكاملة للاستفادة منها، فإنها ستكون سببا لسعادتكم وعدم شقائكم في هذه الدنيا.

هل الاستغفار سبب لقوة البدن حقيقة؟

وما المانع من ذلك أليس الله عز وجل هو مالك الملك ومدبر الأمور كلها وبيده خزائن كل شيء، فإذا أطيع الله وسع على عباده وأغناهم، وإذا كفروا به منع عنهم نعمه وعطاءه، فهذه سنة جارية وقانون ثابت من قوانين الكون قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ **[الأعراف: 96]**، فإدرار المطر، ومضاعفة القوة للعباد، إن هم استغفروا وتابوا إلى الله أمر جارٍ وفق سنة الله- تبارك وتعالى- في الكون.

(فأما زيادة القوة فالأمر فيها قريب ميسور، بل واقع مشهود، فإن نظافة القلب والعمل الصالح في الأرض يزيدان التائبين العاملين قوة؛ يزيدانهم صحة في الجسم بالاعتدال والاقتصار على الطيبات من الرزق وراحة الضمير وهدوء الأعصاب والاطمئنان إلى الله والثقة برحمته في كل آن ويزيدانهم صحة في المجتمع بسيادة شريعة الله الصالحة التي تطلق الناس أحراراً كراماً لا يدينون لغير الله على قدم المساواة بينهم أمام قهار واحد تعنو له الجباه؛ كما تطلقان طاقات الناس ليعملوا وينتجوا، ويؤدوا تكاليف الخلافة في الأرض.)[1]

المبحث الثالث/ الترهيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم.

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم.

المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم:

أراد نبي الله هود – عليه السلام – أن يذكر قومه بنعم الله عليهم ويخوفهم من عاقبة التكذيب فقال لهم كما ذكر الله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٣١ وَاتَّقُوا الَّذِى**

(1) تفسير الظلال (ص 4/1906) مرجع سابق

﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٣٤ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣٥﴾ [الشعراء: 131-135]

أي: اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، وانتهوا عن اللهو واللعب، وظلم الناس، وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض، واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون، وأعانكم به من الأنعام والبنين، والبساتين والأنهار، أي سخر ذلك لكم وتفضل بها عليكم، فهو الذي يجب أن يعبد ويشكر ولا يكفر.

وجملة **(إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)** تعليل لإنكار عدم تقواهم وللأمر بالتقوى، أي: أخاف عليكم عذابا إن لم تتقوا، فإن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، والعذاب يجوز أن يريد به عذابا في الدنيا توعدهم الله به على لسانه، ويجوز أن يريد به عذاب يوم القيامة، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب، فما نفع فيهم. (1)

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم:

لما دعا نبي الله هود – عليه السلام – قومه إلى عبادة الله وحده قالوا على سبيل الإنكار والاستهزاء: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 70]، وهكذا استعجلوا العذاب وتحدوا رسولهم، فأجابهم جوابا حاسما: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71] أي: (قد وجب عليكم بمقالتكم هذه من ربكم رجس وغضب، والرجس قيل: هو مقلوب من رجز. وعن ابن عباس: معناه السخط والغضب. **{أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم}** أي: أتحاجوني في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وهي لا تضر ولا تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلا؛ ولهذا

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (377/ 19) وتفسير القرطبي (13/125)، وتفسير ابن كثير (ص 6/153) وتفسير التحرير والتنوير (19/170)

قال: **{ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين}** وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه. [1]

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح.

المطلب الثاني: التذكير بأن الله أمدهم بأنعام، وبنين، وجنات، وعيون.

المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح:

قوم عاد هم من أبناء المؤمنين الذين أنجاهم الله مع نوح – عليه السلام- كما قال تعالى: ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ **[هود: 48]**

"وكان بنو نوح قد تكاثروا وانتشروا في الأرض، في أرمينية والموصل والعراق وبلاد العرب، وكانوا أمما كثيرة، أو كانت عاد أعظم تلك الأمم وأصحاب السيادة على سائر الأمم، وليس المراد أنهم خلفوا قوم نوح في ديارهم لأن منازل عاد غير منازل قوم نوح عند المؤرخين" [2]

لكنهم مع مرور الوقت وقعوا في الشرك وعبادة الأصنام، وفي سياق التذكير بنعم الله عليهم ذكرهم نبي الله هود – عليه السلام –بأن الله استخلفهم بعد قوم نوح – عليه السلام –، فقال لهم: ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ **[الأعراف: 69]** ، أي: واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح، وهذا التذكير تصريح بالنعمة، وتعريض بالنذارة والوعيد بأن قوم نوح إنما استأصلهم وأبادهم عذاب من الله على شركهم، فمن اتبعهم في صنعهم يوشك أن يحل به عذاب أيضا، وقوله ﴿**وزادكم في الخلق**

---

(1) ينظر تفسير ابن كثير (3/435) مرجع سابق

(2) تفسير التحرير والتنوير (8/205ب) مرجع سابق

بسطة﴾ أي: ومن نعم الله عليكم أن زاد طولكم على الناس فجعلكم أطول من أبناء جنسكم، **﴿فاذكروا آلاء الله﴾** أي: نعمه ومننه عليكم **﴿لعلكم تفلحون﴾** والمقصود منه أن تذكر النعم العظيمة يوجب الرغبة والمحبة وزوال النفرة والعداوة، ورتب على ذكر نعم الله رجاء أن يفلحوا لأن ذكر النعم يؤدي إلى تكرير شكر المنعم، فيحمل المنعم عليه على مقابلة النعم بالطاعة. (1)

المطلب الثاني: التذكير بأن الله أمدهم بأنعام وبنين وجنات وعيون:

ذكرهم نبي الله هود – عليه السلام – بنعم أخرى في قوله تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: 131-134]**، فهنا ذكرهم نبي الله هود – عليه السلام – بالعديد من نعم الله عليهم، وهي:

- أمدهم بالأنعام- وهي الإبل والبقر والغنم-
- وأمدهم بالأولاد زينة الحياة الدنيا.
- وأمدهم بالبساتين المثمرة.
- وبالعيون التي ينتفعون بمائها العذب.

"وابتدأ في تعداد النعم بذكر الأنعام لأنها أجل نعمة على أهل ذلك البلد، لأن منها أقواتهم ولباسهم وعليها أسفارهم وكانوا أهل نجعة فهي سبب بقائهم، وعطف عليها البنين لأنهم نعمة عظيمة بأنها أنسهم وعونهم على أسباب الحياة وبقاء ذكرهم بعدهم وكثرة أمتهم، وعطف الجنات والعيون لأنها بها رفاهية حالهم واتساع رزقهم وعيش أنعامهم." (2)

****

وبذلك نرى أن هودا- عليه السلام- قد جمع في نصحه لقومه بين الترهيب والترغيب، والتذكير بنعم الله عليهم، ورغم هذه النصائح كلها، إلا أن قومه أصروا على كفرهم واشتروا الضلالة بالهدى، بل كان ردهم عليه- كما حكى

---

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (3/434) مرجع سابق

(2) المرجع سابق (19/170)

القرآن عنهم-: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ۝١٣٦ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨﴾ [الشعراء: 136-138] [1]

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة هود -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة هود عليه السلام

وقد استخدم نبي الله هود-عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه لإقامة الحجة عليهم بالعديد من فنون القول، يتناوله الباحث من خلال ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

من الأساليب البلاغية التي تعتمد على المخاطبات العقلية: أسلوب الاستفهام الذي يخرج لأسباب بلاغية عن حقيقته إلى أغراض بلاغية، كالاستفهام الاستنكاري الذي يكون لاستنكار أمر يقره العقل لمراجعة المخاطب نفسه أو لتوبيخه فيخجل ويرتدع. [1]

وقد استعمل نبي الله هود – عليه السلام أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته لقومه يتناولها الباحث في خمسة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لآبائهم.

المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم وأنه لا يريد لهم إلا الخير.

المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء يبنونه.

---

(1) ينظر: علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» لأحمد بن مصطفى المراغي، ص (69) ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الثالثة 1993م

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله:

قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65]، وجملة: **(أفلا تتقون)** استفهامية إنكارية معطوفة بفاء التفريع على جملة: **(ما لكم من إله غيره)**، والمراد بالتقوى الحذر من عقاب الله تعالى على إشراكهم غيره في العبادة واعتقاد الإلهية، وفيه تعريض بوعيدهم إن استمروا على ذلك، وإنما ابتدأ بالإنكار عليهم إغلاظا في الدعوة وتهويلا لفظاعة الشرك) (1)

المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم:

قال تعالى حكاية عن هود -عليه السلام-: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: 69]، ونلاحظ مشابهة كلامه في رده على قومه بكلام نبي الله نوح – عليه السلام – لكن لا عجب من ذلك فإن مصدر التلقي عند الأنبياء واحد وهو الوحي المنزل من السماء، والهمزة في قوله: **(أَوَعَجِبْتُمْ)** للاستفهام الإنكاري، والمعنى: "لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه، بل احمدوا الله على ذاكم" (2)

المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لآبائهم:

فقال لهم: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71]، لما رفض قومه الاستجابة لدعوته إياهم إلى التوحيد وبرروا رفضهم بأنهم يقلدون آباءهم في عبادتهم إياها قال لهم مستفهما استفهام ساخر مستنكر: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ [الأعراف: 71] ، أي: (أتحاجوني في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم

---

(1) التحرير والتنوير 8/202 ب)

(2) تفسير ابن كثير (3/434) مرجع سابق

وآباؤكم آلهة، وهي لا تضر ولا تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلا) [1]

المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم وأنه لا يريد لهم إلا الخير:

قال تعالى حكاية عن هود -عليه السلام-: ﴿**يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ **[هود: 51]**، والهمزة في قوله: (أَفَلا تَعْقِلُونَ) للاستفهام الإنكاري، والمعنى: (اعقلوا ولا تجانبوا منهج الفهم السديد والعقل الرشيد...العقل عقلان: عقل علمي، وعقل إرادي، وكلاهما مأخوذان من الربط.

فالعقل العلمي: يكون باستخدام قوى الإدراك والفهم في معرفة حقائق الأمور فهماً صحيحاً مطابقاً لما عليه في الواقع، وعقلها في الذاكرة، لتكون دافعة إلى السلوك القويم المؤدي إلى النتائج الفضلي.

والعقل الإرادي: يكون باستخدام الإرادة الحرة التي وهبها الله للإنسان، في عقل أهوائه وشهواته ورغبات نفسه، عن الانحراف والخروج عن صراط الله المستقيم عقيدة وعملاً.) [2]

ويقصد هود – عليه السلام- من كلامه: يا قوم حركوا عقولكم وفكروا بطريقة واعية أني لا منفعة دنيوية لي أبدا من وراء دعوتي، ولا أسألكم عليها أجرا، فأنا متجرد بدعوتي لله، ولو كان لي من وراء دعوتي منفعة لجاز لكم أن تتهموني، فأين ذهبت عقولكم أتكذبونني وأنتم ترون ألا منفعة لي من وراء دعوتكم؟

المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء يبنونه:

قال تعالى حكاية عن هود -عليه السلام-: ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠**﴾ **[الشعراء: 128-130]**، والهمزة في قوله: (أتبنون) للاستفهام الإنكاري، والريع هو (المكان المرتفع عند جوادّ الطرق المشهورة، تبنون هناك بناء محكما باهرا هائلا؛ ولهذا قال: (أتبنون بكل ريع آية) أي: معلما بناء مشهورا، (تعبثون) وإنما تفعلون ذلك عبثا،

(1) تفسير ابن كثير (ص 3/435) مرجع سابق.

(2) تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر (10/417) مرجع سابق.

لا للاحتياج إليه؛ بل لمجرد اللعب، واللهو وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم- عليه السلام- ذلك؛ لأنه تضييع للزمان، وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا، ولا في الآخرة.) [1]

المبحث الثاني/ الجدال

وقد استعمل نبي الله هود -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في دعوته لإثبات ما جاء به من الحق، ودحض شبهاتهم الباطلة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب.

المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل.

المطلب الثالث: شبهة أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة.

المطلب الرابع: شبهة أن رسولهم بشر وليس من الملائكة.

المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب:

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66] ، لما أرسل الله نبيه هودا – عليه السلام- لدعوة قومه إلى التوحيد ونبذ الشرك، كان الملأ من الكبراء والسادة من قومه يعيشون في جهل أدى بهم للوقوع في أوحال الشرك؛ كانوا يرون أن رسولهم الذي أرسل إليهم به سفاهة، أي في حمق وخفة عقل [2]، وأنه كاذب غير مصدق عندهم فيما يقول، وهذا كله ناتج عن انتكاسة الفطرة والعمى عن صراط الله المستقيم، فيرون الدعوة إلى التوحيد ضلال، والرسول في سفاهة!!

(وكأنما كبر على الملأ الكبراء من قومه أن يدعوهم واحد من قومهم إلى الهدى، وأن يستنكر منهم قلة التقوى ورأوا فيه سفاهة وحماقة، وتجاوزا للحد،

---

(1) تفسير ابن كثير (6/152) مرجع سابق.

(2) ينظر تفسير القرطبي (7/236)

وسوء تقدير للمقام! فانطلقوا يتهمون نبيهم بالسفاهة وبالكذب جميعاً في غير تحرج ولا حياء) [1]

وقد رد عليهم نبي الله هود – عليه السلام- بقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩﴾ [الأعراف: 67-69]

هذا هو أدب الأنبياء – عليهم السلام – يتعرضون لما يتعرضون له ، وينسبون إليهم الضلالة والسفاهة فيردون في حلم وحكمة بنفي هذه التهم عنهم والانشغال بما هو أولى ألا وهو مصلحة الدعوة والانشغال بهداية الناس ، فنفى هود – عليه السلام- عن نفسه تهمتهم بالسفاهة وأثبت لنفسه أنه رسول رب العالمين ونفى عن نفسه تهمة الكذب بأنه جاءهم ناصح أمين ، وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغة والنصح والأمانة، وأتبع ناصح بأمين وهو الموصوف بالأمانة لرد قولهم له: لنظنك من الكاذبين [الأعراف: 66] لأن الأمين هو الموصوف بالأمانة، والأمانة حالة في الإنسان تبعثه على حفظ ما يجب عليه من حق لغيره، وتمنعه من إضاعته، أو جعله لنفع نفسه، وضدها الخيانة، والأمانة من أعز أوصاف البشر، وهي من أخلاق المسلمين. [2]

وهذا درس للدعاة في كل زمان ومكان فإن (في إجابة الأنبياء عليهم السلام- من نسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة، بما قالوا لهم مع علمهم بأنّ خصومهم أضلّ الناس وأسفههم- أدب حسن، وخلق عظيم، وحكاية الله عزّ وجلّ ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ناصِحٌ أَمِينٌ أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة، فما حقي أن أُتهم. أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه [3]

---

(1) تفسير الظلال (3/1311)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (3/434) وتفسير التحرير والتنوير (8/203/ب)

(3) تفسير الزمخشري (2/116)

ثم قال لهم معززا رده على شبهتهم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: 69] أي: تساءل مستنكرا ومعجبا من كلامهم، ما وجه العجب عندكم وقد أراد الله بكم الخير؟ فأرسل إليكم رسولا منكم تعرفونه جيدا ليحذركم، ويخوفكم من عذاب الله إن أنتم بقيتم على ما أنتم عليه من الشرك.

المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل:

بعد أن دعا هود – عليه السلام – قومه إلى التوحيد تساءلوا مستنكرين: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 70]، أجئتنا لنعبد إلها واحدا، ونترك ما ألفناه واعتدنا عليه من عبادة آبائنا؟!

وبدلا من مقابلة الحجة بالحجة، والاستعداد لقبول الحق قالوا، وقد سيطر عليهم التقليد الأعمى لآبائهم: **(فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ)** [الأعراف: 70] أي عجل لنا بالعذاب إذا كنت صادقا فيما تقول، ومعنى هذا إن لم يأت العذاب فلست صادقا، وغاب عن القوم أنه إذا وقع العذاب فلا مرد له من الله، وغاب عنهم أن أخذه أليم شديد.

وجاء الجواب من هود – عليه السلام – حاسماً: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71]

والمعنى: (قال هود لقومه: قد حق ووجب عليكم من ربكم عذاب وسخط بسبب إصراركم على الكفر والعناد، وعبر عن العذاب المتوقع وقوعه بأنه قَدْ وَقَعَ مبالغة في تحقيق الوقوع، وأنه أمر لا مفر لهم منه، وعطف الغضب على الرجس، للإشارة إلى ما سينزل بهم من عذاب هو انتقام لا يمكن دفعه، لأنه صادر من الله الذي غضب عليهم بسبب كفرهم، وبعد أن أنذرهم هددهم بوقوع العذاب عليهم، ووبخهم على مجادلتهم إياه بدون علم فقال: **(أَتُجادِلُونَنِي فِي أَسْماءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ)** أي: أتجادلوني وتخاصموني في شأن أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات، لأنكم تسمونها آلهة مع أن معنى الإلهية فيها معدوم ومحال وجوده إذ المستحق للعبادة إنما هو الله الذي خلق كل شيء، أما هذه الأصنام التي زعمتم أنها آلهة فهي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا.

فأنت ترى أن هودا- عليه السلام- قد حول آلهتهم إلى مجرد أسماء لا تبلغ أن تكون شيئا وراء الاسم الذي يطلق عليها، وهذا أعمق في الإنكار عليهم، والاستهزاء بعقولهم، وقوله: **(ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ)** أي: ما نزل الله بها من حجة أو دليل يؤيد زعمكم في ألوهيتها أو في كونها شفعاء لكم عند الله، وإنما هي أصنام باطلة قلدتم آباءكم في عبادتها بدون علم أو تفكير، ثم هدد بالعاقبة المقررة المحتومة فقال: **(فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ)** أي: فانتظروا نزول العذاب الذي استعجلتموه وطلبتموه حين قلتم فَأْتِنا بِما تَعِدُنا فإني معكم من المنتظرين لما سيحل بكم بسبب شرككم وتكذيبكم. (1)

المطلب الثالث / أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة:

لما دعا هود – عليه السلام- قومه إلى توحيد الله وترك ما هم عليه من الشرك ردوا عليه بأربعة ردود، تدرجوا فيها من السيئ إلى الأسوأ، ومن القبيح إلى الأقبح.. مما يدل على توغلهم في الطغيان، وبلوغهم النهاية في العناد والكفر والجحود، فقالوا: ﴿**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤**﴾ **[هود: 53-54]**

هذه هي شبهاتهم الأربعة التي أنكروها على نبيهم:

1- **(قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ)** أي ما جئتنا بحجة، ولا برهان على ما تدعيه.

2- **(وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ)** ولن نترك آلهتنا بمجرد قولك: "اتركوهم" نتركهم، وفي هذا المعنى أيضا جاء قوله تعالى حكاية عنهم: **(قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)** [الشعراء: 136-138]

3- **(وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)** وما نحن لك بمصدقين، بل عليك أن تيأس يأسا تاما من استجابتنا لك.

---

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (ص 5/307)

4- **(إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ)** ما نقول لك: إلا أنك شتمت آلهتنا فجعلتك مجنونا وأفسدت عقلك انتقاما منها على سوء فعلك، فمن ثم تتكلم بكلام المجانين، ولم يقولوا: «اعتراك آلهتنا بسوء» بل قالوا: بَعْضُ آلِهَتِنا تهديدا له وإشارة إلى أنه لو تصدت له جميع الآلهة لأهلكته إهلاكا.

وقد رد عليهم نبيهم قائلا: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود: 54-56]

1- (قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تشركون مِن دُونِهِۦ)، أي: قال هود- عليه السلام- للطغاة من قومه بعزة وثقة إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ الذي لا رب سواه على براءتي من عبادتكم لغيره، وَاشْهَدُوا أنتم أيضا على أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ؛ أي: على براءتي من كل عبادة تعبدونها لغير الله- تعالى- لأنها عبادة باطلة.

فهو يعلن احتقاره لآلهتهم، وبراءته من شركهم، واستخفافه بأصنامهم التي زعموا أن بعضها قد أصابه بسوء، ويوثق هذه البراءة بإشهاد الله- تعالى- وإشهادهم.

2- ثم ينتقل من براءته من شركهم، إلى تحديهم بثقة واطمئنان فيقول: **(فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ)** أي: لقد أعلنت أمامكم بكل قوة ووضوح أنى برئ من شرككم، وها أنا ذا في مواجهتكم، فانضموا إلى آلهتكم، وحاربوني بما شئتم من ألوان المحاربة والأذى بدون تريث أو إمهال، فإني لن أكف عن الجهر بدعوتي، ولن أتراجع عن احتقار الباطل الذي أنتم عليه، وهذا من أعظم الآيات، أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه، يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه، وأنه يعصمه منهم، فلا تنشب فيه مخالبهم.

والأمر بـ **(كيدوني)** مستعمل في الإباحة كناية عن التعجيز بالنسبة للأصنام وبالنسبة لقومه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: 39]، وهذا إبطال لقولهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: 54] وثم للتراخي الرتبي تحداهم بأن يكيدوه، ثم ارتقى في رتبة التعجيز والاحتقار فنهاهم عن التأخير بكيدهم إياه، وذلك نهاية الاستخفاف بأصنامهم وبهم وكناية عن كونهم لا يصلون إلى ذلك.

3- ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان السبب الذي دعاه إلى البراءة من شركهم، وإلى عدم المبالاة بهم فقال: **(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ)** [هود: 56]، والمعنى: إني اعتمدت على الله ربي وربكم: ما من دابة تدب على وجه الأرض إلا والله- تعالى- مالكها وقاهر لها، وقادر عليها، ومتصرف فيها كما يتصرف المالك في ملكه.

وجملة إني توكلت تعليل لمضمون فكيدوني وهو التعجيز والاحتقار، يعني: أنه واثق بعجزهم عن كيده لأنه متوكل على الله، وأجرى على اسم الجلالة صفة الربوبية استدلالا على صحة التوكل عليه في دفع ضرهم عنه، لأنه مالكهم جميعا يدفع ظلم بعضهم بعضا، وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع، ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه، أي: إني فوضت أمري إلى الله الذي هو ربي وربكم، ومالك أمري وأمركم، والذي لا يقع في هذا الكون شيء الا بإرادته ومشيئته، وفي قوله: (رَبِّي وَرَبِّكُمْ) مواجهة لهم بالحقيقة التي ينكرونها، لإفهامهم أن إنكارهم لا قيمة له، وأنه إنكار عن جحود وعناد.. فهو- سبحانه- ربهم سواء أقبلوا ذلك أم رفضوه.

وقوله: **(ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها)** والناصية: ما انسدل على الجبهة من شعر الرأس، والأخذ بالناصية هنا تمثيل للتمكن، تشبيها بهيئة إمساك الإنسان من ناصيته حيث يكون رأسه بيد آخذه فلا يستطيع انفلاتا.

وفي هذا التعبير الحكيم صورة حسية بديعة تناسب المقام، كما تناسب غلظة قوم هود وشدتهم، وصلابة أجسامهم وبنيتهم، وجفاف حسهم ومشاعرهم.. فكأنه- عليه السلام- يقول لهم: إنكم مهما بلغتم من القوة والبطش، فما أنتم الا دواب من تلك الدواب التي يأخذ ربي بناصيتها، ويقهرها بقوته قهرا يهلكها- إذا شاء ذلك- فكيف أخشى جوابا مثلكم مع توكلي على الله ربي وربكم؟!

ثم يتبع هذا الوصف الدال على شمول قدرة الله- تعالى- بوصف آخر يدل على عدالته وتنزهه عن الظلم فيقول: **(إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ)** أي: إن ربي قد اقتضت سنته أن يسلك في أحكامه طريق الحق والعدل وما دام الأمر كذلك فلن يسلطكم على لأنه- حاشاه- أن يسلط من كان متمسكا بالباطل، على من كان متمسكا بالحق، واكتفى هنا بإضافة الرب إلى نفسه، للإشارة إلى أن لطفه- سبحانه- يشمل هودا وحده ولا يشملهم، لأنهم أشركوا معه في العبادة آلهة أخرى.

وجملة **(إن ربي على صراط مستقيم)** تعليل لجملة إني توكلت على الله، أي توكلت عليه لأنه أهل لتوكلي عليه، لأنه متصف بإجراء أفعاله على طريق العدل والتأييد لرسله.

4- ثم ختم هود- عليه السلام- رده على قومه، بتحذيرهم من سوء عاقبة إصرارهم على كفرهم فقال كما ذكر الحق سبحانه: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾ **[هود: 57]** أي: فإن تتولوا عن دعوتي، وتعرضوا عن الحق الذي جئتكم به من عند ربي، فتكون عاقبتكم خسرا، وأمركم فرطا، أما أنا فقد أديت واجبى، وأبلغتكم ما أرسلت به إليكم من عند ربي بدون تكاسل أو تقصير.

وقوله: **(وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا)** وعيد لهم بإهلاكهم وإحلال غيرهم محلهم، أي: وهو- سبحانه- سيهلككم بسبب إصراركم على كفركم في الوقت الذي يشاؤه، ويستخلف من بعدكم قوما آخرين سواكم، يرثون دياركم وأموالكم، ولن تضروا الله شيئا من الضرر بسبب إصراركم على كفركم، وإنما أنتم الذين تضرون أنفسكم بتعريضها للدمار في الدنيا، وللعذاب الدائم في الآخرة.

وقوله: **(إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)** والحفيظ: أصله مبالغة الحافظ، وهو الذي يضع المحفوظ بحيث لا يناله أحد غير حافظه، وهو هنا كناية عن القدرة والقهر، أي: إن ربي قائم على كل شيء بالحفظ والرقابة والهيمنة، وقد اقتضت سنته- سبحانه- أن يحفظ رسله وأولياءه، وأن يخذل أعداءه. (1)

---

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (12/445 وما بعدها)، وتفسير الزمخشري (2/403 وما بعدها)، وتفسير الرازي (18/364 وما بعدها)، وتفسير القرطبي (9/52 وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (329/ 4 وما بعدها)، وتفسير التحرير والتنوير (97/ 12 وما بعدها)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (7/224 وما بعدها)

المطلب الرابع / أن رسولهم بشر وليس من الملائكة:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝١٤﴾ [فصلت: 13-14]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝٣٣ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ۝٣٤﴾ [المؤمنون: 33-34] (1)

وهذه الشبهة متكررة عند كثير من الأمم، وهي قولهم لماذا يأتي الرسول بشرا مثلنا يأكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب؟(2)

بل إن هذه الشبهة من أكبر أسباب صدود الناس عن الإيمان، كما ذكر الله تعالى: **﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 94]**، وقد جاء رد الرسل على هذه الشبهة بقولهم كما ذكر القرآن

---

(1) لم يذكر اسم نبي الله هود – عليه السلام - ولا قومه عاد في هذه الآيات صراحة لكن السياق يقتضي أن الحديث عن هود– عليه السلام - وقومه بدلالة قوله تعالى بعد إهلاك قوم نوح: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 31-32]

(2) يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "إن أبسط مبادئ الرسالة أو السفارة أن يكون الرسول أو السفير من جنس المرسل إليهم، لتحقيق أهداف الرسالة من أيسر الطرق، وتمكين الرسول والمرسل إليه من النقاش والحوار المؤدي للغاية، لذا كان الأنبياء والرسل من جنس البشر المرسل إليهم، بل من أقوامهم وإخوانهم، أو من بني جلدتهم وعشيرتهم، حتى يكون اللقاء أو الخطاب مثمرا، ولكن المشركين من عهد نوح عليه السلام إلى عهد خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اشتبه عليهم أمر الرسالة، وظنوا أن الرسول ينبغي أن يكون من جنس أسمى أو أعلى من المرسل إليه، فأنكروا بشرية الرسل، وطالبوا بأن يكون النبي المرسل أحد الملائكة." من التفسير الوسيط للدكتور وهبة الزحيلي (2/1790) الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى - 1422 هـ

الكريم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: 11]، رد الرسل على أقوامهم بقولهم: نعم نحن بشر مثلكم، وهذه الطريقة تعرف بطريقة مجاراة الخصم، ومجمل هذه الطريقة أن يسلم المجادل ببعض مقدمات الخصم؛ للإشارة إلى أن هذه المقدمات لا تنتج ما يريد أن يستنتجه، وإنما هي بعيدة عنه؛ فدعوى الخصم أن الرسل بشر، والبشر لا يستطيعون أن يتلقوا وحي الله، وهم بدعوى الرسالة يريدون صد أقوامهم عن عبادة الآباء والأسلاف وبملاحظة رد الرسل عليهم نرى التسليم للخصوم بأنهم بشر، ويذكرون أن البشرية لا تتنافى أن يمن الله بالرسالة على من يشاء من البشر، وفي هذا النوع من الجدل استدراج للخصم واستجلاب لإصغائه، وربما كان من الممكن بهذه الطريقة ثنيه عن الإنكار، بعد بيان فساد العلاقة بين القضية المسلَّمة والنتيجة التي رُتبت خطأ عليها.[1]

وفي هذه المعنى يقول العلامة ابن عاشور[2]: (قول الرسل: **(إن نحن إلا بشر مثلكم)** جواب بطريق القول بالموجب في علم آداب البحث، وهو تسليم الدليل مع بقاء الأنواع ببيان محل الاستدلال غير تام الإنتاج، وفيه إطماع في الموافقة، ثم كر على استدلالهم المقصود بالإبطال بتبيين خطئهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]

وهذا النوع من القوادح في علم الجدل شديد الوقع على المناظر، فليس قول الرسل ﴿**إن نحن إلا بشر مثلكم**﴾ تقريرا للدليل، ولكنه تمهيد لبيان غلط المستدل في الاستنتاج من دليله، ومحل البيان هو الاستدراك في قوله ﴿**ولكن الله يمن على**

---

(1) ينظر أصول الدعوة وطرقها 3، ص (369) من مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

(2) ابن عاشور هو : العلامة المفسر محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور ، ولد في تونس سنة (1327) هـ ، الموافق (1909) م ، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس ، وهو من أسرة علمية عريقة، برز في عدد من العلوم ونبغ فيها ، كعلم الشريعة واللغة والأدب ، وكان متقنا للُّغة الفرنسية ، وعضواً مراسَلاً في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة ، تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس ، والقضاء ، والإفتاء ، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة، توفي في تونس سنة (1390هـ)الموافق: (1970م) ينظر ترجمته في الأعلام للزركلي (6/174) ومن أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة(948) مرجع سابق.

من يشاء من عباده﴾، والمعنى: أن المماثلة في البشرية لا تقتضي المماثلة في زائد عليها فالبشر كلهم عباد الله، والله يمن على من يشاء من عباده بنعم لم يعطها غيرهم، فالاستدراك رفع لما توهموه من كون المماثلة في البشرية مقتضى الاستواء في كل خصلة.) [1]

المبحث الثالث/ الحوار

استعمل نبي الله هود- عليه السلام – أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم حقيقة رسالته، وبيان بطلان ما يعتقدون، وتذكيرهم ببعض نعم الله عليهم، وتحذيرهم من غضب الله وعقابه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام-:

1- ابتدأ نبي الله هود – عليه السلام – حواره مع قومه بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه دعوة الأنبياء جميعا فقال: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**﴾ **[هود: 50]** وهذا ما يعرف في الحوار بالبدء بالقضايا الكبرى قبل الصغرى.

2- فما كان جواب قومه إلا أن أنكروا أن يكون رسولا من عند الله واتهموه بالحماقة والكذب كما في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ **[الأعراف: 66]**

3- ولم يقابل هود – عليه السلام – إساءتهم بمثلها ، إنما رد عليهم بأنه ليس به سفاهة وإنما هو رسول من الله ، مهمته البلاغ والنصيحة ، وأنه أمين فيما يبلغ عن الله، ولا يكذب فيما يقول لهم أبدا، وذكرهم بنعمة الله عليهم باستحلافهم بعد قوم نوح، وأنه سبحانه وتعالى قد زاد لهم في قوتهم عن غيرهم

---

(1) تفسير التحرير والتنوير (13/201) مرجع سابق.

من الناس ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٦٩﴾ [الأعراف: 69]، ويبدو من رد هود – عليه السلام – وحواره معهم حكمته وحلمه، وحرصه على هداية قومه، وأنه لا يريد بهم إلا الخير.

4- ثم بين عليه السلام التجرد والإخلاص التام في دعوته، وأنه لا يرجو من وراء دعوته مالا ولا ربحا، وأن دعوته ابتغاء وجه الله، قال: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: 51]

5- ثم أراد أن يلين قلوبهم بدعوتهم إلى التوبة من ذنوبهم، ووعدهم أنهم إذا تابوا واستغفروا فإن الله سينزل عليهم مطرا غزيرا مدرارا يحمل الخصب والخير معه، ويزدهم الله قوة إلى قوتهم ، قال تعالى حكاية عن هود: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52]

6- ثم أراد هود – عليه السلام- أن يستدل على استحقاق الله وحده للعبادة بما وهبهم من النعم فذكرهم بنعم الله عليهم، وحذرهم من الاغترار بقوتهم إن أصروا على الكفر بالله وإيذاء الناس فقال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء: 128-135]، وهنا يقرر هود -عليه السلام- في حواره مع قومه أن دوام النعم بشكرها وصونها عن أن تكون في باطل، وأن عاقبة الغرور والبطش بالناس العذاب العظيم.

7- وبعد كل هذا الوضوح والبيان لم يبق للقوم عذرا أو حجة إلا أنهم اختاروا أن يستمروا على تكذيبهم، واتهموا نبيهم بأنه يردد أساطير الأولين فقالوا: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ

﴿الْأَوَّلِينَ ۝١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨﴾ [الشعراء: 136-138]، والأعجب من هذا اتهامه بأن الآلهة أصابته بضرب من الجنون انتقاما منه بسبب تعرضه له فقالوا: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: 53-54]

8- وأحيانا لا يجدي مع بعض النوعيات من البشر الرفق واللين فلا بد من تنبيههم بقوة وصرامة كما فعل هود -عليه السلام- فقد رد عليهم بكل قوة واستعلاء مبينا أن إصرارهم على الباطل ليس له إلا نتيجة واحدة هي وقوع غضب الله بهم فقال: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71]، وأعلن براءته من شركهم فقال: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود: 54-55]

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار:

1- موضوع الحوار: الدعوة إلى التوحيد، اثبات الرسالة والدعوة إلى تصديق رسولهم.

2- تميز حوار هود -عليه السلام- بالوضوح، والبيان، وقوة الحجة ،والموضوعية.

3- اختيار هود -عليه السلام- للألفاظ التي تكون أدعى لفتح القلوب والرغبة في الوصول للحق.

4- الرد بحكمة وحلم، وعدم الغضب أو الانشغال بمقابلة الإساءة بإساءة حتى لا تتحول الدعوة إلى حظ نفس، بل اكتفى بنفي التهم عن نفسه، وبيان مهمته التي أرسل من أجلها.

5- نفى أن يكون له منفعة دنيوية من وراء دعوته، بل هو متجرد لله في دعوته.

6- دعاهم إلى الاعتبار بأمة نوح التي جاءوا على إثرها.

7- ذكرهم بأن إيمانهم واستغفارهم سبب لزيادة الخير والقوة لهم، وأن الكفر سبب للشقاء والهلاك.

8- تميز الحوار أيضا بالغضب لنصرة الحق، فإن هودا -عليه السلام- لما رأي أن الحوار تحول إلى حوار عقيم وفيه نوع من التهكم والازدراء، رد عليهم بعزة المؤمن، بقوة وصرامة وهددهم بوقوع غضب الله بهم.

9- تحرير المصطلحات والألفاظ فتسمية الأصنام آلهة أمر ما أنزل الله به من سلطان.

****

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة هود -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف والطغيان.

المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة هود -عليه السلام-

وقد استخدم نبي الله هود - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة مع قومه في عدة صور، يتناولها الباحث من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف والطغيان.

المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟

المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاعتبار.

المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين

المطلب الأول: تعريف الاعتبار:

الاعتبار لغة: مأخوذ من الفعل عبر وأصل العبر: تجاوز من حال إلى حال، والاعتبار، والعبرة: بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد. [1]

واصطلاحا: الاعتبار هو: "النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها"[2]

وفي نضرة النعيم: " الاعتبار هو التّدبّر وقياس ما غاب على ما ظهر"[3]

---

(1) ينظر المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص (543) مادة "عبر"، بتحقيق صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى 1412 هـ

(2) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (29/504)

(3) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (2/380)

المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين:

أراد نبي الله هود – عليه السلام- أن يذكر قومه بأمر حسي يعرفونه جميعا وهو أنهم أبناء المؤمنين الذين أنجاهم الله في السفينة مع نبي الله نوح –عليه السلام- وهذا أدعى أن يشكروا الله على هذه النعمة أن جعلهم الله خلفاء من بعد قوم نوح، وأن يتبصروا بعاقبة من هلكوا حينما أغرقهم الله بالطوفان فلم ينج منهم أحدا، وقد ورد هذا في قوله تعالى حكاية عن هود: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ **[الأعراف: 69]**

(فلقد كان من حق هذا الاستخلاف، وهذه القوة والبسطة، أن تستوجب شكر النعمة، والحذر من البطر، واتقاء مصير الغابرين، وهم لم يأخذوا على الله عهداً أن تتوقف سنته التي لا تتبدل، والتي تجري وفق الناموس المرسوم، بقدر معلوم، وذكر النعم يوحي بشكرها وشكر النعمة تتبعه المحافظة على أسبابها ومن ثم يكون الفلاح في الدنيا والآخرة.) [1]

المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف والطغيان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العبث في البناء رغبة في التفاخر.

المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا.

المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم.

المطلب الأول: العبث في البناء رغبة في التفاخر:

لما رأي هود-عليه السلام- قومه سادرين في غيهم وضلالهم مشركين بالله منشغلين بالدنيا؛ لا حظ لهم منها إلا إلى التَّعاظُمِ والتَّفاخُرِ، واللَّهْوِ واللَّعِبِ، منصرفين عن الآخرة، مسارعين إلى الهلاك بغرورهم وكبرهم، قال لهم مستنكرا: ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ**﴾ **[الشعراء: 128]**، فقد كانوا يبنون في الأماكن المرتفعات ما يبدو للناظر من بعد كأنه علامة، ليعرف بذلك غناهم تفاخرا

(1) تفسير الظلال (ص 3/1311) مرجع سابق.

وعبثا، وبنوا في طرق أسفارهم أعلاما ومنارات تدل على الطريق كيلا يضل السائرون في تلك الرمال المتنقلة التي لا تبقى فيها آثار السائرين.

المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا:

ثم قال هود لقومه: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 129]، فقد بلغ القوم من الحضارة الصناعية مبلغا يذكر حتى لتتخذ المصانع لنحت الجبال وبناء القصور، وتشييد العلامات على المرتفعات، يرجون الخلد في الدنيا أو يشبه حالهم حال من يخلد، واحتفروا وشيدوا مصانع للمياه، وهي الصهاريج [1] تجمع ماء المطر في الشتاء، ليشرب منها المسافرون، وينتفع بها الحاضرون في زمن قلة الأمطار، وهذا من الأعمال النافعة في ذاتها؛ لأن فيها حفظ الناس من الهلاك في الفيافي بضلال الطرق، ومن الهلكة عطشا إذا فقدوا الماء وقت الحاجة إليه، فمتى أريد بها رضا الله تعالى بنفع عبيده كانت جديرة بالثناء عاجلا والثواب آجلا، فأما إذا أهمل إرضاء الله تعالى بها واتخذت للرياء والغرور بالعظمة وكانوا معرضين عن التوحيد وعن عبادة الله انقلبت عظمة دنيوية محضة لا ينظر فيها إلى جانب النفع، ولا تحث الناس على الاقتداء في تأسيس أمثالها ، وقصاراها التمدح بما وجدوه منها؛ فصار وجودها شبيها بالعبث؛ لأنها خلت عن روح المقاصد الحسنة، فلا عبرة عند الله بها؛ لأن الله خلق هذا العالم ليكون مظهر عبادته وطاعته، وكانوا أيضا في الإعراض عن الآخرة والاقتصار على التزود للحياة الدنيا بمنزلة من يحسبون أنفسهم خالدين في الدنيا، فلذلك أنكرها عليهم رسولهم بالاستفهام الإنكاري .

المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم:

ويمضي هود -عليه السلام- في استنكار ما عليه قومه فيقول: **﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130]** أعقب به موعظتهم على اللهو واللعب، والحرص على الدنيا بأن وعظهم على الشدة على الخلق في العقوبة، وهذا من عدم التوازن في العقول فهم يبنون العلامات لإرشاد السابلة، ويصطنعون المصانع لإغاثة

---

(1) الصهاريج : جمع صهريج: وهي كالحياض يجتمع فيها الماء . ينظر لسان العرب مادة "صهرج" (4/2516)

العطاش، فكيف يلاقي هذا التفكير تفكيرا بالإفراط في الشدة على الناس في البطش بهم، أي: عقوبتهم، فالمعنى: إذا بطشتم كان بطشكم في حالة التجبر، أي: الإفراط في الأذى، وهو ظلم وشأن العقاب أن يكون له حد مناسب للذنب المعاقب عليه بلا إفراط ولا تفريط في البطش، فالإفراط استخفاف بحقوق الخلق، فهم قوم عتاة غلاظ، يتجبرون حين يبطشون ولا يتحرجون من القسوة في البطش. شأن المتجبرين المعتزين بالقوة المادية التي يملكون. [1]

لقد اغتر القوم بقوتهم، وإمكاناتهم وأصابهم العجب والغرور؛ فتجبروا على خلق الله، وطغوا في الأرض وما دار بخلدهم أن الدنيا ذات أغيار وأن الأيام دول، وأن الباطل لا يدوم، ورغم أن نبيهم هود حذرهم وأنذرهم من عاقبة طغيانهم، إلا إنهم لم يستجيبوا له، وأعلنوا استمراراهم على التجبر والطغيان فقالوا لنبيهم: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ۝١٣٦ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨﴾ [الشعراء: 136-138]

فكيف كانت عاقبة ظلمهم؟

لقد عاجلهم الله بالعقوبة فسلط عليهم ريحا صرصرا فأهلكتهم جميعا فلم تبق منهم من أحد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: 6-8]

(إن الحضارة المادية إذا بعدت عن منهج الله، وتحكمت فيها الأهواء والأنانية والشهوة، فإنها تكون وبالا على أصحابها، وبرهانا على اضمحلالها وزوالها، وها هي حضارة " عاد" نمت وترعرعت في إطار الشهوات والأطماع، فأصابت أهلها بالكبر والغرور، وأخذوا يتيهون بها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15] جحدوا في غمرة ضلالهم

---

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (373/ 19 وما بعدها)، وتفسير الرازي (522/ 24 وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (6/152 وما بعدها)، وتفسير التحرير والتنوير (19/165 وما بعدها)، وتفسير الظلال (2609/ 5 وما بعدها)

قدرة الله، وتصوروا أنفسهم الأشد قوة، وضلوا بذلك ضلالا بعيدا، وكان ضياع حضارة "عاد" وتدميرها، مع هلاكهم وإبادتهم ... إن هذه سنة إلهية لا تتغير، وعلى العاقل أن ينظر في كل الحضارات، ويبحث عن أسباب انهيارها، وسوف يجده بإذن الله تعالى في هجر دين الله تعالى، وترك منهجه الذي شرعه لعباده، وذلك درس للإنسان على الزمن كله.) [1]

المبحث الثالث: هل كان لهود معجزة؟

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام-

المطلب الأول: تعريف المعجزة:

المعجزة لغة: من الفعل عجز، وأصل العجز التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الامر، أي مؤخَّره، وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة. [2]

واصطلاحا المعجزة هي: "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة." [3]

---

(1) دعوة الرسل عليهم السلام، للدكتور أحمد غلوش، ص (91)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1423هـ-2002م

(2) ينظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (547) مادة "عجز"

(3) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (4/3)، وقد ذكر العلماء تعريفات متقاربة لهذا التعريف، منها تعريف الإمام القسطلاني الذي قال: المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام-، وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها، فعلم أن لها شروطا: أحدها: أن تكون خارقة للعادة، كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين الأصابع، فخرج غير الخارق للعادة، كطلوع الشمس كل يوم. الثاني: أن تكون مقرونة بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة. والشرط الثالث: ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة، وقد خرج بقيد «التحدي» الخارق من غير تحد، وهو الكرامة للولي، وب «المقارنة» الخارق المتقدم على التحدي، كإظلال الغمام، وشق الصدر، الواقعين لنبينا- صلى الله عليه وسلم قبل دعوى الرسالة، وكلام عيسى في المهد، وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة، فإنها ليست معجزات إنما هي كرامات، ظهورها على الأولياء جائز، والأنبياء قبل نبوتهم لا

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام-:

قال تعالى حكاية عن قوم عاد: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ **[هود: 53]**، وقد تعددت أقوال العلماء في هذه القضية على النحو التالي:

القول الأول: قول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري [1] قال: إن معجزة هود هي الريح الصرصر التي أهلك الله بها قوم عاد [2]

القول الثاني: لم يذكر القُرْآن أن هودًا كان معه معجزة ليبرهن على صدق دعواه، وقد ذكر هذا القول الأستاذ سيد قطب في تفسير في ظلال القرآن، وبرر ذلك بقوله: ولعل سبب ذلك قربُ عهدهم بنوح، وأن سفينة نوح ما زالت شاهدًا على نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين. [3]

القول الثالث: القول الثالث: أن آيته كثرة الخيرات والخصب والأولاد بصورة أكبر مما كان ذي قبل وأكثر من غيرهم، وقد ذكر هذا القول العلامة ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فقال: "ولعل آيته أنه وعدهم عند بعثته بوفرة الأرزاق والأولاد واطراد الخصب وفرة مطردة لا تنالهم في خلالها نكبة ولا مصيبة بحيث كانت خارقة لعادة النعمة في الأمم، كما يشير إليه قوله تعالى: (وقالوا من أشد منا قوة) [فصلت: 15]. [4]

يقصرون عن درجة الأولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضا، وحينئذ يسمى «إرهاصا» أي تأسيسا للنبوة. نقلا عن المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للإمام القسطلاني (2/235) باختصار يسير، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

(1) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي ولد في سنيكة بمصر، وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة 906 هـ نشأ فقيرا معدما، ولما ظهر فضله تتابعت إليه الهدايا والعطايا، وولاه السلطان قايتباي قضاء القضاة، فلم يقبله إلا بعد إلحاح، ولما ولي رأى من السلطان عدولا عن الحق، فكتب إليه يزجره، فعزله السلطان، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفي. ينظر ترجمته في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي (3/238)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، والأعلام للزركلي (3/46)

(2) في كتابه: (فتح الرحمن بكشف ما التبس من القرآن) (266)، تحقيق الدكتور محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم بيروت 1983م

(3) ينظر تفسير الظلال (4/1898)

(4) ينظر تفسير التحرير والتنوير (98/ 12) مرجع سابق.

القول الرابع: أن معجزة هود-عليه السلام- تتمثل في رسوخه وثباته على دعوة قومه إلى التوحيد ولم يخش قومه رغم أنهم أهل طغيان؛ وبطش، بل أعلنها صراحة في أسماعهم قائلا: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56] وقد ذكر هذا القول الشيخ الشعراوي[1] في تفسيره فقال: (فالبيّنة التي جاء بها هود أنه وقف أمامهم ودعاهم إلى ترك الكفر؛ وهو تحدي القادرين عليه؛ لأنهم أهل طغيان؛ وأهل بطش؛ ومع ذلك لم يقدروا عليه؛ مثلما لم يقدر كفار قريش على رسولنا.) [2]

مناقشة وترجيح.

بالنسبة للقول الأول: يرى الباحث أن هذا القول فيه نظر، إذ كيف يكون هلاكهم بالريح معجزة؟ والله جل وعلا يجري المعجزات على يدي رسله لإقامة الحجة على الناس على سبيل التحدي كما سبق في التعريف؛ فالعذاب نفسه لا يكون معجزة.

وأما القول الثاني: فقد نفى وجود معجزة لهود واعتبار سفينة نوح معجزة باقية دالة على صدقه.

وأما القول الثالث: فإن النعم التي أنعم الله عليهم بها من وفرة الأرزاق والأولاد والجنات والعيون ليس أمرا خارقا للعادة- كما هو تعريف المعجزة- وإنما رب العالمين يبتلي الأمم بالسراء والضراء كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ **[الأنبياء: 35]**

أما القول الرابع: بأن المعجزة كانت في ثباته على دعوة قومه وعدم خشيتهم، فإن هذا أمر يشترك فيه الأنبياء جميعا وأتباعهم من المؤمنين.

---

(1) هو الشيخ محمد متولي الشعراوي، وُلِدَ عام 1911م، بقرية دقادوس التابعة لمركز ميت غمر بمصر، اختير وزيراً للأوقاف عام 1976، وله العديد من المؤلفات أبرزها تفسيره "خواطري حول القرآن الكريم "وتوفي في1998م، ينظر ترجمته في "أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة" (1002-1013) مرجع سابق.

(2) تفسير الشعراوي (6502/ 11) مرجع سابق.

والراجح لدى الباحث هو التوقف في هذا الأمر، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ". [1]، فقول الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر) هذه صيغة عموم مقتضاها وجود معجزة لكل رسول تكون شاهدا على صدقه.

قال الحافظ ابن حجر[2]- رحمه الله-: (قوله ما من الأنبياء نبي إلا أعطي) هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه ولا يضره من أصر على المعاندة.

قوله (من الآيات) أي المعجزات الخوارق.

قوله (ما مثله آمن عليه البشر) المثل يطلق ويراد به عين الشيء وما يساويه والمعنى أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها. [3]

وبناء على هذا فقد يكون لهود – عليه السلام- معجزة مادية كباقي الأنبياء، ولكن لم يرد ذكرها في القرآن الكريم؛ فلا نستطيع الجزم بنفي ذلك أو تعيين ما هي المعجزة التي كانت لنبي الله هود – عليه السلام-.

****

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، وأول ما نزل حديث رقم (4696) ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حديث رقم (152)

(2) الحافظ ابن حجر العسقلاني (773 - 852هـ) هو شيخ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، المعروف بابن حجر العسقلاني، زادت مؤلفاته على مئة وخمسين مصنفًا، ومن أشهرها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وتوفي سنة 852هـ، رحمه الله. ينظر ترجمته في: شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، (ج/ 9 ص 395-399)

(3) فتح الباري الجزء التاسع ص (6) بتصرف يسير.

الباب الثالث

المناهج الدعوية في رسالة

صالح -عليه السلام-

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني/ المنهج العقلي.

الفصل الثالث/ المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في رسالة صالح -عليه السلام-

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة صالح عليه السلام

عند مدارسة وتدبر آيات القرآن التي ذكر فيها قصة نبي الله صالح – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في عدة مواقف يتناولها الباحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة

وقد برز هذا الأسلوب في دعوة صالح – عليه السلام- لقومه بإخبار الله عنه أنه **"أخاهم"** وتكرر نداءه على قومه بـ **"يا قوم"** تأليفا لقلوبهم وتذكيرا بالرابطة القوية التي تربطه بهم، قال تعالى: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ **[هود: 61]** ، وقد سبق بيان هذا في قصتي نبيي الله نوح وهود –عليهما السلام-.

المبحث الثاني / الترغيب

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار.

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله:

وقد جاء ترغيب نبي الله صالح -عليه السلام -لقومه ليؤمنوا بالله وحده في قوله تعالى: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾ **[هود: 61]** وقوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٤٤**﴾ **[الشعراء: 142-144]**، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده، ونصحهم بما نصح به هود ونوح قومهما من قبله، فقال: ﴿ **أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ ألا تخشون الله وأنتم تعبدون غيره، فأنا رسول الله إليكم، أمين فيما أبلغكم عن ربي، فاتقوا الله بأن تجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية بتوحيده وطاعتي فيما أبلغكم عن ربي.

المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار:

وترغيبا لقومه في الاستغفار وترك ما هم عليه من الذنوب قال لهم صالح – عليه السلام-: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ **[النمل: 46]**

وقد جاء في تفسير استعجال السيئة قبل الحسنة وجهان:

(**أحدهما:** إن الذين كذبوا صالحا عليه السلام لما لم ينفعهم الحجاج توعدهم صالح عليه السلام بالعذاب، فقالوا: ﴿**ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين**﴾ [العنكبوت: 29] على وجه الاستهزاء، فعنده قال صالح: ﴿**لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة**﴾ والمراد أن الله تعالى قد مكنكم من التوصل إلى رحمة الله تعالى وثوابه، فلماذا تعدلون عنه إلى استعجال عذابه؟

وثانيهما: إنهم كانوا يقولون لجهلهم: إن العقوبة التي يعدها صالح إن وقعت على زعمه أتينا حينئذ واستغفرنا، فحينئذ يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا، فخاطبهم

صالح على حسب اعتقادهم، وقال: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر.) [1]

فتعجب صالح – عليه السلام- لحالهم واستعجالهم وقوع العذاب فقال لهم مرغبا: هلا تتوبون إلى الله من شرككم، فتوحدوه – سبحانه- وتستغفرونه، فيغفر لكم، ويرفع عنكم العذاب وينزل عليكم رحمته؟

المبحث الثالث/ الترهيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء.

المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة.

المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء:

أظهر الله على يد نبيه صالح – عليه السلام – معجزة الناقة [2]، فحذر قومه من مسها بسوء فتكون العاقبة العذاب الأليم من الله، كما قال تعالى حكاية عن نبيه صالح – عليه السلام –: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ **[الأعراف: 73]**، وقال أيضا: ﴿**وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**﴾ **[هود: 64]**، فدعاهم نبي الله صالح – عليه السلام- إلى عبادة الله وحده، وبين لهم أن الله أظهر لهم بقدرته بينة على صدق نبيهم، فأجرى على يديه معجزة الناقة، آية من آيات الله تخرج من الجبل، وقد حذرهم نبيهم من مسها بسوء، كما قال تعالى: ﴿**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ **[الشمس: 13]**

---

(1) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (24/560) مرجع سابق.

(2) والتي سيأتي الحديث عنها عند الحديث عن المنهج الحسي إن شاء الله.

أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، ﴿**وسقياها**﴾ أي: لا تعتدوا عليها في سقياها، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم. (1)

وقوله في سورة هود: ﴿**ولا تمسوها بسوء**﴾ أي بسوء يعوقها عن الرعي إما بموت أو بجرح، وقد جعل الله سلامة تلك الناقة علامة على سلامتهم من عذاب الاستئصال، ولذلك قال لهم صالح: ﴿**فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء**﴾، لأنهم إذا مسها أحد بسوء، عن رضى من البقية، فقد دلوا على أنهم خلعوا حرمة الله تعالى وحنقوا على رسوله - عليه السلام.) (2)

المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة:

ورغم أن نبي الله صالح – عليه السلام- رهبهم أن يعتدوا على الناقة وأخبرهم أن الاعتداء عليها موجب لعذاب قريب من الله ينزل بهم، وهذا العذاب سيكون أليما، إلا أن القوم أصروا على الهلاك واستحقاق غضب الله فعقروا الناقة؛ بأن انتدبوا أشقاهم فعقرها، وهم راضون مسرورون، فاستحقوا العقاب الشديد من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ**﴾ **[القمر: 29]**، فقال لهم نبيهم: ﴿**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾ **[هود: 65]**، ورغم إمهالهم ثلاثة أيام إلا أنهم لم يدر بخلدهم أن يعودوا إلى الله ويتوبوا عن كفرهم فاستحقوا العذاب كما قال تعالى: ﴿**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۝٣١**﴾ **[القمر: 30-31]**، وقال تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥**﴾ **[الشمس: 14-15]**

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله وآلائه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد.

---

(1) تفسير ابن كثير (8/414) مرجع سابق.

(2) تفسير التحرير والتنوير (8/219 ب) مرجع سابق

المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد.

المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض.

المطلب الرابع: نعمة الأمن والإمداد بالماء العذب والزروع والثمار المنوعة.

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد:

قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61]، فذكرهم نبيهم بأن الله تعالى هو الذي خلقهم من العدم وأنعم عليهم بنعمة الوجود، واستخلفهم في الأرض ليعمروها، (والإنشاء من الأرض خلق آدم من الأرض لأن إنشاءه إنشاء لنسله، وإنما ذكر تعلق خلقهم بالأرض لأنهم كانوا أهل غرس وزرع، كما قال في سورة الشعراء: **﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: 146-149]** ، ولأنهم كانوا ينحتون من جبال الأرض بيوتا ويبنون في الأرض قصورا، كما قال في الآية الأخرى: **﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]** ، فكانت لهم منافع من الأرض تناسب نعمة إنشائهم من الأرض فلأجل منافعهم في الأرض قيدت نعمة الخلق بأنها من الأرض التي أنشئوا منها، ولذلك عطف عليه واستعمركم فيها، والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامرينها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في استبقى واستفاق. ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعد تعميرا للأرض حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عمر الأرض.) [1]

(1) تفسير التحرير والتنوير (12/108) مرجع سابق

أراد صالح – عليه السلام- أن يقول لهم: إذا كان الله سبحانه هو الخالق وهو المنعم أفلا يعني هذا أنه وحده المستحق للعبادة.

المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: 74]، ذكرهم نبيهم صالح – عليه السلام- بنعمة "استخلاف الله لهم من بعد عاد، وإن لم يكونوا في أرضهم ذاتها، ولكن يبدو أنهم كانوا أصحاب الحضارة العمرانية التالية في التاريخ لحضارة عاد." (1)

فذكرهم – عليه السلام - بنعمة الله عليهم إذ جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد، وهذا التذكير يأتي في سياق ترغيبهم أن يُروا الله من أنفسهم خيرا بعبادته وحده لا شريك له، وشكره لأنه جعلهم مستخلفين في الأرض بعد هلاك قوم عاد.

ويقصد صالح –عليه السلام- أيضا ترهيبهم أن يصيبهم ما أصاب قوم عاد بسبب شركهم، فمن كفر بالله يوشك أن يحل به العذاب كما حل بقوم عاد.

المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض:

قال تعالى حكاية عن نبيه صالح: **﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]**

قوله تعالى: ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي: (بوأكم في الأرض منازل، (تتخذون من سهولها قصورا) أي تبنون القصور بكل موضع، (وتنحتون الجبال بيوتا) اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم.) (2)

فذكرهم بنعمة الله عليهم بتمكينهم في الأرض فاتخذوا فيها منازل فكانوا يبنون في السهول قصورا، وينحتون في الجبال بيوتا، وهذا يدل على عظم منة

---

(1) ينظر تفسير الظلال (3/1313) مرجع سابق

(2) تفسير القرطبي (7/239) مرجع سابق.

الله عليهم أن أقدرهم على ذلك ومكنهم فيه، وكانوا بارعين حاذقين في نحتهم الجبال بيوتا كما في قوله تعالى حكاية عن صالح –عليه السلام-: **(وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ)** [الشعراء: 149] (1)

(1) ينظر المرجع السابق (13/129)

المطلب الرابع: نعمة الأمن والإمداد بالماء العذب والزروع والثمار المنوعة:

أراد صالح -عليه السلام- أن يذكرهم بنعم الله عليهم، وما مكن لهم من نعم وخيرات، ورغم انغماسهم في هذه النعم إلا أنهم كانوا يعيشون في غفلة عن الله وعبادته وحده لا شريك له، فلا يفكرون فيمن وهبهم هذه النعم، ولا يشكرون المنعم الذي أعطاهم هذا النعيم، قال تعالى حكاية عن صالح –عليه السلام-:

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ۝١٤٦ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝١٤٨ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ۝١٤٩﴾ [الشعراء: 146-149]، فذكرهم بهذه النعم ليتدبروا ويعرفوا قيمة النعيم الذي هم فيه، ويخافوا زواله، وفيما قاله لهم لمسات توقظ القلوب الغافية، وتنبه فيهم الحرص والخوف، وفيه حث على العمل لاستبقاء تلك النعم بأن يشكروا الله عليها، فقال لهم: **(أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا)** وقوله هذا إما أن يكون على سبيل الإنكار أي: إنكارا لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزولون عنه، أو أن يكون تذكيرا بالنعمة، وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك، مع الأمن والدعة.

وقوله: **(آمنين)** تنبيه على نعمة عظيمة، وهي نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم ولا يتذوق طعم النعم الأخرى إلا بها، فجمع الله لهم بين الأمن ورفاهية العيش، أي: أتظنون أنكم متروكون لهذا الذي أنتم فيه من دعة ورخاء ومتعة ونعمة، أتتركون في هذا كله آمنين بدون حساب أو سؤال من خالقكم- عز وجل- وأنتم تتقلبون في نعمه التي منها ما أنتم فيه من بساتين وأنهار وزروع كثيرة متنوعة، إن كنتم تظنون ذلك، فأقلعوا عن هذا الظن، واعتقدوا بأنكم أنتم وما بين أيديكم من نعم، إلى زوال، وعليكم أن تخلصوا لخالقكم العبادة والشكر لكي يزيدكم من فضله..

ونلاحظ هنا أن- صالحا- عليه السلام قد استعمل مع قومه أرق ألوان الوعظ، لكي يوقظ قلوبهم الغافلة، نحو طاعة الله- تعالى- وشكره، وقد استعمل في وعظه لفت أنظارهم إلى ما يتقلبون فيه من نعم تشمل البساتين والعيون، والزروع المتعددة، والنخيل الجيدة الطلع، اللذيذة الطعم، حتى لكأن ثمرها لجودته ولينه، لا

يحتاج إلى هضم في البطون، وتتركون في البيوت تنحتونها في الصخور بمهارة وبراعة، وفي أناقة وفراهة؟ (1)

****

وبذلك نرى أن صالحا- عليه السلام- نوع في دعوته لقومه بين الترغيب والترهيب، والتذكير بنعم الله عليهم، لشكرها وعدم زوالها، إلا أن قومه أصروا على كفرهم وعنادهم، وكان ردهم عليه- كما حكى القرآن عنهم-: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝١٥٤﴾ [الشعراء: 153-154]

****

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (6/155 وما بعدها)، وتفسير الظلال (5/2611 وما بعدها) وتفسير التحرير والتنوير (19/174 وما بعدها)، التفسير الوسيط لطنطاوي (10/269)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في رسالة

صالح -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة صالح عليه السلام

وقد استخدم نبي الله صالح-عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه ورد شبهاتهم، وأقام الحجة، وخاطب عقولهم بالاستدلالات العقلية المختلفة عساهم يفكروا بعيدا عن الجمود والتقليد فيؤمنوا بالله وحده، ورسوله الذي أرسل إليهم، وسوف يتناول الباحث هذه الاستدلالات العقلية في ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

من الاستدلالات التي تعتمد على المخاطبات العقلية: أسلوب الاستفهام، والذي يأتي في سياق الكلام لأغراض بلاغية لاستنطاق الخصم بالحجة، كالاستفهام الاستنكاري الذي يكون لاستنكار أمر يأبى العقل السليم رفضه ويكون الهدف هو حث الخصم على إعادة النظر والتفكير في اعتقاداته الخاطئة.

وقد استعمل نبي الله صالح – عليه السلام أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته لقومه من خلال أربعة مطالب على النحو التالي:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة.

المطلب الثالث: انكاره عليهم تمتعهم بالنعم وكفرهم بالله.

المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله.

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله:

قال تعالى: **(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ)** [الشعراء: 142]، فقول صالح – عليه السلام- لقومه: ﴿**أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ استفهام إنكاري، أراد به أن ينكر حالهم من الكفر بالله وعبادة غيره، والإعراض عن رسوله الذي جاءهم بالهدى من ربهم، فخاطب عقولهم مستنكرا: ألا تتقون عذاب الله بتوحيده واتباع رسوله.

المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة:

لما أنكر قومه عليه دعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال لهم مستنكرا:: **(قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ)** [هود: 63] يا قوم أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي وَآتانِي من عنده رحمة، ألا وهي اختياره لي وتكليفي بالرسالة، والاستفهام في قوله: (فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ) استفهام إنكاري وقع جواب الشرط، وهو قوله (إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ) فأنكر عليهم تكذيبه، والتشكك في دعوته، والتعريض بأنه صار غير مرحبا به عندهم بعد أن كان مرجوا فيهم، أنكر عليهم ذلك قائلا: من ذا الذي يجيرني من غضب الله، إذا خالفت أمره أو قصرت في تبليغ دعوته، احتفاظا برجائكم في، ومسايرة لكم في باطلكم؟ ومعنى كلامه –عليه السلام- كلا يا قوم، إنني سأستمر في تبليغ ما أرسلت به إليكم، ولن يمنعني عن ذلك ترغيبكم أو ترهيبكم، والذي أنا عليه هو الحق الذي لا ريب فيه، ومخالفة أمر الله في ذلك توصل إلى الهلاك والخسران بالتعرض لسخط الله وحاشاي أن أخالف أمر ربي إرضاء لكم. (1)

المطلب الثالث: انكاره عليهم تمتعهم بالنعم وكفرهم بالله.

وذلك في قوله تعالى: **(أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ)** [الشعراء: 146]، في معرض تذكير صالح – عليه السلام لقومه بنعم الله عليهم وتحذيرهم من عاقبة كفرهم بالله ورسوله خاطبهم بالاستفهام الإنكاري التوبيخي، قائلا لهم: (أيترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين، لا تخافون شيئا؟) (2)

---

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (ص 7/234) مرجع سابق.

(2) تفسير جامع البيان للطبري (ص 19/380) مرجع سابق.

المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: 46]، وهنا أيضا استفهام إنكاري توبيخي فحينما دعاهم نبي الله صالح -عليه السلام- للتوحيد ونبذ الشرك أبطأوا في الاستجابة له فاستنكر ذلك عليهم قائلا: يا قوم لم تصرون على العناد والتكذيب فيحل بكم العذاب، فهلا تبتم إلى الله فتكون توبتكم سببا لرحمته؟

(فإن قلت: ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة؟ وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى؟

قلت: كانوا يقولون لجهلهم: إن العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه، تبنا حينئذ واستغفرنا- مقدّرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت- ، وإن لم تقع، فنحن على ما نحن عليه، فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم، ثم قال لهم: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب؟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه.) [1]

المبحث الثاني: الجدال

وقد استعمل نبي الله صالح -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في دعوته لرد الشبهات التي أثارها قومه، وبيان الحق الذي جاءهم به، وسيتناول الباحث أهم الشبهات التي قالها قوم صالح -عليه السلام- في خمسة مطالب:

المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين.

المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كذاب أشر.

المطلب الرابع: التشاؤم من نبيهم صالح-عليه السلام-.

المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم.

---

(1) تفسير الزمخشري (ص 3/371) مرجع سابق.

المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم:

لما دعا نبي الله صالح – عليه السلام- قومه إلى عبادة الله وحده ردوا عليه قائلين: ﴿**قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾ [هود: 62]، ورد القوم يظهر ما كانوا عليه من الجهل والعناد فقالوا: ﴿**يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا**﴾ وقد ذكر المفسرون لقولهم هذا عدة معانٍ:

- أي كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت!
- كنا نرجو أن تكون فينا سيدا قبل هذا القول أي قبل دعوتك النبوة.
- كنت فاضلا خيّرا نقدمك على جميعنا.
- لقد كنت تعطف على فقرائنا، وتعين ضعفاءنا، وتعود مرضانا، فقوي رجاؤنا فيك أنك من الأنصار والأحباب، فكيف أظهرت العداوة والبغضاء؟

ثم إنهم أضافوا إلى هذا الكلام التعجب الشديد بقولهم: (**أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا**) إنها للقاصمة! فكل شيء يا صالح إلا هذا! وما كنا لنتوقع أن تقولها! فيا لخيبة الرجاء فيك! ثم إننا لفي شك مما تدعونا إليه؛ شك يجعلنا نرتاب فيك وفيما تقول: (وَإِنَّنَا **لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ**) والشك هو أن يبقى الإنسان متوقفا بين النفي والإثبات، والمريب هو الذي يظن به السوء، فقولهم: ﴿**وإننا لفي شك**﴾ معناه أنه لم يترجح في اعتقادهم صحة قوله، وقولهم: ﴿**مريب**﴾ يعني أنه ترجح في اعتقادهم فساد قوله، وهذا مبالغة في تزييف كلامه.

وهكذا يعجب القوم مما لا عجب فيه، بل يستنكرون ما هو واجب وحق، ويدهشون لأن يدعوهم أخوهم صالح إلى عبادة الله وحده، لماذا؟

لا لحجة ولا لبرهان ولا لتفكير، ولكن لأن آباءهم يعبدون هذه الآلهة! وهكذا يبلغ التحجر بالناس أن يعجبوا من الحق البين، وأن يعللوا العقائد بفعل الآباء!

فرد عليهم نبيهم قائلا: (**قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ**) [هود: 63]،

يقول: إن كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته، ﴿وآتاني منه رحمة﴾ النبوة ﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته﴾، يقول: فمن الذي يدفع عني عقابه إذا عاقبني أن أنا عصيته، فيخلصني منه ﴿فما تزيدونني﴾، بعذركم الذي تعتذرون به، من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم، ﴿غير تخسير﴾

وفي تفسير هذه الكلمة وجهان:

الأول: أن على هذا التقدير تخسرون أعمالي وتبطلونها، أي: ما تزيدونني إلا خسارة على خسارة، غضب الله وحرماني شرف الرسالة وخزي الدنيا وعذاب الآخرة.

الثاني: أن يكون التقدير: فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير أن أخسركم - أي أنسبكم إلى الخسران - أوما تزيدونني باحتجاجكم بدين آبائكم غير بصيرة بخسارتكم.

والقول الأول أقرب؛ لأن قوله: ﴿**فمن ينصرني من الله إن عصيته**﴾ كالدلالة على أنه أراد إن أتبعكم فيما أنتم عليه من الكفر الذي دعوتموني إليه لم أزدد إلا خسرانا في الدين، فأصير من الهالكين الخاسرين.

وقوله: ﴿**إن كنت على بينة من ربي**﴾ ورد بحرف الشك، وكان على يقين تام في أمره، إلا أن خطاب المخالف على هذا الوجه أقرب إلى القبول، فكأنه قال: قدروا أني على بينة من ربي، وأني نبي على الحقيقة، وانظروا أني إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله، فما تزيدونني على هذا التقدير غير تخسير. [1]

فرد صالح – عليه السلام- شبهتهم بإثبات:

- أنه نبي يوحى إليه من الله.
- أن متابعته لهم في ضلالهم ليكون مرجوا عندهم لن يزيده إلا خسارا.
- أنه لن يترك اليقين الذي هو عليه إلى الباطل الذي هم فيه.

---

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (15/369 وما بعدها)، وتفسير الرازي (18/367 وما بعدها)، وتفسير القرطبي (9/59 وما بعدها)، وتفسير الظلال (4/1907 وما بعدها)

- أن آلهتهم عاجزة ضعيفة لن تنصره أو تمنع عنه غضب الله إن أطاعهم فيما يطلبون.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين:

لما قال صالح – عليه السلام- لقومه: ﴿**وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ **[الشعراء: 151-152]**، أي: (لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله: ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ **[النمل: 48]** [1]

فردوا عليه قائلين: ﴿**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ **[الشعراء: 153-154]**، أي قد أصابك السحر مرات ومرات قالوها على سبيل المبالغة في الاتهام لأن (المسحر): الذي سحر مرة فمرة حتى فسد عقله ومسه الخبل، يقال لغة: «سحر الساحر فلاناً»، أي: سحره مرة فمرة حتى تخبل عقله، وضاع رشده، فاتهم كبراء ثمود رسولهم صالحاً عليهم السلام بأنه مسحر، وليس مجرد مسحور، أي: إن السحر الذي سلط عليه جعله مختل العقل مخبلاً، لا يقدر خطورة ما يقول بشأن كبراء قومه. [2]

وهكذا نرى تخبطا عجيبا في شأن هؤلاء المتكبرين المعاندين، فبعد تكذيبهم له نراهم هنا يصفونه أنه مسحور بلغ به السحر مبلغا، حتى أصابه الخبل وصار يهذي فلا يدري ما يقول!

والسؤال هنا: وهل دعوة نبيهم لتوحيد الله صار ضربا من الجنون؟! وهل ما يقوله نبيهم هذيان – كما زعموا- أم حق وصدق؟

وهكذا نرى القوم يكابرون ويعاندون، وهم على يقين من سلامة نبيهم من كل آفة ونقص.

---

(1) تفسير الطبري (19/384) مرجع سابق.

(2) تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر (8/674) مرجع سابق.

المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كذاب أشر:

وبعد وصفهم لنبيهم أنه مسحر عابوا عليه أنه بشر فقالوا: ﴿**مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الشعراء: 154] ، وهل إرسال الله رسوله بشرا ليكون قدوة لمن أرسل إليهم مدعاة للتكذيب؟ وما العيب في أن الرسول بشر مثلهم يعرفهم ويعرفونه ويرونه في كل أحواله فيتأسون به؟

إنها نفس شبهة قوم نوح وقوم عاد من قبل، (وتلك هي الشبهة التي ظلت تخايل للبشرية كلما جاءها رسول، فقد كان تصور البشرية القاصر للرسول عجيبا دائما وما كانت تدرك حكمة الله في أن يكون الرسول بشرا، وما كانت تدرك كذلك تكريم هذا الجنس البشري باختيار الرسل منه ليكونوا رواد البشرية المتصلين بمصدر الهدى والنور.

وكانت البشرية تتصور الرسول خلقا آخر غير البشر، أو هكذا ينبغي أن يكون ما دام يأتي إليها بخير السماء، وخبر الغيب، وخبر العالم المحجوب عن البشر.. ذلك أنها ما كانت تدرك سر هذا الإنسان الذي كرمه الله به، وهو أنه موهوب القدرة على الاتصال بالملأ الأعلى وهو على هذه الأرض مقيم، يأكل وينام ويتزوج، ويمشي في الأسواق، ويعالج ما يعالجه سائر البشر من المشاعر والنوازع، وهو متصل بذلك السر العظيم.[1]

إذن أرسل الله رسوله بشرا لعدة حكم:

- أن يطبق منهج الله الذي جاءهم به.
- أن يكون قدوة في أخلاقه الحسنة بين قومه.
- أن يروه ويأنسوا بالحديث معه والتعلم منه وسؤاله فيما أشكل عليهم.
- كونه بشرا يكون أقرب لأنفسهم وقلوبهم لسماع مواعظه.

---

(1) تفسير الظلال (ص 5/2612) مرجع سابق.

- صعوبة الاتصال بالملائكة ورؤيتهم قال -تعالى-: **(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ)** [الأنعام: 9]

المطلب الرابع: التشاؤم من نبيهم صالح -عليه السلام-:

قال تعالى حكاية عن قوم ثمود: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: 47]

لما دعاهم نبيهم إلى التوحيد وسألهم عن سبب استعجالهم وقوع العذاب ردوا عليه قائلين: (اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أي: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب، فأجابهم صالح فقال لهم (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه، لا يدري أيّ ذلك كائن، إما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب؟ (1)

والله إنه لعجب أن يكون الرسول المرسل بالهدى ودين الحق يدعو قومه لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، ثم يتهمونه بأنه شؤم عليهم، وأن ظهوره فيهم بالرسالة سيكون سببا لوقوع البلاء بهم!!

فيجيبهم نبيهم مبطلا زعمهم الكاذب قائلا: إن كل شيء يجري إنما يجري بمقادير الله فمن اتبع سنة الله -تبارك وتعالى-، وسار على هداه، فهناك الخير، ومن انحرف عن السنة، وحاد عن السواء، فهناك الشر، بدون حاجة إلى التشاؤم والتطير، (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) تفتنون بنعمة الله، وتختبرون بما يقع لكم من خير ومن شر، فاليقظة وتدبر السنن، وتتبع الحوادث والشعور بما وراءها من فتنة وابتلاء هو الكفيل بتحقيق الخير في النهاية، لا التشاؤم والتطير ببعض خلق الله من الطير ومن الناس سواء.

والهدف من كلام نبيهم أن يوضح لهم أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش مقطوع الصلة بالله خالق الكون ومدبره، وبالنواميس التي تدبر هذا الكون وتحفظه بأمر

(1) تفسير ابن جرير الطبري (ص 19/477) مرجع سابق.

الخالق المدبر الحكيم، ولكن هذا المنطق المستقيم إنما تستجيب له القلوب التي لم تفسد، ولم تنحرف الانحراف الذي لا رجعة منه. (1)

المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم:

انقسم قوم صالح –عليه السلام – في الإيمان بدعوته فريقين:

أ- فريق المستكبرين الكافرين، وهم الملأ.

ب- فريق المستضعفين المؤمنين، وهم بقية قومه.

وقد وردت هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾ **[الأعراف: 75-76]**، وقد مر بنا في قصتي نوح وهود مع قومهما أن الحوار كان بين القوم ونبيهم، لكن الملاحظ هنا أن الملأ الذين استكبروا عدلوا عن مجادلة صالح - عليه السلام - إلى جدال الذين آمنوا به، ومحاولة إلقاء الشك في نفوسهم، ولما كان خطابهم للمؤمنين مقصودا به إفساد دعوة صالح - عليه السلام - كان خطابهم بمنزلة المحاورة مع صالح - عليه السلام-، وقد تركز الحوار في عدة نقاط:

1- التشكيك في دعوة صالح –عليه السلام- فبدأوا بالاستفهام قائلين: **(أتعلمون)** للتشكيك والإنكار، أي: ما نظنكم آمنتم بصالح - عليه السلام - عن علم بصدقه، ولكنكم اتبعتموه عن عمى وضلال غير موقنين.

2- أيضا في قولهم: **(أتعلمون)** نشم فيه رائحة السخرية والتهكم، لأنهم ليسوا متأكدين أصادق هو أم كاذب؟ فأرادوا السخرية من تصديقهم له في دعواه الرسالة من ربه.

3- وواضح من طريقة السؤال وهم السادة والكبراء أنه سؤال للتهديد والتخويف، وكأن الإيمان بصالح – عليه السلام- تهمة.

4- وصف أولئك الكفار بكونهم مستكبرين، هو وصف ذم لهم، ووصف أولئك المؤمنين بكونهم مستضعفين معناه: أن غيرهم يستضعفهم ويستحقرهم،

---

(1) ينظر تفسير الظلال (ص 5/2645) مرجع سابق.

وهذا ليس فعلا صادرا عنهم، بل عن غيرهم، فهو لا يكون صفة ذم في حقهم، بل الذم عائد إلى الذين يستحقرونهم ويستضعفونهم.

5- في رد المؤمنين على الملأ المستكبرين دلالة على أنهم لم يعودوا ضعافا، لقد سكب الإيمان بالله القوة في قلوبهم، والثقة في نفوسهم، والاطمئنان في منطقهم.. إنهم على يقين من أمرهم، فماذا يجدي التهديد والتخويف؟ وماذا تجدي السخرية والاستنكار؟

فرد المؤمنون بقوة ووضوح قائلين: **(إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ)** فنحن موقنون مصدقون بما جاء به صالح، لا شك ولا ريب كما ظننتم.

6- ومن ثم يعلن الملأ عن موقفهم في صراحة تحمل طابع التهديد، والإصرار على الباطل والمعاندة: **(إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ)** نحن كافرون بما جاء به صالح، والسر في هذا أن الملأ هم آخر من يؤمن بدعوة تجردهم من السلطان في الأرض، وترده إلى إله واحد هو رب العالمين. (1)

المبحث الثالث/ الحوار

استعمل نبي الله صالح- عليه السلام – أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم ما أرسل به من الله، وبيان بطلان ما يعبدون من أصنام باطلة، وتحذيرهم من غضب الله وعقابه.

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب في مطلبين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام:

---

(1) ينظر: تفسير الرازي (307/ 14)، وتفسير الظلال (3/1313 وما بعدها) وتفسير التحرير والتنوير (222/ 8ب، وما بعدها)

1. ابتدأ نبي الله صالح – عليه السلام – حواره مع قومه بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ **[هود: 61]** وهذا ما يعرف في الحوار بالبدء بالنقطة الأهم واعطائها الأولوية الكبرى في الحوار.

2. فما كان جواب قومه إلا أن أنكروا أن يكون رسولا من عند الله واتهموه بأنه كان مرجوا فيهم يسمع لرأيه ويأخذون بمشورته، وهذا فيه تعريض واتهام له أنه صار متهما عندهم بسوء الرأي والعقل، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾ **[هود: 62]**

3- ولم يقابل صالح – عليه السلام – إساءتهم بمثلها – وهذا دأب الرسل جميعا- إنما رد عليهم بسؤالهم قائلا: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ**﴾ **[هود: 63]** وهذا ما يعرف بأسلوب مجاراة الخصم كأنه يقول : لو سلمت جدلا بقولكم وقد آتاني الله النبوة فإني أكون حينئذ خاسرا إن تابعتكم فيما أنتم عليه من ضلال، وهنا أيضا تعريض بهم أن طريقهم طريق الخسار والهلاك، وأن طريقه طريق الرحمة والهداية.

4- ثم أراد أن يبين لهم دليلا حسيا على صدقه، وأنه رسول رب العالمين ، فقد أجرى الله على يده هذه المعجزة، فقال: ﴿**وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**﴾ **[هود: 64]**، فهذه ناقة الله تخرج لهم من الجبل بقدرة الله، وأمرهم ألا يتعرضوا لها بسوء، وإلا أصابهم عذاب قريب من الله عز وجل.

5- ثم أراد صالح – عليه السلام- في حواره مع قومه أن يذكرهم بنعم الله عليهم، فقال: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ**

﴿مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]، فذكرهم بنعمة استخلافهم بعد عاد، وفيه تحذير لهم أن يصيبهم ما أصاب قوم عاد لما كفروا بالله ورسوله، وذكرهم بما منحهم الله من القوة والإمكانات فقد مكنهم الله في الأرض، وبنوا القصور في سهولها ونحتوا الجبال بيوتا، فذكرهم ببعض نعم الله عليهم لأن دوام النعم بشكرها والثناء على الله بها، فكيف قابلتم نعم الله بالجحود والنكران، وحذرهم من الإفساد في الأرض بالمعاصي فإن المعاصي مؤذنة بالهلاك والعذاب العظيم.

6- وبعد كل هذا البيان استمر القوم في غيهم وضلالهم وعقروا الناقة فعمهم الله بعذاب من عنده.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار:

1- موضوع الحوار: الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

2- تذكيرهم بنعمة الله عليهم حيث خلقهم من العدم، وأنعم عليهم بنعمة الوجود، وأن هذا الخلق لحكمة وهي عبادة الله الذي خلق، وعمارة الأرض لأن الإنسان مستخلف فيها.

3- اثبات أنه رسول الله بإقامة الحجة على قومه بمحاورتهم ثم معجزة الناقة التي كانت آية حسية دالة على صدقه.

4- دعاهم إلى عدم استعجال العذاب واستغفار الله من ذنوبهم، وأن الاستغفار سبب لنيل رحمة الله عز وجل.

5- تميز حوار صالح -عليه السلام- بالهدوء والحلم والحرص على هداية قومه.

6- دعاهم إلى الاعتبار بأمة عاد التي هلكت بسبب تمردهم على أمر الله وكفروا به وبرسوله.

7- بين لهم أن الكفر فساد في الأرض مؤذن بالخراب والدمار.

****

الفصل الثالث

المنهج الحسي في رسالة صالح -عليه السلام-

وفيه مبحثان:

المبحث الأول / معجزة الناقة.

المبحث الثاني / الاعتبار بالسابقين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة صالح -عليه السلام-

وقد استخدم نبي الله صالح - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة إلى الله مع قومه في عدة صور، يتناولها الباحث من خلال مبحثين:

المبحث الأول/ معجزة الناقة.

المبحث الثاني/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الأول/ معجزة الناقة

كان القوم ينحتون الجبال بيوتا فهم خبراء بالمنطقة الجبلية ويعرفون كيفية التعامل مع هذه الصخور القاسية الصلدة ويعرفون الجبال المحيطة بهم جيدا، فأجرى الله على يد نبيهم آية خارقة ومعجزة تدلل على صدقه، فأخرج لهم نبيهم بقدرة الله آية بينة ألا وهي الناقة، قال تعالى حكاية عن نبيه صالح: ﴿**وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**﴾ **[هود: 64]**، فجعل الله لنبيه صالح -عليه السلام هذه الآية البينة، والمعجزة الواضحة، دليلا على نبوته، وكانت ناقة خاصة في خلقها وصفاتها، ليست كباقي النياق التي عندهم، أما خلق الناقة، وكيفية خلقها، فلا نعرف عنه شيئاً، ولم تخبرنا الآيات عنه، ولا توجد أحاديث صحيحة توضح ذلك، ونحن لا نذهب للخرافات والإسرائيليات، والآية الخارقة دليل صدق النبي، لأن الله يصدقه بها، وكأنه يقول لقومه: صدق عبدي فيما يرويه عني، وهذه الآية المعجزة تصديق مني له. (1)

وقد أضيفت الناقة إلى الله: **(فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا)** [الشمس: 13]، وهي إضافة تشريف وتكريم للناقة، لأنها خاصة في خلقها ووجودها بينهم، وكانت الناقة لها شرب يوم، ولجميع ثمود شرب يوم، قال تعالى حكاية عن صالح -عليه السلام- **(قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ)** **[الشعراء: 155]**، وكانوا في يوم شربها يحلبون منها القدر الذي يقوم لهم مقام الماء في يوم شربهم،

---

(1) ينظر القصص القرآني للخالدي (ص1/279)

وحذرهم نبيهم من أن يمسوها بسوء، لأن ذلك مؤذن بوقوع العذاب بهم، فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فتآمر القوم على قتل الناقة وانتدبوا واحدا منهم لذلك كما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: 29]، ولأنهم اشتركوا جميعا في مؤامرة قتل الناقة فإن نبيهم توعدهم بقوله: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65]، وأنزل الله العذاب بالقوم فهلكوا جميعا قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: 30-31]

المبحث الثاني: الاعتبار بالسابقين:

أراد نبي الله صالح –عليه السلام- أن يدعو قومه لتذكر نعمة الله عليهم، والنظر في مصائر الغابرين، والشكر على نعمة الاستخلاف بعد هؤلاء الغابرين فقال كما ذكر الله حكاية عنه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]، وصالح يذكرهم استخلاف الله لهم من بعد عاد، وإن لم يكونوا في أرضهم ذاتها، ولكن يبدو أنهم كانوا أصحاب الحضارة العمرانية التالية في التاريخ لحضارة عاد، وأن سلطانهم امتد خارج الحجر أيضاً، وبذلك صاروا خلفاء ممكنين في الأرض، محكمين فيها، وهو ينهاهم عن الانطلاق في الأرض بالفساد، اغتراراً بالقوة والتمكين، وأمامهم العبرة ماثلة في عاد الغابرين! (1)

****

(1) ينظر تفسير الظلال (3/1313)

الباب الرابع

المناهج الدعوية في رسالة لوط -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / المنهج العاطفي.

المبحث الثاني/ المنهج العقلي.

المبحث الثالث/ المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في رسالة لوط -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة لوط عليه السلام

عند مدارسة وتدبر آيات القرآن التي ذكر فيها قصة نبي الله لوط – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي بعدة أساليب يتناولها الباحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم).

المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط).

المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي).

المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم):

وهذا النداء من نبي الله لوط لقومه بقوله (يا قوم) في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾ [هود: 78] ترقيقا لقلوبهم وإشعارا بقوة الرابطة بينه وبينهم وقد مر بنا الكلام عن هذا في قصص الأنبياء: نوح وهود وصالح بما يغني عن الإعادة.

المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط):

أرسل الله رسله لهداية البشر وإرشادهم إلى الطريق القويم فكان من أبرز صفات الرسل تعاملهم مع أقوامهم بالرأفة واللين، ونجد هذا في دعوة لوط – عليه

السلام- لقومه بإخبار الله عنه أنه **"أخاهم"** إظهار للعاطفة التي تربطه بهم، قال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [الشعراء: 160-161]

هل لوط كان أخا لقومه فعلا؟

نبيُّ الله لوط هو الوحيد الذي آمن مع إبراهيم -عليه السلام- من الرجال، وهاجر معه، ولما نُبِّئ أمَره الله تعالى بالتوجه إلى ديار سدوم، ولم يكن لوط – عليه السلام- أخا لقومه ولم يكن من نسبهم، ولكنه لما استوطن بلادهم وحالفهم وتزوج منهم جعل أخا لهم، وقال تعالى في الآية الأخرى ﴿**وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ**﴾ [ق: 13]، أو أن هذا من إطلاق الأخوة على ملازمة الشيء وممارسته كقول العرب: (يا أخا الحرب)، والسياق القُرْآني ذكر دعوة الأنبياء لأقوامهم بدءًا من نوح، فكانت المؤاخاة متنوعة، بعضها: مؤاخاة النسب حقًّا، وبعضها مؤاخاة الإنسانية، وبعضها مؤاخاة اللفظ الدارج في لغة العرب؛ حيث ينادى الرجل عادة: (يا أخا العرب) ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [الإسراء: 27]. (1)

ونخلص من هذا أن نسبة أخوة لوط – عليه السلام- لقومه لها سببان، وهما:

- المصاهرة منهم.
- الإقامة بينهم، واستيطان بلادهم، ومعاشرتهم.

المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي):

لما جاءت الملائكة بيت لوط – عليه السلام- في صورة بشرية، وعلم قومه بخبرهم جاؤوا إلى بيته مسرعين، فقال لهم: ﴿**يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ**﴾ [هود: 78]

وقوله: (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) في تفسيره قولان:

---

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (19/178) مرجع سابق.

القول الأول: قصد بناته وقد روي أنه كان له ابنتان، فعرض عليهم التزوج بهن، لكن هذا التفسير مردود لسببين:

الأول: أن إقدام الإنسان على عرض بناته على الأوباش والفجار أمر متبعد لا يليق بأهل المروءة فكيف بأكابر الأنبياء؟

الثاني: أن القوم كانوا عددا كثيرا فكيف تكفيهم بنتان أو ثلاث؟

القول الثاني: أنه بقوله هذا يرشدهم إلى نسائهم، فقصد الزواج من بنات القبيلة لأن إطلاق البنات هنا من قبيل التشبيه البليغ، أي هؤلاء نساؤهن كبناتي، لأنه كان نبيا لهم فكان كالأب لهم. قال تعالى: ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب: 6] فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة.

فقصد لوط – عليه السلام- أنه بمثابة أب لكل نساء القبيلة وأضافهن إلى نفسه لأن كل نبي أب لأمته من حيث الشفقة وحسن التربية والتوجيه، وفي هذا الكلام استثارة للعاطفة في قومه وحثهم على ترك ما يقصدون من الرذيلة. (1)

المبحث الثاني/ الترغيب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم.

المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟

المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره من الأنبياء: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم:

دعا لوط – عليه السلام- قومه لطاعة الله وتقواه، وطاعة رسوله فقال لهم: ﴿**أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ [الشعراء: 124-126]

---

(1) ينظر: تفسير الرازي (18/378، وما بعدها) وتفسير ابن كثير (ص4/337)، وتفسير التحرير والتنوير (12/127، وما بعدها)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (7/248)

المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟

لم ينص القرآن صراحة على دعوة لوط قومه لتوحيد الله، لكن لو تأملنا عموميات القرآن لعلمنا أنه ما من نبي إلا ودعا قومه إلى التوحيد، ونهاهم عن الشرك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: 25]، وبما أن لوط عليه السلام هو من جملة الرسل الذين يصدق عليهم ما نصت عليه الآية، فلا شك أنه دعا قومه للتوحيد، وقد أشار عدد من المفسرين لهذا الأمر في تفسير عدة مواضع من القرآن:

1- قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء: 160-164] "فدعاهم إلى الله عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكْران دون الإناث" (1)

2- وفي قول لوط لقومه: ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ [الأعراف: 81]، أي: (في جمعكم إلى الشرك هذه الفاحشة.) (2)

3- وفي قوله تعالى ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [العنكبوت: 36]

نلاحظ في هذه الآية من سورة العنكبوت أن نبي الله شعيب – عليه السلام- دعا قومه للتوحيد لكن في الآيات السابقة (لم يذكر عن لوط أنه أمر قومه بالعبادة والتوحيد، وذكر عن شعيب ذلك؟ قلنا قد ذكرنا أن لوطا كان له قوم وهو كان من قوم إبراهيم وفي زمانه، وإبراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند الخلق من إبراهيم فلم يذكره عن لوط وإنما ذكر منه ما اختص به

---

(1) تفسير ابن كثير (6/ 157)

(2) تفسير القرطبي (7/246)

من المنع عن الفاحشة وغيرها، وإن كان هو أيضا يأمر بالتوحيد، إذ ما من رسول إلا ويكون أكثر كلامه في التوحيد) [1]

المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره من الأنبياء: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟

يرى الباحث – والله أعلم – أن قوم لوط جاؤوا بفاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، فكانت جريمتهم جريمة أخلاقية بشعة تخالف فطرة الله التي فطر الرجال عليها وهي اشتهاء النساء، والأقبح من هذا جهرهم بها واستحلالهم لها، حتى صار أمرا معتادا في هذا المجتمع، ودعوتهم لطرد آل لوط – عليه السلام- لأنهم قوم يتطهرون كما بين الله تعالى: **﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾** [النمل: 56]، فجمعوا بين الشرك بالله، وعدم الإيمان بنبيهم لوط -عليه السلام- وبين فعل الفاحشة والمجاهرة بها، وقطع الطريق على المسافرين.

المبحث الثالث/ الترهيب

حذر لوط – عليه السلام- قومه من عاقبة جهرهم بهذه الفاحشة المنكرة الشنيعة في قوله تعالى: **﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: 80-81]**

لقد نهاهم نبيهم – عليه السلام- عن هذه الرذيلة التي انتشرت بينهم (وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، "إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أي: عدلتم عن النساء، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال، وهذا إسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع الشيء في غير محله." [2]

---

(1) تفسير الرازي (27/54)

(2) تفسير ابن كثير (3/445) باختصار يسير.

فهنا نرى أنه رهبهم من عاقبة إسرافهم ومجاوزتهم الحد في العصيان، فعقوبة الإسراف الهلاك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: 36]، أي: "ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به"[1]

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

أنكر لوط – عليه السلام- على قومه فعلتهم الشنيعة بنكاح الرجال، وتطور الأمر لشيوع ذلك والجهر به، ثم لم يستحوا من فعل ذلك بالغرباء، فأراد لوط – عليه السلام- أن يذكرهم بنعمة الله عليهم بأن جعل فطرتهم السوية هي اشتهاء الرجل للمرأة، وليس اشتهاء الذكر ذكرا مثله، فهذه وسيلة الاستمتاع الفطري السوية، فقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: 165-166]، أي : أنسيتم نعمة الله فيما خلق لكم من متعة حلال توافق الفطرة في نكاح الزوجات، مخالفين جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث، فإنها لا يوجد فيها ما يأتي الذكور، فهذا تنبيه على أن هذا الفعل الفظيع مخالف للفطرة لا يقع من الحيوان العجم، فهو عمل ابتدعوه ما فعله غيرهم، فقد برأ الله الذكر والأنثى وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيئته في امتداد الحياة عن طريق النسل، الذي يتم باجتماع الذكر والأنثى، فكان هذا الميل طرفا من الناموس الكوني العام، الذي يجعل كل من في الكون وكل ما في الكون في حالة تناسق وتعاون على إنفاذ المشيئة المدبرة لهذا الوجود، فأما إتيان الذكور الذكور فلا يرمي إلى هدف، ولا يحقق غاية، ولا يتمشى مع فطرة هذا الكون وقانونه. [2]

تقنين الشذوذ الجنسي في عصرنا:

إن الغريزة الجنسية نعمة من الله جعلها الله في بني الإنسان ليتكاثر النسل وتعمر الأرض، والفطرة التي فطر الله الناس عليها أن الرجل يشتهي المرأة والمرأة تشتهي الرجل، ثم يحدد لهذه الفطرة مسارها السوي وهو الزواج، فزواج

---

(1) المرجع السابق (7/480)

(2) ينظر تفسير الظلال (5/2613) وتفسير التحرير والتنوير (19/179)

الرجل بالمرأة أمر فطري إنساني، وكل إنسان في قرارة نفسه هذا الميل الطبيعي، وما ذلك الشذوذ إلا خروج وانتكاس عن الفطرة.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي[1]: (وللأسف في عصرنا قامت الحضارة الحديثة، التي تسُودُ العالم، لتعيد من جديد عادة قوم لوط، قوم لوط جاءوا بأن يستغني الذكور بالذكور، فلم تكتفِ بهذا الحضارة الحديثة، بل جاءت باستغناء الإناث بالإناث، زادوا بالطين بِلَّة، والداء عِلَّة، ثم جعلوا هذا أمرًا مقنَّنًا، كان قوم لوط أهل قرية من القرى، مهما فعلوا لن يُؤثِّر ذلك في العالم، ولكنَّ الحضارة الغربية حضارة ممتدة واسعة، تُؤثِّر على بلاد كثيرة في العالم، جاءت بهذا الشذوذ الجنسي، بل لم يعودوا الآن يُسمُّونه شذوذًا، بل يُسمُّونه مثليَّة، وسمَّوا هؤلاء الشاذين بالمثليين، أي الذي يستغني بمثله، الرجلُ يستغني بالرجل، والمرأةُ تستغني بالمرأة، وسَنُّوا قوانينَ تبيحُ هذا الأمر، وتقرُّه وتعتبره أمرًا مباحًا، ولو أنَّ الناس استجابوا لهذه النزعة الشهوانيَّة لانقرضت البشريَّة بعد جيل أو جيلين؛ لأنَّ البشريَّة لكي تبقى لا بدَّ أن يظلَّ الزواج الفطريّ الطبيعيّ الشرعيّ، الذي يرتبط فيه الذكر بالأنثى، أو ترتبط فيه المرأة بالرجل، هذا هو الذي يمكن أن يُنْجب أولادًا، لكن حين يكتفي الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، ستفنى البشريَّة، لو استجاب الناسُ لهذه النَّزْعة سيفنون لا مَحَالة... فللأسف، كيف رأينا البشريَّة قد ضلَّت الطريق، وكيف تلوَّث سُلوكُ الناس، وكيف بَعُدت هذه الحضارة عن منهج الأنبياء، عن منهج رُسُل الله عليهم السلام.)[2]

****

---

[1] الدكتور يوسف القرضاوي (1926م- 2022) ولد بقرية صفط تراب بمدينة المحلة بمصر، تخرج من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وفي سنة 1961م أعير إلى دولة قطر، وتولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وظل عميداً لها إلى نهاية عام 1990م، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام 1413هـ، وتولى رئاسة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئاسة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وتوفي يوم 26 سبتمبر 2022 م في الدوحة. ينظر ترجمته على موقعه الرسمي على هذا الرابط (تاريخ الزيارة11نوفمبر2023)https://2u.pw/O3D5L3

(2) تفسير سورة الحجر للقرضاوي (141:143) باختصار يسير.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة لوط -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة لوط عليه السلام

وقد استخدم نبي الله لوط-عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه إلى الطريق القويم وترك ما هم عليه من الفواحش والمنكرات، وخاطب عقولهم بالاستدلالات العقلية كالاستفهام والجدال، وغيرها، عسى أن يعودوا إلى الرشد والصواب.

وسوف يتناول الباحث هذه الاستدلالات العقلية من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

استعمل نبي الله لوط – عليه السلام أسلوب الاستفهام الانكاري والتوبيخي في عدة مواضع في دعوته لقومه من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه.

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لوط أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ **[الشعراء: 142]**، فقول لوط – عليه السلام لقومه: ﴿**أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ استفهام إنكاري، أراد به أن ينكر ما هم عليه من الكفر بالله وإتيان الفواحش، فخاطبهم مستنكرا: ألا تتقون عذاب الله بطاعته وطاعة رسوله وترك المعاصي فتنجون من عذابه.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة:

وقد ورد هذا في عدة مواضع في القرآن الكريم:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾ [الأعراف: 80-81] ، فالاستفهام في (أتأتون) إنكاري توبيخي، أي: أتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح، المتمادية في الشر والسوء، وقوله: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ بعد أن أنكر عليهم إتيان الفاحشة، وبخهم بأنهم أحدثوها، ولم تكن معروفة في البشر فقد سنوا سنة سيئة للفاحشين في ذلك. (1)

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**﴾ [الشعراء: 165-166]، والاستفهام في قوله: (**أَتَأْتُونَ**) للإنكار والتوبيخ، والمعنى: (أتأتون الذكران مخالفين جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث فإنها لا يوجد فيها ما يأتي الذكور؟ فهذا تنبيه على أن هذا الفعل الفظيع مخالف للفطرة لا يقع من الحيوان العجم فهو عمل ابتدعوه ما فعله غيرهم.) (2)

الموضع الثالث: في قوله تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ [النمل: 54-55]، فقوله: (**أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً**) الاستفهام هنا أيضا للإنكار والتوبيخ، وقوله (وأنتم تبصرون) أي: تفعلون ذلك علنا يبصر بعضكم بعضا، فإن التجاهر بالمعصية معصية؛ لأنه يدل على استحسانها وذلك استخفاف بالنواهي. (3)

---

(1) ينظر تفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (3/244)، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت

(2) تفسير التحرير والتنوير (19/179)

(3) ينظر المرجع السابق (19/288)

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ **[هود: 78]** والاستفهام هنا إنكاري توبيخي، وسببه: أنه لما علم قوم لوط بوجود أضياف عنده ذهبوا بكل صلافة يطلبون منه أن يخلي بينهم وبين ضيوفه ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 78] ، فإهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلا أهل السفاهة، فأنكر عليهم لوط -عليه السلام- تمالؤهم على الباطل وانعدام رجل رشيد من بينهم، وهذا إغراء لهم على التعقل ليظهر فيهم من يتفطن إلى فساد ما هم فيه فينهاهم، فإن ظهور الرشيد في الفئة الضالة يفتح باب الرشاد لهم، وبالعكس تمالؤهم على الباطل يزيدهم ضراوة به.[1]

المبحث الثاني/ الجدال

استعمل نبي الله لوط -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في دعوته لرد قومه إلى الحق ودحض الشبهات التي دفعتهم إلى التمسك بالفاحشة التي كانوا عليها، وأهم الشبهات التي قالها قوم لوط -عليه السلام-يستعرضها الباحث في مطلبين:

المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: "إنهم أناس يتطهرون".

المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء.

المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: إنهم أناس يتطهرون:

لما دعاهم لوط -عليه السلام- إلى ترك ما يفعلون من إتيان الرجال شهوة من دون النساء ما كان جوابهم إلا أن قالوا: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56]، و: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: 167]، هذا هو جواب القوم الحكم بنفي آل لوط من قريتهم!! لماذا؟ ما هي جريمتهم؟ ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ فيا للعجب! أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجاً، ليخلو الجو لهم لفعل الفاحشة كما يشاؤون دون وخزة ضمير أو تأنيب من أحد؟

---

(1) ينظر تفسير الظلال (4/2149) وتفسير التحرير والتنوير (12/129)

ماذا قال لهم لوط؟

قال: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: 168]، أي: (المبغضين، لا أحبه ولا أرضى به؛ فأنا بريء منكم، ثم دعا الله عليهم قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 169] (1)

المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء:

لما جاءت الملائكة لوطا في صورة بشرية، وعلم قومه بخبرهم جاؤوا إليه مسرعين كما ذكر الله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۝٧٨ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝٧٩﴾ **[هود: 78-79]**، والمعنى: (أن لوطا- عليه السلام- عندما رأى تدافعهم نحو بيته لارتكاب الفاحشة التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين، قال لهم: برجاء ورفق يا قَوْمِ هؤلاء نساؤكم اللائي بمنزلة بناتي ارجعوا إليهن فاقضوا شهوتكم معهن فهن أطهر لكم نفسيا وحسيا من التلوث.) (2)

ولكن القوم رفضوا وقالوا في خبث شديد ووقاحة (﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ لقد علمت، أننا لا رغبة لنا في النساء، وإنك على علم برغبتنا في الرجال الذين نزلوا ضيوفا عندك.

شذوذ قوم لوط عن الفطرة:

إن قصة هؤلاء القوم تكشف لنا (عن لون خاص من انحراف الفطرة؛ وقد شاءت سنة الله-تبارك وتعالى- أن يخلق البشر ذكرا وأنثى، وأن يجعلهما شقين للنفس الواحدة تتكامل بهما؛ وأن يتم الامتداد في هذا الجنس عن طريق النسل؛ وأن يكون النسل من التقاء ذكر وأنثى.. ومن ثم ركبهما وفق هذه السنة صالحين للالتقاء، صالحين للنسل عن طريق هذا الالتقاء، مجهزين عضويا ونفسيا لهذا

(1) تفسير ابن كثير (6/158)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (7/248)

الالتقاء.. وجعل اللذة التي ينالانها عندئذ عميقة، والرغبة في إتيانها أصيلة، وذلك لضمان أن يتلاقيا فيحققا مشيئة الله في امتداد الحياة؛ ثم لتكون هذه الرغبة الأصيلة وتلك اللذة العميقة دافعا في مقابل المتاعب التي يلقيانها بعد ذلك في الذرية من حمل ووضع ورضاعة، ومن نفقة وتربية وكفالة.. ثم لتكون كذلك ضمانا لبقائهما ملتصقين في أسرة، تكفل الأطفال الناشئين، الذين تطول فترة حضانتهم أكثر من أطفال الحيوان، ويحتاجون إلى رعاية أطول من الجيل القديم!

هذه هي سنة الله التي يتصل إدراكها والعمل بمقتضاها بالاعتقاد في الله وحكمته ولطف تدبيره وتقديره. ومن ثم يكون الانحراف عنها متصلا بالانحراف عن العقيدة، وعن منهج الله للحياة.) [1]

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "فهذا العمل الخبيث انتكاس في الفطرة، وانغماس في حمأة القذارة، وإفساد للرجولة، وجناية على حق الأنوثة، وانتشار هذه الخطيئة القذرة في جماعة، يفسد عليهم حياتهم ويجعلهم عبيدا لها، وينسيهم كل خلق وعرف وذوق." [2]

ويقول: (والإنسان حينما يدمن شيئا ويداوم عليه يفقد عقله، يفقد رشده، يفقد إرادته، يفقد إنسانيته، فهؤلاء فقدوا إنسانيتهم، فأصبحوا كالأنعام، بل هم أضل من الأنعام سبيلا، فالبهائم لا تفعل ما يفعل هؤلاء، لا نجد ثورا يطأ ثورا، ولا كلبا يطأ كلبا. لا ثم لا، الكلب لا يطأ إلا كلبة، والثور لا يطأ إلا بقرة، لكن هؤلاء أصبحوا كالبهائم، بل أضل من الأنعام سبيلا.) [3]

وبناء على ذلك، وحتى لا يضيع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بين الناس إذا رضوا بهذا الفعل بلا إنكار ولا زجر، فإن واجب الدعاة في واقعنا المعاصر تذكير الناس بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، وصون نعمة الله وتوظيفها في مكانها الصحيح وهو الزواج، وبيان أن الشذوذ الجنسي جريمة نكراء تؤدي إلى سخط الله، وتسبب العديد من الأمراض الفتاكة، وتسبب قلة الحياء

---

(1) ينظر تفسير الظلال (3/1315)

(2) الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوي ص (151) ط مكتبة وهبة، الطبعة الثانية والعشرون (1418هـ - 1997)

(3) تفسير سورة الحجر للقرضاوي ص (138)

وانحطاط الأخلاق، وتأخر الزواج وانتشار ظاهرة العنوسة عند الفتيات بسبب انتشار هذه الفاحشة المحرمة.

المبحث الثالث/ الحوار

استعمل نبي الله لوط- عليه السلام – أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم بطلان ما كانوا يأتون من الفاحشة ومجاهرتهم بها، وتحذيرهم من غضب الله ومقته.

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب في مطلبين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط – عليه السلام:

1- بدأ نبي الله لوط -عليه السلام – حواره مع قومه بالدعوة إلى تقوى الله؛ فهي وصية الله للأولين والآخرين، وهي مهمة الدعاة الأولى، فقال لهم: ﴿**أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ [الشعراء: 161-163]، ومن لوازم تقوى الله فعل أوامره واجتناب نواهيه، وكلامه هذا بمثابة تمهيد لحديثه معهم عن الفاحشة التي كانوا يقعون فيها.

2- ثم جاء استنكاره عليهم إتيان الفاحشة التي تفشت فيهم بأسلوب الاستفهام التوبيخي مستنكرا شذوذهم عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي اشتهاء الرجل للمرأة، لأن هذا مظنة الحرث والولد، قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: 80]

3- ثم أخبرهم - شأن جميع إخوانه الأنبياء عليهم السلام- أنه لا يسألهم أجراً على دعوته لهم إلى الحق المبين، ﴿**وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **[الشعراء: 164]**، فليس من وراء دعوتي لكم منفعة دنيوية أو سيادة ووجاهة، إنما أدعوكم مخلصا لوجه الله.

4- كان رد فعل قومه يدل على خبثهم وسوء طويتهم ؛ فهددوا لوطا أنهم سيقومون بنفيه هو وعائلته، وهو ما عبرت عنه الآيات الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ **[الأعراف: 82]**، فبدلا من حوار جاد ونقاش عاقل مع نبيهم لم يجدوا أمام قوة الحق الذي جاءهم به رسوله إلا أن يستعملوا حق القوة، بإبعاد آل لوط من قريتهم، والتهمة ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾

5- كان رد لوط -عليه السلام – عليهم بإظهار كراهته وبغضه لهذا العمل الذي يفعلونه، ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [الشعراء: 168] ثم دعا ربه أن ينجيه من القوم الظالمين، فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الشعراء: 169]

6- حينما جاء القوم مسرعين يراودوه عن ضيفه – وكانوا ملائكة في صورة بشرية- حاول لوط -عليه السلام -أن يصرفهم عن الفاحشة التي يرتكبونها ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود: 78]، و(البنات) في الآية المقصود به نساء قومه- كما مر بنا-، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهون النساء لأن فطرتهم منكوسة، فهنا أحس لوط بحرج كبير، ماذا يفعل؟! وهو لا يستطيع ردهم ولا منعهم لكثرتهم، وقد ملكتهم شهواتهم فصاروا كالبهائم تقودهم غرائزهم لا عقل يميز ولا بقية حياء تمنع!!! ورفض القوم أية بدائل يطرحها عليهم لوط، وهذا هو حال الفطرة إذا انتكست، وارتكست في أوحال الرذيلة؛ فالفاحشة التي يمارسونها هي الحق- في زعمهم- والطهر هو الباطل!!

7- هنا تمنى لوط - عليه السلام – لو أن له قوة باطشة، تردع قومه عن منكرهم، وتردهم عن باطلهم فقال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: 80] وجواب (لو) محذوف لدلالة الكلام عليه، والتقدير: لمنعتكم ولبالغت في دفعكم. (1)

(1) ينظر تفسير الرازي (18/380)

وقد ورد في الحديث: (يرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم أتاني الداعي لأجبته) [1]

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار

1- بدأ نبي الله لوط -عليه السلام- الحوار معهم بالدعوة إلى تقوى الله- عز وجل- ليمهد لإنكاره عليهم ما يفعلون من منكرات.

2- جاء الحوار معهم باستعمال أسلوب الاستفهام في أكثر من موضع (ألا تتقون) و(أتأتون الفاحشة) و(أئنكم لتأتون الرجال) و(أليس منكم رجل) إنكارا لما يفعلون ومحاولة منه لإزاحة الغشاوة عن قلوبهم وتحفيزهم للتفكر والتأمل في سوء ما يفعلون.

3- لفت أنظارهم إلى أن عملهم هذا لم تعرفه البشرية من قبل فهو انتكاسة للفطرة التي جعلها الله في جميع عباده، وهذ إبطال لأي تعليل يبررون به فعلتهم، فهم نشاز بين العالمين جميعا.

4- التأكيد على صدقه بأنه لا منفعة دنيوية له ترجى من وراء نصحه، إنما ينصحهم لوجه الله، لا يريد على دعوته أجرا.

5- بين نبي الله لوط -عليه السلام- في حواره أنه لا يكره ذواتهم إنما يكره معصيتهم وأفعالهم القبيحة، لأنها انتكاس للفطرة.

6- كان موقف نبي الله لوط -عليه السلام- حرجا جدا؛ عندما جاءوا يراودونه عن أضيافه، فذكرهم بأن الزواج من بنات القرية أطهر وأطيب، وأن موافقته لهم على طلبهم هو خزي له في أضيافه الغرباء ماذا يقول لهم؟ ثم أراد منهم أن يفكروا ولو لمرة واحدة بعقل راشد لا تقوده شهوته (أليس منكم رجل رشيد؟)

7- كان حوار نبي الله لوط -عليه السلام- مع قومه عقلانيا إلى حد كبير محاولا أن يردهم إلى الفطرة، وكان حليما صبورا عليهم، لكن القوم قادتهم فطرتهم المنكوسة إلى الهلاك، واستحقوا غضب الله عليهم.

---

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين} [يوسف: 7] حديث رقم (3207)، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة حديث رقم (238)

الفصل الثالث

المنهج الحسي في رسالة لوط -عليه السلام-

وفيه مبحثان:

المبحث الأول / هل كان للوط – عليه السلام – معجزة؟

المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة لوط -عليه السلام-

وفيه مبحثان:

المبحث الأول / هل كان للوط – عليه السلام – معجزة؟

المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.

المبحث الأول / هل كان للوط – عليه السلام – معجزة؟

لم يبين لنا القرآن معجزة واضحة لنبي الله لوط- عليه السلام- فقد دعا قومه لتقوى الله بطاعته وطاعة رسوله وهجران الفواحش، ولكن لم يستجيبوا حتى نجاه الله منهم.

المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.

ولو تأملنا الآيات في سورة القمر والتي تبين كيف واجهت الملائكة صلف القوم وغرورهم وجرأتهم مع نبي الله لوط - عليه السلام - بطلبهم فعل الفاحشة مع ضيفه لرأينا أن الله أظهر لهم بقدرته آية حسية، وهي طمس أعينهم لكن القوم كما أعمى الله أبصارهم عميت بصائرهم فهم في غيهم يعمهون، فطمس الله أعينهم فعميت فلم يعودوا يرون شيئا، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾**﴾ **[القمر: 37-39]**

****

الباب الخامس

المناهج الدعوية في رسالة

شعيب -عليه السلام-

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني/ المنهج العقلي.

الفصل الثالث/ المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة شعيب -عليه السلام-

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم اللّه.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة شعيب عليه السلام

عند تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله شعيب – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في دعوته لقومه يتناولها الباحث من خلال أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة

وقد برز هذا الأسلوب في دعوة شعيب – عليه السلام- لقومه في عدة مواطن منها يتناولها الباحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85]، فكلمة (أخاهم) تعني أخوة النسب لا الدين، فنبي الله شعيب رجل من قومه معروف لديهم، واستشعار القوم صلته بهم أدعى لقبول دعوته والاستماع إليه.

هل أصحاب الأيكة هم أهل مدين؟

ورد ذكر نبي الله شعيب – عليه السلام- في عدة مواضع من القرآن في سور الأعراف وهود والعنكبوت بلفظة: (أخاهم) قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ **[الأعراف: 85، هود: 84، العنكبوت: 36]**

أما موضع الشعراء فنلاحظ فيه أمرين:

الأول: جاء بدون ذكر (أخاهم)

الثاني: المواضع الثلاثة جاء فيها أنه أرسل لمدين أما موضع الشعراء فقد ذكر أنه أرسل لأصحاب الأيكة.

فهل أصحاب الأيكة هم أهل مدين أم هم قوم آخرون أرسل إليهم شعيب أيضا؟

قولان للعلماء:

القول الأول: أن أصحاب الأيكة قوم آخرون ساكنون في جوار مدين، فمدين قوم شعيب وأصحاب الأيكة سكان البادية ، أرسل الله إليهما شعيبا ، وقالوا إن الذي يشهد لذلك ويرجحه أن القرآن لما ذكر هذه القصة لأهل مدين وصف شعيبا بأنه أخوهم، ولما ذكرها لأصحاب الأيكة لم يصف شعيبا بأنه أخوهم؛ إذ لم يكن شعيب نسيبا، ولا صهرا لأصحاب الأيكة، ومما يرجح ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ**﴾ [الحجر: 78-79] فجعل ضميرهم مثنى باعتبار أنهم مجموع قبيلتين: مدين وأصحاب الأيكة. (1)

القول الثاني: أهل مدين هم أصحاب الأيكة، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين، لم يقل: "إذ قال لهم أخوهم شعيب"، وإنما قال: ﴿إذ قال لهم شعيب﴾، فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبا. (2)

إذن فمدين اسم القبيلة، والأيكة اسم شجرة أو شجر كانوا يعبدونه.

المناقشة والترجيح:

يرى الباحث أن القول الثاني هو الأوجه، ويدل على صحته ما يلي:

---

(1) ينظر تفسير الزمخشري (3/332) وتفسير القرطبي (13/135)، وتفسير التحرير والتنوير (19/183)، وأغلب المفسرين على أن ضمير التثنية في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: 79] يعود على قوم لوط وأصحاب الأيكة.

(2) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (19/390) وتفسير ابن كثير (6/158)

1- ورد في القرآن أن أهلَ مدين كانوا يدينون بما يدين به أصحاب الأيكة أيضًا، ونبي الله شعيب – عليه السلام- قال لأهل مدين ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [الأعراف: 85] ، وقال لأصحاب الأيكة أيضًا ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝١٨١ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝١٨٢ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝١٨٣﴾ **[الشعراء: 181-183]**

2- القول بأن شعيب – عليه السلام بعث لأمتين وليس أمة واحدة يخالف ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل الأنبياء قبله كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة وخصه الله بأن أرسله للناس كافة، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة) (1)

فتبين من هذا أن أهل مدين وأصحاب الأيكة شيء واحد، وأنهم كانوا منغمسين في الشرك بالله، وكانوا يعيشون على التجارة التي كانوا يغشّون فيها بإنقاص المكيال والميزان.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

وقد تكرر نداء شعيب -عليه السلام – على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ

(1) رواه البخاري كتاب أبواب المساجد، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) حديث رقم: (427) وأخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة (حديث رقم 521)

﴿غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: 85]، وهذا النداء إظهار لشفقته عليهم وبيان حرصه على هدايتهم، وهذا أدعى لقبول قوله.

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه:

فقد بين نبي الله شعيب -عليه السلام – لقومه خوفه عليهم إن استمروا على شركهم وبخسهم الناس حقوقهم، فقال لهم: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ **[هود: 84]**، فلما نهاهم شعيب - عليه السلام – عن إنقاص المكيال والميزان قال معللا نهيه لهم: (إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ يريد: بثروة واسعة تغنيكم عن التطفيف، أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون، أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه.) (1)

فمعنى كلامه إنكم لستم مضطرين لهذا الغش، فقد آتاكم الله ثروة واسعة وحالة رخاء تغنيكم عن ذلك، ثم علل نهيه بسبب آخر وهو أن هذا الإفساد موجب لعذاب الله في الآخرة.

المبحث الثاني/ الترغيب

رغب نبي الله شعيب - عليه السلام –قومه في الإيمان بالله، ونبذ ما هم عليه من عبادة غيره وسلك معهم أسلوب الترغيب والذي سيتناوله الباحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة.

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله:

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: 36]، فهنا يخبر تعالى

(1) تفسير الزمخشري (2/417)

عن نبيه شعيب -عليه السلام-، أنه أنذر قومه، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن تكون عندهم رغبة في اليوم الآخر ولقاء الله فيخافوا عذابه ويرجون رحمته، ثم نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغي على أهلها. (1)

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة:

وترغيبا لقومه في طاعة الله والعودة إليه قال شعيب – عليه السلام- لقومه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90]

فقوله: {واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه} أي: (استغفروه من سالف الذنوب، وتوبوا فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة، {إن ربي رحيم ودود} أي: لمن تاب وأناب) (2)

والفرق بين الاستغفار والتوبة: أن الاستغفار طلب المغفرة من الله بالدعاء، ويتبعه التوبة بالندم على ما وقع من معاص، والإقلاع عنها، والعزيمة ألا يعود إليها، (3)

فطلب شعيب - عليه السلام – من قومه أن يسألوا الله المغفرة من الذنوب، ويتوبوا إلى الله بالندم على ما فعلوا، وترك الذنوب التي اقترفوها من الشرك بالله والغش بإنقاص المكيال والميزان، وبخس الناس حقهم، وبشرهم بأن الله رحيم ودود يرحم من تاب إليه وأناب.

(وجملة إن ربي رحيم ودود تعليل الأمر باستغفاره والتوبة إليه، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا) (4)

والسر في أن شعيب – عليه السلام- قرن بين اسمي الرحيم والودود في قوله {إن ربي رحيم ودود} هو أن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك

---

(1) ينظر تفسير ابن كثير (6/277)

(2) تفسير ابن كثير (4/346)

(3) ينظر "معجم الفروق اللغوية " اللغوية لأبي هلال الحسن العسكري، (ص 235) تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر

(4) تفسير التحرير والتنوير (12/147)

قد يرحم من لا يحبه، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه، ويرحمه ويحبه، مع ذلك فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه، ولو كان منه ما كان.[1]

المبحث الثالث / الترهيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط.

المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم.

المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط:

أراد نبي الله شعيب – عليه السلام – أن يذكر قومه بنعم الله عليهم ويخوفهم من عاقبة إنقاص المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم فقال لهم كما ذكر الله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ [هود: 84]

فقوله :(وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) ترهيب من وقوع عقاب الله بهم، إن هم استمروا على ما هم فيه من المعاصي والفساد، والعذاب هو عذاب الاستئصال في الدنيا كما في حق سائر الأنبياء، أو هو عذاب الآخرة، لأنه اليوم الذي نصب لإحاطة العذاب بالمعذبين، والأقرب دخول كل عذاب فيه، وهذا تحذير من عواقب كفران النعمة وعصيان واهبها، ووصف شعيب – عليه السلام – العذاب بأنه محيط القصد منه الترهيب من عذاب يحيط بهم بحيث لا يخرج منه أحد، فيحيط بهم العذاب كإحاطة الدائرة بما في داخلها، فينالهم من كل وجه، وذلك مبالغة في الوعيد.[2]

---

(1) ينظر «التبيان في أيمان القرآن» للإمام ابن القيم ص145، بتحقيق عبد الله بن سالم البطاطي، ط دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م

(2) ينظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي (18/384)

المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم:

بعد أن دعا شعيب – عليه السلام – قومه وبين ما هم عليه من ضلالة قال لهم مرهبا ومتوعدا: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ **[الأعراف: 87]**

أي: اصْبِرُوا فتربصوا وانتظروا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا، بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم، وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم، وهو أيضا عظة للمؤمنين وحثّ على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم، وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ لأنّ حكمه حق وعدل، لا يخاف فيه الحيف. (1)

وهذا صدر عن ثقة شعيب - عليه السلام - بأن الله سيحكم بينه وبين قومه استنادا لوعد الله إياه بالنصر على قومه، أو لعلمه بسنة الله في رسله ومن كذبهم بإخبار الله تعالى إياه بذلك، ولولا ذلك لجاز أن يتأخر الحكم بين الفريقين إلى يوم الحساب، وجملة: (وهو خير الحاكمين) تذييل بالثناء على الله بأن حكمه عدل محض لا يحتمل الظلم عمدا ولا خطأ، وغيره من الحاكمين يقع منه أحد الأمرين أو كلاهما. (2)

وفي سورة هود قال لهم شعيب: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93]، أي: (اعملوا كل ما في إمكانكم عمله معي، وابذلوا في تهديدي ووعيدي ما شئتم، فإن ذلك لن يضيرني، وكيف يضيرني وأنا المتوكل على الله المعتمد على عونه ورعايته ...؟ وإني سأقابل عملكم السيئ هذا بعمل آخر حسن من جانبي، وهو الدعوة إلى وحدانية الله- تعالى- وإلى مكارم الأخلاق.

وقوله: (سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ) استئناف مؤكد لتهديده لهم، أي: اعملوا ما شئتم وأنا سأعمل ما شئت فإنكم بعد ذلك سوف تعلمون من منا الذي ينزل به عذاب يخزيه ويفضحه ويهينه، ومن منا الذي هو

---

(1) ينظر تفسير الزمخشري (2/128)

(2) ينظر تفسير التحرير والتنوير (250/ 8 ب)

كاذب في قوله وعمله، وَارْتَقِبُوا عاقبة تكذيبكم للحق إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ أي: إني معكم منتظر ومراقب لما يفعله الله- تعالى- بكم.) [1]

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم.

المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم.

المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم.

المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم.

لما أمر شعيب - عليه السلام – قومه أن يوفوا الكيل والميزان بالقسط ونهاهم عن بخس الناس أشياءهم ذكرهم بنعمة الله عليهم فقال: ﴿**بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ**﴾ [هود: 86] رزق الله خير لكم من بخسكم الناس، وما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس. [2]

فأنتم لا تفعلون ذلك من فقر وعوز، إنما أنتم في خير ونعمة من الله تغنيكم عن التطفيف، فصونوا نعمة الله بشكرها وترك الغش في معاملتكم للناس، وما يبقى لكم من حلال فيه بركة أفضل من حرام ممحوق البركة.

إن الغش في المكيال والميزان نوع من أنواع الفساد في الأرض ويؤدي إلى خلل اقتصادي كبير، ويؤدي إلى انهيار الأسواق، وكساد التجارة، ويفقدُ الناسُ الثقة والأمان فيحجمون عن الشراء، فالتاجر الصادق ينال السعادة والراحة، برواج تجارته وأقبال الناس عليه، والغش قد يؤدي إلى الثراء السريع، ولكن يؤدي إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (7/264)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (4/343)

المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم:

ومما ذكرهم به شعيب – عليه السلام - ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 184]، والجبلة: (الجماعة الكثيرة من الناس الذين كانوا من قبل قوم شعيب. والمقصود بهم أولئك الذين كانوا ذوي قوة كأنها الجبال في صلابتها، كقوم هود وأمثالهم ممن اغتروا بقوتهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.) (1)

أي خافوا عقاب الله بأن تجعلوا بينكم وبينه وقاية بالعمل الصالح وترك المعاصي فهو سبحانه الذي خلقكم وخَلَقَ الأُمَمَ قَبْلَكم من العدم ـ وأنعم عليكم بنعمة الوجود، وفي الآية تذكير بنعمة الله وترهيب من إهلاك الله لهم كما أهلك من قبلهم من الأمم الظالمة.

المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم:

وذكرهم شعيب عليه السلام- أيضا بأنهم كانوا قلة مستضعفين فصاروا أمة قوية ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ **[الأعراف: 86]**

أي: (اذكروا ذلك الزمن الذي كنتم فيه قليلي العدد فكثركم الله بأن جعلكم موفوري العدد، وكنتم في قلة من الأموال فأفاضها الله بين أيديكم، فمن الواجب عليكم أن تشكروه على هذه النعم، وأن تفردوه بالعبادة والطاعة.) (2)

وفي هذا تعريض لقومه بأن عاقبة ما هم عليه نزع هذه النعم منهم، فقد تصيبهم آفة فتفني أكثرهم، أو تكسد تجارتهم ويذهب مالهم؛ إن هم أصروا على ما هم عليه من الكفر بالله، وإنقاص المكيال والميزان، ونصحهم أن يتأملوا كيف كان عاقبة المفسدين من قبل فقد أهلكهم الله.

****

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (10/275)

(2) المرجع السابق (5/322)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة شعيب -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة شعيب عليه السلام

وقد استخدم نبي الله شعيب-عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه بالعديد من فنون القول، يستعرضها الباحث من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث / الحوار.

المبحث الأول / الاستفهام

وقد استعمل نبي الله شعيب – عليه السلام أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته لقومه، يتعرض لها الباحث في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟

المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [الشعراء: 177]، فقوله: ﴿**أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ استفهام إنكاري، وكأنه يقول لهم: كيف بكم وقد تماديتم في الشرك بعبادة غير الله وغشكم في الكيل والميزان، أليس لهذه المعاصي من آخر فتنتهون وتتقون الله.

المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟

وقد ورد هذا الاستفهام في قوله تعالى: ﴿**قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ**﴾ [الأعراف: 88] واجه الملأ المستكبرون شعيبا والمؤمنين معه بتهديدهم

بالنفي من قريتهم أو العودة إلى ملتهم فقال لهم شعيب – عليه السلام- متعجبا مستنكرا: (أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ) أي: (أتجبروننا على العودة إلى ملتكم حتى ولو كنا كارهين لها، لاعتقادنا أنها باطلة وقبيحة ومنافية للعقول السليمة والأخلاق المستقيمة لا لن نعود إليها بأي حال من الأحوال، فالهمزة لإنكار الوقوع ونفيه، والتعجيب من أحوالهم الغريبة حيث جهلوا أن الدخول في العقائد اختياري محض ولا ينفع فيه الإجبار أو الإكراه.) [1]

المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟

قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيّٗاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ**﴾ [هود: 92] لما دعا شعيب – عليه السلام- قومه، وأقام عليهم الحجة ورد شبهاتهم قالوا له: ﴿**قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ**﴾ **[هود: 91]**، فالقوم يسمعون كلامه، ولكنهم لم يقبلوا قوله، بل وألمحوا إلى إيذائه وقتله بقولهم: **(وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ)**، وما يمنعهم من ذلك إلا رهطه، وكلامهم هذا يبين ما غلب على القوم من عناد ومكابرة وعدم قبول للحق بعد أن أقام عليهم نبيهم شعيب – عليه السلام- الحجة فقال لهم مستنكرا: **(قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيّٗاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ**﴾ **[هود: 92]**

فقوله: **(يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم)** استفهام إنكاري، أي: (أتتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاما لجناب الله أن تنالوا نبيه بمساءة، وقد اتخذتم جانب الله ﴿وراءكم ظهريا﴾ أي: نبذتموه خلفكم، لا تطيعونه ولا تعظمونه، ﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾ أي: هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم بها.) [2]

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (5/326)

(2) تفسير ابن كثير (4/347)

المبحث الثاني/ الجدال

وقد استعمل نبي الله شعيب -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي لإثبات صحة الحق الذي جاء به، ورد الشبهات التي قالها الملأ من قومه وبين القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع يتعرض لها الباحث في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد، والأمانة وعدم الغش والتطفيف.

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين وأنه بشر مثلهم.

المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر والتهديد بالنفي.

المطلب الرابع: ادعاؤهم عدم فهم كلامه وأنه فيهم ضعيف.

المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد، والأمانة وعدم الغش والتطفيف:

لما دعا شعيب -عليه السلام- قومه إلى عبادة الله وحده وترك ما هم عليه من فساد ببخس الناس أشياءهم وإنقاص المكيال والميزان؛ ما كان من القوم إلا أن قالوا متهكمين على نبيهم: ﴿**قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ**﴾ **[هود: 87]**

أمرهم شعيب - عليه السلام – بشيئين:

(بالتوحيد وترك البخس، فالقوم أنكروا عليه أمره بهذين النوعين من الطاعة، فقوله: ﴿أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ إشارة إلى أنه أمرهم بالتوحيد وقوله: ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ إشارة إلى أنه أمرهم بترك البخس.

أما الأول: فقد أشاروا فيه إلى التمسك بطريقة التقليد؛ لأنهم استبعدوا منه أن يأمرهم بترك عبادة ما كان يعبد آباؤهم، يعني الطريقة التي أخذناها من آبائنا وأسلافنا كيف نتركها، وذلك تمسك بمحض التقليد.

ولفظ الصلاة المراد منه الدين والإيمان؛ لأن الصلاة أظهر شعار الدين، فجعلوا ذكر الصلاة كناية عن الدين، فقصدوا بقولهم: (أصلاتك تأمرك) السخرية.) [1]

(وجملة «إنك لأنت الحليم الرشيد» زيادة منهم في السخرية منه- عليه السلام- وفي التهكم عليه، فكأنهم- قبحهم الله- يقولون له: كيف تأمرنا بترك عبادة الأصنام، وبترك النقص في الكيل والميزان، مع علمك اليقيني بأن هذين الأمرين قد بنينا عليهما حياتنا، ومع زعمك لنا بأنك أنت الحليم الذي يتأنى ويتروى في أحكامه، الرشيد الذي يرشد غيره إلى ما ينفعه؟ إن هذين الوصفين لا يليقان بك، ما دمت تأمرنا بذلك، وإنما اللائق بك أضدادهما، أي الجهالة والسفه والعجلة في الأحكام.) [2]

رد شعيب ـ عليه السلام – على هذه الشبهة:

وقد رد شعيب ـ عليه السلام –على قومه بقوله: ﴿**قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: 88]، يقول شعيب ـ عليه السلام –يا قوم أخبروني إن كنت على بينة من ربي ماذا ينجيكم من عاقبة تكذيبي، وهو تحذير لهم على فرض احتمال أن يكون صادقا، أي فالحزم أن تأخذوا بهذا الاحتمال، أو فالحزم أن تنظروا في كنه ما نهيتكم عنه لتعلموا أنه لصلاحكم، وما أريد مما نهيتكم عنه أن أمنعكم أفعالا وأنا أفعلها، أي لم أكن لأنهاكم عن شيء وأنا أفعله، ففي هذا إظهار أن ما نهاهم عنه ينهى أيضا نفسه عنه، وفي هذا تنبيه لهم على ما في النهي من المصلحة، وعلى أن شأنه ليس شأن الجبابرة الذين ينهون عن أعمال وهم يأتونها؛ لأن مثل ذلك ينبئ بعدم النصح فيما يأمرون وينهون، إذ لو كانوا يريدون النصح والخير في ذلك لاختاروه لأنفسهم.

وجملة ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾ المراد إثباته هو الإصلاح في جميع أوقات استطاعته بتحصيل الإصلاح، فالقصر قصر قلب.

---

(1) ينظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي (18/386 وما بعدها)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (7/260)

ولما بين لهم حقيقة عمله وكان في بيانه ما يجر الثناء على نفسه أعقبه بإرجاع الفضل في ذلك إلى الله فقال ﴿**وما توفيقي إلا بالله**﴾ فسمى إرادته الإصلاح توفيقا وجعله من الله لا يحصل في وقت إلا بالله، أي بإرادته وهديه.[1]

المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين وأنه بشر مثلهم.

لما دعاهم شعيب إلى توحيد الله ونهاهم عن الإفساد في الأرض ببخس الناس أشياءهم قالوا: ﴿**قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾ [الشعراء: 185-187]، فلم يتأثروا بأي كلام وجهه لهم نبيهم، بل اتهموه في عقله وفي صدقه، فقالوا له بسفاهة وغرور: إنما أنت يا شعيب من الذين أصيبوا بسحر عظيم فجعلهم لا يعقلون ما يقولون، وما أنت إلا بشرمثلنا، ولا مزية لك برسالة أو بنبوة علينا، وما نظنك إلا من الكاذبين فيما تدعيه، فإن كنت صادقا في دعوى الرسالة فأسقط علينا قطعا من العذاب الكائن من جهة السماء.[2]

وكون الرسول بشرا ليس عيبا فيه ولا شبهة، فقد أرسل الله رسوله بشرا ليكون قدوة يقتدون به في كل أحواله، ويطبق المنهج الذي جاءهم به، وهي نفس شبهة قوم نوح وعاد وثمود من قبل.[3]

فبماذا أجابهم شعيب- عليه السلام-؟ ﴿**قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ**﴾ [الشعراء: 188]، أي: (أنّ الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل، وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشيئة)[4]

---

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (12/143 وما بعدها)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (10/276)

(3) مر بنا تفنيد هذه الشبهة بما يغني عن الإعادة.

(4) تفسير الزمخشري (3/333)

المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر والتهديد بالنفي:

وقد وردت هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88]

لقد يئس القوم من شعيب بعد تهديده؛ ولذلك لجئوا إلى التهديد بالنفي والاستبعاد، فقالوا بكل وقاحة وكبر لنبيهم، اختر لنفسك يا شعيب إما النفي أنت والذين آمنوا معك، أو العودة إلى ديننا.

هل كان شعيب على ملة قومه؟

التعبير بقولهم: (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا) يفهم منه أن شعيبا والذين آمنوا معه كانوا على ملة قومهم ثم خرجوا منها، وهذا مقبول في أتباع شعيب أما في حقه - عليه السلام- فهو محال، فإن الأنبياء معصومون- حتى قبل النبوة- عن ارتكاب الكبائر فضلا عن الشرك.

وقد أجيب عن ذلك (بأن المستكبرين قد قالوا ما قالوا من باب التغليب، فقالوا: (لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا) فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا: لتعودن فغلب الجماعة على الواحد، فجعلوهم عائدين جميعا، إجراء للكلام على حكم التغليب، وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال: (إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها)، وهو يريد عود قومه، إلا أنه نظم نفسه في جملتهم) [1]

فرد شعيب عليهم قائلا: ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: 88-89] ، وقوله - عليه السلام-: (أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ) أي: أتجبروننا على العودة إلى ملتكم حتى ولو كنا كارهين لها، لاعتقادنا أنها باطلة وقبيحة ومنافية للعقول السليمة والأخلاق المستقيمة لا. لن نعود إليها بأي حال من الأحوال.

---

(1) تفسير الزمخشري (2/129)

ثم صارحهم برفضه التام لما يتوهمون من العودة إلى ملتهم فقال: (قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها) أي: قد اختلقنا على الله- تعالى- أشنع أنواع الكذب إن عدنا في ملتكم الباطلة بعد إذ نجانا الله بهدايتنا إلى الدين الحق وتنزيهنا عن الإشراك به- سبحانه- ، ولا يتأتى منا أن نعود في ملتكم الباطلة في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا في حال أو في وقت مشيئة الله- المتصرف في جميع الشئون- عودتنا إليها، فهو وحده القادر على ذلك ولا يقدر عليه غيره لا أنتم ولا نحن، لأننا موقنون بأن ملتكم باطلة وملتنا هي الحق والموقن لا يستطيع إزالة يقينه ولا تغييره وإنما ذلك بيد مقلب القلوب، الذي وسع علمه كل شيء.

وهذا اللون من الأدب العالي، حكاه القرآن عن الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- في مخاطبتهم، فأنت ترى أن شعيبا- عليه السلام- مع ثقته المطلقة في أنه لن يعود هو وأتباعه إلى ملة الكفر أبدا، مع ذلك هو يفوض الأمر إلى الله تأدبا معه، فلا يجزم بمشيئته هو، بل يترك الأمر لله، فقد يكون في علمه سبحانه ما يخفى على البشر، مما تقتضيه حكمته وإرادته.

ثم يترك شعيب- عليه السلام- قومه وتهديدهم ووعيدهم، ويتوجه إلى الله بالاعتماد والدعاء فيقول: (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ) أي: على الله وحده وكلنا أمرنا، فهو الذي يكفينا أمر تهديدكم ووعيدكم، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ربنا احكم بيننا وبين قومنا الذين ظلمونا بالحق وأنت خير الحاكمين، لخلو حكمك عن الجور والحيف، فقوله: (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا) إظهار للعجز من جانب شعيب، وأنه في مواجهته لأولئك المستكبرين لا يعتمد إلا على الله وحده، ولا يأوي إلا إلى ركنه المكين، وحصنه الحصين.

وقوله: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا) إعراض عن مجادلتهم ومفاوضتهم بعد أن تبين له عنادهم وسفههم، وإقبال على الله- تعالى- بالتضرع والدعاء.

والفتح: أصله إزالة الأغلاق عن الشيء، واستعمل في الحكم، لما فيه من إزالة الأشكال في الأمر.

والخلاصة: أنك إذا تأملت في رد شعيب- عليه السلام- على ما قاله المستكبرون من قومه، تراه يمثل أسمى ألوان الحكمة وحسن البيان، فهو يرد على وعيدهم وتهديدهم بالرفض التام لما يبغون، والبغض السافر لما يريدونه منه، ثم يكل الأمور كلها إلى الله، مظهرا الاعتماد عليه وحده، ثم يتجه إليه- سبحانه-

بالدعاء متلمسا منه أن يفصل بينه وبين قومه بالحق الذي مضت به سنته في التنازع بين المرسلين والكافرين، وبين سائر المحقين والمبطلين.[1]

المطلب الرابع: ادعاؤهم عدم فهم كلامه وأنه فيهم ضعيف.

بعد أن دعاهم نبيهم شعيب - عليه السلام – وأقام عليهم الحجة وبان للقوم وضوح الحق انتقلوا إلى التهديد، فقالوا: -كما حكى الله عنهم- ﴿**قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ**﴾ **[هود: 91]** ، وليس المراد عدم فهم كلامه لأن شعيبا- عليه السلام- كان مقوالا فصيحا؛ فالمعنى: إنك تقول ما لا نصدق به، وهذا مقدمة لإدانته واستحقاقه الذم والعقاب عندهم في قولهم: (ولولا رهطك لرجمناك)، ولذلك عطفوا عليه (وإنا لنراك فينا ضعيفا) أي وإنك فينا لضعيف، أي غير ذي قوة ولا منعة، فالمراد الضعف عن المدافعة إذا راموا أذاه، وذلك مما يرى لأنه ترى دلائله وسماته، وعطفوا على هذا قولهم: (ولولا رهطك لرجمناك) وهو المقصود مما مهد إليه من المقدمات، أي لا يصدنا عن رجمك شيء إلا مكان رهطك فينا، لأنك أوجبت رجمك بطعنك في ديننا، والرجم: القتل بالحجارة رميا، وهو قتلة حقارة وخزي. وفيه دلالة على أن حكم من يخلع دينه الرجم في عوائدهم.

وجملة: (وما أنت علينا بعزيز) مؤكدة لمضمون (ولولا رهطك لرجمناك) لأنه إذا انتفى كونه قويا في نفوسهم تعين أن كفهم عن رجمه مع استحقاقه إياه في اعتقادهم ما كان إلا لأجل إكرامهم رهطه لا للخوف منهم.

(وما أنت علينا بعزيز) أي أنك لا يعجزنا قتلك ولا يشتد على نفوسنا، أي لأنك هين علينا ومحقر عندنا وليس لك من ينصرك منا. [2]

وقد رد عليهم بقوله: ﴿**قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِۖ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ**﴾ [هود: 92]، والاستفهام إنكاري أي: الله أعز من رهطي، وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه فلا يريبه عدم عزة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأن الله ناصره لأنه أرسله فعزته بعزة مرسله.

---

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (5/326 وما بعدها)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (12/148 وما بعدها)

والظهري- بكسر الظاء- نسبة إلى الظهر على غير قياس، والمراد بالظهري الكناية عن النسيان، أو الاستعارة لأن الشيء الموضوع بالوراء ينسى لقلة مشاهدته، فهو يشبه الشيء المجعول خلف الظهر في ذلك، فوقع ظهريا حالا مؤكدة للظرف في قوله: وراءكم إغراقا في معنى النسيان لأنهم اشتغلوا بالأصنام عن معرفة الله أو عن ملاحظة صفاته.

وقوله: (إن ربي بما تعملون محيط) تعريض بالتهديد، وأن الله يوشك أن يعاقبهم على ما علمه من أعمالهم.[1]

ثم قال لهم مهددا ومرهبا إياهم من عذاب الله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [هود: 93]، أي: (اعملوا ما شئتم وأنا سأعمل ما شئت فإنكم بعد ذلك سوف تعلمون من منا الذي ينزل به عذاب يخزيه ويفضحه ويهينه، ومن منا الذي هو كاذب في قوله وعمله، وَارْتَقِبُوا عاقبة تكذيبكم للحق إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ أي: إني معكم منتظر ومراقب لما يفعله الله- تعالى- بكم.

وبذلك نرى شعيبا- عليه السلام- في هاتين الآيتين، قد استعمل مع قومه أسلوبا آخر في المخاطبة، يمتاز بالشدة عليهم والتهديد لهم، لا غضبا لنفسه، وإنما لأجل حرمات الله- تعالى-، والدفاع عن دينه.

ولم يطل انتظار شعيب- عليه السلام- ومراقبته لما يحدث لقومه، بل جاء عقاب الله- تعالى- لهم بسرعة وحسم، بعد أن لجوا في طغيانهم، وقد ذكر- سبحانه- ذلك فقال: **﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ﴾** [هود: 94-95] [2]

---

(1) ينظر المرجع السابق (12/152 وما بعدها)

(2) ينظر المرجع السابق (7/264)

المبحث الثالث / الحوار

استعمل نبي الله شعيب- عليه السلام – أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم مراد الله تعالى منهم، بعبادته وحده لا شريك له وترك ما هم عليه من غش وإفساد في الأرض، محذرا إياهم من غضب الله وعقابه.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب – عليه السلام-

المطلب الثاني: التعقيب على الحوار.

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب – عليه السلام-

1-ابتدأ نبي الله شعيب – عليه السلام – حواره مع قومه بأن دعاهم إلى توحيد الله شأن جميع الرسل قبله، وقد عرف قومه بأصحاب الأيكة إشارة إلى معبودهم من دون الله عزوجل، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: 85] وهذا ما يعرف في الحوار بالبدء بالقضايا الكبرى قبل الصغرى- كما سبق بيانه-.

2- وبعد أن أمرهم بالتوحيد نهاهم عن الإفساد في المعاملات التجارية، فنهاهم عن التطفيف في الكيل والميزان الذي كان متفشيا فيهم فقال- كما حكى القرآن عنه: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ **[هود: 84-85]**

3- ثم أراد شعيب – عليه السلام – تحريك مشاعر الإيمان في قلوبهم فقال: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85] فهو يشير إلى أن الإيمان بالله والإصلاح في الأرض يجلب لأهله خيري الدنيا والآخرة، وهذا ترقيق لقلوبهم وترغيب لهم في الاستجابة لأمر الله وطاعة رسولهم.

4-ثم بين لهم أن الذي دعاه إلى أمرهم ونهيهم حرصه على هدايتهم ونجاتهم من عذاب الله، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ [هود: 84]

5- فماذا كان رد قومه عليه؟ قالوا له متعجبين متهكمين: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]، وقولهم: «إنك لأنت الحليم الرشيد» زيادة منهم في السخرية منه- عليه السلام- وكأنهم يعرضون في الكلام بأن الوصف اللائق بك أضدادهما، أي السفه والعجلة في الأمور، وهذا من سوء أدبهم مع نبيهم.

6- فرد عليهم شعيب بأدب الأنبياء قائلا: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] فأنا رسول من الله أنعم الله علي بنعمة النبوة وكلفني بمهمة البلاغ ، ثم قال لهم بنبرة الصادق الأمين: أنا رسول الله إليكم يطابق قولي فعلى، وما أريد بما أنصحكم به إلا إصلاح ما أفسدتموه قبل البوار والخسران ، ثم يفوض الأمور إلى الله- تعالى- فيقول: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، فرد شبهتهم وتهكمهم عليه ببيان الحق الذي جاءهم به ، وتطمينهم أنه قدوة لهم لن يأمرهم بشيء ويفعله ، وأنه معتمد على الله في كل أموره فهو خير معين.

7- ثم انتقل شعيب – عليه السلام – إلى نهيهم عن الصد عن سبيل الله، وإرهاب من آمن به وتخويفه، فقال: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: 86] ، أي: ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من آمن بالله ورسوله بتخويفه بالأذى والخسران، وتلقون عليهم الشبه والتهم بادعائكم أني كذاب، أو أن اتباعكم لي سيكون طريقا للبوار والكساد في أموالكم، أي: إذا منعتم الخير عن أنفسكم فلا

تمنعوه عن غيركم بصدكم عن سبيل الله، وذكرهم بنعمة الله عليهم بأن يتذكروا عندما كانوا قليلي العدد فكثرهم الله وكانوا في قلة من الأموال فرزقهم ووسع عليهم، فمن الواجب عليكم أن تشكروه على هذه النعم، وأن تفردوه بالعبادة والطاعة.

8- ثم اتبع هذا التذكير بالنعم بالترهيب من عواقب الإفساد فقال: وانظروا نظر تأمل واعتبار كيف كانت عاقبة المفسدين من الأمم الخالية، فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 89]

9- وبعد الترهيب يأتي الترغيب فذكرهم برحمة الله الذي يتوب على من تاب فدعاهم إلى الاستغفار والتوبة قائلا: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90]

10- وهكذا نجد شعيبا- عليه السلام- وهو خطيب الأنبياء- ينوع لقومه في أساليب النصح والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ولكن القوم كانوا مستعلين معاندين، فقد ردوا على هذه النصائح بقولهم: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 91]، والمقصد من كلامهم الاستهانة به وبدعوته -عليه السلام-، والصدود عنه، وتلويحهم بإيذائه بقولهم: (وَإِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً) ، ولولا عشيرتك التي هي على ملتنا وشريعتنا لرجمناك بالحجارة حتى الموت، وَما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ بل أنت فينا مكروه ضعيف!!

لقد سيطر الكبر والعناد على عقلية هؤلاء القوم، وغلظة طباعهم دفعتهم لسوء الأدب مع نبيهم الكريم.

11- ولما رأى شعيب- عليه السلام- أن اللين لا يجدي مع هذه الغطرسة انتقل إلى الشدة، والإنكار عليهم بسبب مقاييسهم الزائفة وأوضاعهم المقلوبة فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا

﴿تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [هود: 92]، يا قوم أتقيمون لعشيرتي وزنا وتعملون لهم حسابا فلا تؤذوني ولا تخافون الله، الذي جعلتم أوامره ونواهيه وراء ظهوركم بسبب كفركم وطغيانكم؟ إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ، وسيجازيكم عليها بما تستحقون من عذاب مهين.

12- وفي سورة الأعراف هددوا نبيه وأتباعه بالنفي أو العودة إلى ملة الكفر التي كانوا عليها فقالوا: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ [الأعراف: 88] ، ووعيدهم هذا بدلا من مقابلة الكلمة بالكلمة والحجة بالحجة قابلوا قوة البيان من شعيب بالتهديد والوعيد فقالوا بغلظة واستعلاء: إما النفي لك ولاتباعك، وإما العودة إلى ملتنا!!! فقال لهم شعيب بعزة المؤمن الواثق بربه مستنكرا وعيدهم: ﴿قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: 88] أتجبروننا على العودة إلى ملتكم حتى ولو كنا كارهين لها، لاعتقادنا ببطلانها، ثم قالها لهم بكل قوة وصراحة رافضا وعيدهم: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89]، فنحن موقنون بأن ملتكم باطلة وملتنا هي الحق والموقن بالحق لا يتزحزح عنه ولا يتغير موقفه، وأما وعيدكم فلن يرهبنا لأننا على الله وحده متوكلون، فهو الذي يكفينا شركم ووعيدكم، ربنا افتح بحكمك بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين.

وفي هذا بيان للمغرورين المستكبرين من قومه أن المعركة بينهم وبين الله، وإنما هو عبد لله يتوكل على مولاه وهو كافيه شرهم وكيدهم، وقوله هذا – عليه السلام- إعراض عن الحوار معهم ومجادلتهم بعد أن تبين له عنادهم وأن الحوار معهم صار عقيما لا يجدي نفعا، وهذا من حكمته – عليه السلام- في مواجهته للملأ المستكبرين من قومه.

13- ثم زاد في توبيخهم وتهديدهم فقال ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [هود: 93] اعملوا كل ما في وسعكم وقدرتكم أن تعملوه معي عمله

معي، فإن ذلك لن يخيفني أو يرهبني، وسوف تعلمون من منا الذي ينزل به عذاب يخزيه ويهينه، ومن منا كاذب في قوله وعمله، وَارْتَقِبُوا عاقبتكم إِنِّي مَعَكُمْ مراقب لما يفعله الله- تعالى- بكم.

وبذلك نرى شعيبا- عليه السلام- قد استعمل مع قومه أسلوبا آخر في الحوار، وهو أسلوب الشدة عليهم والتهديد لهم، حيث لا يجدي اللين ولا الموعظة الهادئة شيئا.

14- وبعد هذه المحاورات والمجادلات التي دارت بين شعيب وقومه، جاءت الخاتمة التي حكاها القرآن في قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ**﴾ [الأعراف: 91]

المطلب الثاني: التعقيب على الحوار:

نلاحظ في حوار نبي الله شعيب مع قومه عدة أمور:

1-موضوع الحوار: القضية الكبرى والأساسية التي أرسل بها جميع الأنبياء قبله: الدعوة إلى التوحيد، وترك الشرك.

2-كان قوم شعيب مفسدون في المعاملات التجارية بالغش والتطفيف في المكاييل والموازين فنبههم شعيب عليه السلام على خطورة ما يفعلون وأن مآله خراب وكساد للاقتصاد والتجارة.

3-تميز حوار شعيب -عليه السلام- بالموضوعية وقوة الحجة والبيان.

4-تكرار شعيب -عليه السلام- النداء على قومه (يا قوم) رغبة في تهيئة قلوبهم لقبول ما يدعوهم إليه.

5-صبر شعيب -عليه السلام- وسعة صدره وحلمه في الرد على سفاهات قومه وتهكمهم عليه وانشغاله ببيان مهمته التي أرسل من أجلها وهذا درس مهم للدعاة في كل زمان ومكان.

6-دعاهم إلى الاعتبار بالأمم قبلهم، وهذا شيء حسي يعلمونه غير خاف عنهم.

7-رغبهم في الاستغفار والتوبة إلى الرب الرحيم الودود الذي يتوب على من تاب من عباده.

8-تميز الحوار أيضا بإبراز شعيب لقوة إيمان الداعية بربه وتوكله عليه وإبراز الحق وقوته بإظهار التحدي لهم ولقوتهم الموهومة بجانب قوة الله الذي لا يعجزه شيء.

9-التوقف عن المجادلة عندما يتحول الحوار إلى حوار عقيم، وفيه ما فيه من التهكم والازدراء.

10-عزة الداعية وثقته بربه حينما رد عليهم متوعدا إياهم بوقوع العذاب في مقابل تهديدهم إياه بالنفي تارة وبرجمه حتى الموت تارة.

****

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة شعيب -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه.

المبحث الثاني/ القدوة العملية.

المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة شعيب -عليه السلام-

وقد استخدم نبي الله شعيب - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة إلى الله مع قومه في عدة صور، يستعرضها الباحث من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه.

المبحث الثاني/ القدوة العملية.

المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه

قال نبي الله شعيب -عليه السلام – لقومه: ﴿**قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ **[الأعراف: 85]**

فما هي هذه البينة؟

لعلماء التفسير قولان:

الأول: أنها معجزة قامت بها الحجة عليهم لم يذكرها القرآن الكريم، كما أنه لم يذكر معجزة هود ونوح عليهما السلام، ولأنه لا بدّ لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه، وإلا لم تصح دعواه.[1]

الثاني: أن المراد بالبينة حجة أقامها على بطلان ما هم عليه من الشرك وسوء الفعل، وعجزوا عن مجادلته فيها، فقامت عليهم الحجة مثل المجادلة التي حكيت في سورة هود فتكون البينة أطلقت على ما يبين صدق الدعوى، لا على خصوص خارق العادة، أو أن يكون أراد بالبينة ما أشار إليه بقوله: ﴿**فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا**﴾ [الأعراف: 87] أي يكون أنذرهم بعذاب يحل بهم إن لم يؤمنوا، كما قال في

---

(1) يراجع في هذا تفسير الزمخشري (2/127)، وتفسير الرازي مفاتيح الغيب (14/313)، وتفسير الألوسي روح المعاني (4/413) بتحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

الآية الأخرى ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ﴾ [الشعراء: 187] [1]

الترجيح:

يرى الباحث أن الراجح هو القول الأول، وهو أن لنبي الله شعيب -عليه السلام- معجزة لم يذكرها القرآن وإنما جاءت الإشارة إليها فقط، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) [2]

وهذه صيغة عموم مقتضاها وجود معجزة لكل رسول وإن لم يذكرها القرآن الكريم، كما مر بنا في قصة هود-عليه السلام-

المبحث الثاني/ القدوة العملية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى القدوة.

المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.

المطلب الأول: تعريف معنى القدوة:

القدوة لغة: من القدو وهو: أصل البناء الذي ينشعب منه تصريف الاقتداء، والقدوة أيضا: التقدم، ويقال فلان قدوة إذا كان يقتدى به، ويقال: فلان لا يقاديه أحد ولا يماديه ولا يباريه ولا يجاريه، وذلك إذا برز في الخلال كلها، وتقدت به دابته: لزمت سنن الطريق، وتقدى هو عليها. [3]

ومن هنا نخلص إلى أن القدوة تطلق ويراد بها الاقتداء، ويعبر عنه بالأصل، فهو أصل يُهتدى به، والشخص القدوة إمام يتقدم غيره ليقتدي به .

---

(1) يراجع في هذا القول تفسير التحرير والتنوير (8/241ب)

(2) سبق تخريجه ص (200)

(3) ينظر لسان العرب مادة قدا (5/3556) والمعجم الوسيط (720)

واصطلاحا: القدوة هي: " الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا وإن قبيحا، وإن سارّا وإن ضارّا" [1]

المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.

لما دعا شعيب -عليه السلام – قومه تهكموا عليه وأنكروا ما جاءهم به فرد عليهم قائلا: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، فقوله (**وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عنه**) معناه أنه سيكون إمامهم وقدوتهم في كل ما جاءهم به، فيكون أول من ينتهي عما نهاهم عنه، ولا يليق به وهو نبي مرسل أن يأمرهم بشيء ثم يتركه أو ينهاهم عن شيء ثم يفعله، وهذا أمر حسي يشاهدون ويعاينونه بأبصارهم من نبيهم شعيب ومعرفتهم بأحواله ومخالطتهم له، ولأنه بشر قد يعتريه ما يعتري البشر ربط الأمر بالاستطاعة وتوفيق الله له، فهو متوكل عليه منيب إليه -سبحانه وتعالى-

أهمية القدوة الحسنة للداعية:

إن نبي الله شعيب هنا يضرب المثل للدعاة جميعا بأن الداعية يجب أن يكون قدوة للناس جميعا فهو محل أنظار الناس، فالقدوة (من الوسائل المهمة جدًا في تبليغ الدعوة إلى الله، وجذب الناس إلى الإسلام، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، القدوة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله أسوة حسنة لغيره، يكون بها أنموذجًا يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها، لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده.

إن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين؛ التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين، وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله.) [2]

---

(1) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص (76)

(2) القدوة مبادئ ونماذج للدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، ص (7) الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين

أراد نبي الله شعيب – عليه السلام- أن يذكر قومه بالأمم السابقة قبلهم قوم نوح، وعاد وثمود وقوم لوط، وأن يتبصروا بعاقبة من هلكوا وهذا أمر حسي يعرفونه جميعا وكانوا قريبي العهد والمكان بقوم لوط، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هود: 89]

والمعنى: لا تجر إليكم عداوتكم إياي إصابتكم بمثل ما أصاب قوم نوح إلى آخره، والمقصود نهيهم عن أن يجعلوا الشقاق سببا للإعراض عن النظر في دعوته، فيوقعوا أنفسهم في أن يصيبهم عذاب مثل ما أصاب الأمم قبلهم فيحسبوا أنهم يمكرون به بإعراضهم وما يمكرون إلا بأنفسهم.[1]

فدعا قومه أن يفكروا تفكيرا عاقلا واعيا، ليدركوا سوء عاقبة إصرارهم على الكفر واستمرارهم في العناد مخالفة له وكراهية لما جاء به، وأن مآل هذا كله أن يكونوا كالأمم السابقة الذين أهلكهم الله وصاروا أثرا بعد عين.

****

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (12/146 وما بعدها)

الباب السادس

المناهج الدعوية في رسالة موسى -عليه السلام-

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني/ المنهج العقلي.

الفصل الثالث/ المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة موسى -عليه السلام-

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني: الترغيب.

المبحث الثالث: الترهيب.

المبحث الرابع: التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة موسى -عليه السلام-

ذكر القرآن الكريم الكثير من المواقف الدعوية والتربوية في حياة نبي الله موسى -عليه السلام- سواء مع فرعون، أو مع بني إسرائيل، وسنركز في هذا المبحث على المنهج العاطفي الذي استخدمه موسى -عليه السلام- في عدة مواقف من دعوته من خلال أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني: الترغيب.

المبحث الثالث: الترهيب.

المبحث الرابع: التذكير بنعم الله.

المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية:

خاطب الله نبييه الكريمين موسى -عليه السلام- وهارون – عليهما السلام- حينما كلفهما بالذهاب إلى فرعون ليردّاه عن طغيانه فقال: ﴿**ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ**﴾ [طه: 43-44]، والقول اللين: الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله.

ومن اللين في دعوة موسى -عليه السلام- لفرعون قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: 18-19]، وقوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: 47] إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى. (1)

وهذا التوجيه الرباني لنبييه الكريمين موسى وهارون – عليهما السلام- هو توجيه للدعاة بعدهما في كل زمان ومكان وخاصة مع الطغاة والمتكبرين (فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان، اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى، فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار.) (2)

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

وقد تكرر نداء موسى -عليه السلام- على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 20] ، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: 5]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: 54]

"وفي نداء موسى -عليه السلام- لهم بقوله: «يا قوم» تلطف في الخطاب ليجذب قلوبهم إلى سماعه، وليحملهم على تلقى أوامره بحسن الطاعة، وليشعرهم بأنهم قومه فهو منهم وهم منه، والشأن فيمن كان كذلك ألا يكذب عليهم أو يخدعهم، وإنما يريد لهم الخير"(3)

---

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (16/225)

(2) تفسير الظلال لسيد قطب (4/2336)

(3) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/131)

وفي هذا النداء أيضا إظهار للرابطة القوية التي تصله بهم فهو ينصحهم نصيحة المحب الشفيق، الحريص على هداية قومه والأخذ بأيديهم إلى طريق الله الصحيح، وقد مر بنا مثل هذا في جميع إخوانه من الأنبياء الذين سبق ذكرهم.

المبحث الثاني/ الترغيب

كان لنبي الله موسى -عليه السلام- مواقف عدة مع فرعون ثم سحرته ومواقف مع قومه بني إسرائيل، سلك فيها أسلوب الترغيب.

وللوقوف على هذه المعنى يستعرض الباحث هذا الأسلوب من خلال أربعة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد.

المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ.

المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء.

المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل.

المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم: 7]، والشكر هو: (ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة، والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره؛ فهذه الخمسة هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة.) [1]

(1) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وآخرون. الناشر: دار عطاءات العلم بالرياض، ودار ابن حزم بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

فرغب نبي الله موسى – عليه السلام- قومه بني إسرائيل في شكر الله على نعمه وأن ذلك سبب المزيد، والمعنى: (لئن شكرتم ربَّكم، بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، (لأزيدنكم) في أياديه عندكم ونعمهِ عليكم، على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلاص مِنْ عذابهم) (1)

فالشكر لله على نعمه هو إقرار له تبارك وتعالى بالخضوع والإجلال، ونسبة الفضل إليه وحده فهو المنعم على عباده تفضلا، وتعظيم الله في قلوب الخلق بنسبة الفضل إليه وحده لا لغيره، واستعمال النعمة فيما لا معصية فيه هذا كله مؤذن بالمزيد من الله الكريم الوهاب.

المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ:

في يوم من الأيام، دخل موسى -عليه السلام- المدينة التي يسكنها فرعون وقومه فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يتنازعان في أمر هذا من بنى إسرائيل، وَهذا مِنْ عَدُوِّهِ أي: من القبط، فَاسْتَغاثَهُ الإسرائيلي لينصره على الرجل القبطي، فَوَكَزَهُ موسى فقتله، وهو لا يريد قتله، وإنما كان يريد دفعه ومنعه من ظلم الرجل الإسرائيلي، ولكن موسى -عليه السلام- بعد أن رأي القبطي جثة هامدة، استرجع وندم، وقال: ﴿**هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ**﴾ **[القصص: 15-17]**، أي: قال موسى -عليه السلام-: "هذا الذي فعلته وهو قتل القبطي، من عمل الشيطان ومن وسوسته. ومن تزيينه إِنَّهُ أي: الشيطان عَدُوٌّ للإنسان مُضِلٌّ له عن طريق الحق مُبِينٌ أي: ظاهر العداوة والإضلال، ثم أضاف إلى هذا الندم والاسترجاع، ندما واستغفارا آخر فقال: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَغَفَرَ لَهُ)، أي: قال موسى بعد قتله القبطي بدون قصد- مكررا الندم والاستغفار: يا رب إني ظلمت نفسي، بتلك الضربة التي ترتب عليها الموت، فاغفر لي ذنبي، فَغَفَرَ الله- تعالى- لَهُ ذنبه، إِنَّهُ- سبحانه- هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، ثم أكد موسى للمرة الثالثة، توبته إلى ربه، وشكره إياه على نعمه، فقال: "رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ") (2)

---

(1) تفسير ابن جرير الطبري (16/526)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (10/388)

وإقرار موسى -عليه السلام- بخطئه واستغفاره من هذا الذنب وتعهده لله عز وجل ألا يكون معاونا للمجرمين هو تعليم للدعاة إلى الله بعده، وأن الدعاة إلى الله أسرع الناس ندما إذا بدر منهم خطأ وأحوجهم للاستغفار وتجديد التوبة إلى الله، وأن يبقى نصيرا للحق وليس ظهيرا للمجرمين.

المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء.

وقد ورد هذا في موضعين من القرآن الكريم :

الموضع الأول :عندما انخذل فرعون وآمن السحرة الذين جاء بهم لنصرته فآمنوا جميعا ؛ قال الملأ من قوم فرعون موسوسين له: أتترك موسى -عليه السلام- وقومه أحرارا آمنين ليفسدوا في الأرض تاركين عبادتك وعبادة آلهتك؟، قال فرعون :﴿ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ **[الأعراف: 127]**، وهنا فزع بنو إسرائيل أن يعاود فرعون قتل أبنائهم ، فطمأنهم موسى -عليه السلام- قائلا: ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128]، وقد أراد نبي الله موسى -عليه السلام- طمأنة قومه، فرغبهم في الاستعانة بالله والصبر على هذا الأذى، والتقليل من وعيد فرعون وهيمنته "إنها رؤية «النبي» لحقيقة الألوهية وإشراقها في قلبه، ولحقيقة الواقع الكوني والقوى التي تعمل فيه، ولحقيقة السنة الإلهية وما يرجوه منها الصابرون..إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد، وهو الملاذ الحصين الأمين، وإلا ولي واحد وهو الولي القوي المتين، وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه، وألا يعجلوا، فهم لا يطلعون الغيب، ولا يعلمون الخير..وإن الأرض لله، وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها، والله يورثها من يشاء من عباده- وفق سنته وحكمته- ." [1]

وقوله: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) هو ترغيب لقومه أن تتعلق قلوبهم بالله وحده فهو مالك الملك يؤتيه من يشاء ، وينزعه عمن يشاء، وفيه أيضا: "كناية عن ترقب زوال استعباد فرعون إياهم، قصد منها صرف اليأس عن أنفسهم الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وسلطانه، بأن الله الذي خوله

---

(1) تفسير الظلال (3/1355)

ذلك السلطان قادر على نزعه منه لأن ملك الأرض كلها لله فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها وهو الذي يقدر نزعه."[1]

الموضع الثاني : في سورة يونس رغبهم موسى -عليه السلام- في أن يفوضوا أمرهم إلى الله فإن من تمام الإيمان بالله حسن التوكل عليه، والاستعانة به على فرعون وإيذائه لهم فقال لهم :﴿ **يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ**﴾ [يونس: 84]، ومعنى كلامه – عليه السلام – "إن كنتم آمنتم بالله وصدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون، ثم شرط في التوكل الإسلام، وهو أن يسلموا نفوسهم لله، أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها، لأن التوكل لا يكون مع التخليط. "[2]

وقد استجاب القوم لدعوة نبيهم ﴿**فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ [يونس: 85-86]

وسارع بنو إسرائيل قائلين: على الله وحده اتكالنا وهو عمادنا، ثم دعوا الله: (**رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**) وهذا "الدعاء بألا يجعلهم الله فتنة للقوم الظالمين مقصود به ألا يمكن القوم الظالمين منهم، فيظن القوم أن تمكنهم من المؤمنين بالله دليل على أن عقيدتهم هم أصح ولذلك انتصروا وهزم المؤمنون! ويكون هذا استدراجاً لهم من الله وفتنة ليلجوا في ضلالهم، فالمؤمنون يدعون الله أن يعصمهم من تسلط الظالمين عليهم ولو لاستدراج الظالمين.

والآية الثانية أصرح في النتيجة المطلوبة:(وَنَجِّنا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكافِرِينَ)، ودعاؤهم الله ألا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين، وأن ينجيهم برحمته من القوم الكافرين، لا ينافي الاتكال على الله والتقوّي به، بل هو أدل على التوجه بالاتكال والاعتماد إلى الله، والمؤمن لا يتمنى البلاء، ولكن يثبت عند اللقاء."[3]

---

(1) تفسير التحرير والتنوير (9/60)

(2) تفسير الزمخشري (2/364)

(3) تفسير الظلال (3/1816)

المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل:

عندما ذهب نبيُّ الله موسى -عليه السلام- إلى جبل الطور لميقات ربه، وفي أثناء ذلك زين السامريّ لبني إسرائيل عبادة العجل من دون الله، وأطلع الله موسى -عليه السلام- بما فعل قومه فرجع غضبان أسفا، وعمد إلى العجل الذي عبدوه فأحرقه بالنار ورمى رماده في البحر، ثم توجه نحو بني إسرائيل وأخبرهم أن الله تبارك وتعالى هو الإله الذي يستحق العبادة وحده الذي لا إله غيره فقال لهم: ﴿**إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا**﴾ [طه: 98] ، ثم بين نبي الله موسى -عليه السلام- لقومه أن الله يأمرهم بقتل أنفسهم فقال: ﴿**وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: 54]، والمعنى: أن موسى -عليه السلام- قال لقومه: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم وهبطتم بها إلى الحضيض بعبادتكم غير الله- تعالى- فإذا أردتم التكفير عن خطاياكم فتوبوا إلى ربكم توبة صادقة نصوحا، واقتلوا أنفسكم لتنالوا عفو ربكم، فذلكم خير لكم عند خالقكم من الإقامة على المعصية، ففعلتم ذلك فقبل الله توبتكم لأنه هو الذي يقبل التوبة عن عباده على كثرة ما يصدر عنهم من ذنوب لأنه هو الواسع الرحمة لمن ينيب إليه ويستقيم على صراطه الواضح.

وقوله تعالى: (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أمر من موسى -عليه السلام- لهم بقتلهم أنفسهم حتى تكون توبتهم مقبولة، وهذا الأمر بلغه موسى -عليه السلام- إياهم عن ربه، إذ مثل هذا الأمر لا يصدر إلا عن وحي لأنه تشريع من الله- تعالى.-

والمراد بقتلهم أنفسهم أن يقتل من لم يعبد العجل منهم عابديه، فيكون المعنى: ليقتل بعضكم بعضا، وقد ورد أنهم فعلوا ذلك، وأن الله- تعالى- رفع عنهم القتل وعفا عمن بقي منهم على قيد الحياة كرما منه وفضلا، وهذا هو معنى التوبة في قوله تعالى «فتاب عليكم»، ومعنى العفو في قوله تعالى: في الآية السابقة: (ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [1]

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (1/134)

ولكن ما الحكمة من هذه العقوبة القاسية على عابدي العجل؟

لقد وقع العصاة من بني إسرائيل في ذنب هو من أعظم الذنوب عند الله وهو الشرك بالله وعبادة العجل من دون الله، فكانت هذه العقوبة تطهيرا من الله لهم عما وقعوا فيه من إثم، وردعا عن العودة لمثلها أبدا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: 152-153]

لقد كانت هذه العقوبة "تربية لتلك الطبيعة المنهارة الخوارة، التي لا تتماسك عن شر، ولا تتناهى عن نكر. ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل. وإذ لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام وليؤدوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتربيهم! وهنا تدركهم رحمة الله بعد التطهير «فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[1]

المبحث الثالث/ الترهيب

كان لنبي الله موسى -عليه السلام- مواقف عدة منها ما كان مع فرعون فحذره من عذاب الله ثم موقفه مع سحرة فرعون حذرهم من الافتراء على الله كذبا، ويتناولها الباحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى.

المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا.

المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى:

أراد نبي الله موسى -عليه السلام- أن يحذر فرعون من عاقبة تكذيبه فيما يدعوه إليه فقال: ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: 48] أي:

(1) تفسير الظلال (1/72)

"قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته." [1]

وفي هذا ترهيب لفرعون من أن يكذب بالحق ويتولى عنه أن العاقبة هي الوقوع في عذاب الله.

المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا:

لما حصلت المواجهة بين نبي الله موسى -عليه السلام- وسحرة فرعون قال لهم: ﴿**قَالَ لَهُم موسى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ**﴾ [طه: 61]، أي: قال موسى للسحرة عند اجتماعهم: الويل والهلاك لكم، "لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتم على الله، {فيسحتكم بعذاب} أي: يهلككم بعقوبة هلاكا لا بقية له." [2]

وقوله: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ**﴾ أي: وقد خاب وخسر كل من قال على الله- تعالى- قولا باطلا لا حقيقة له، وفرعون أول المبطلين المفترين الخاسرين، فاحذروا أن تسيروا في ركابه، أو أن تطيعوا له أمرا، ويبدو أن هذه النصيحة الصادقة المخلصة كان لها أثرها الطيب في نفوس بعض السحرة، بدليل قوله- تعالى- بعد ذلك ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ [طه: 62] [3]

فمن باب الترهيب والتحذير مما هم مقبلين عليه من تأييد للباطل استعمل موسى -عليه السلام- ألفاظا قاسية مثل: (ويلكم، فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من افترى)، وهذه الألفاظ توافق المقام لإيقاظ قلوبهم الغافلة، ولردعهم عما هم مقبلين عليه من تأييد الباطل، فالمعركة ليست مع موسى -عليه السلام- إنما مع الله رب العالمين.

****

(1) تفسير ابن كثير (5/297)

(2) المرجع السابق (5/301)

(3) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (9/121)

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

تضمنت قصة موسى -عليه السلام- في القرآن التذكير بنعم الله عز وجل وعظم منته على عباده يتناولها الباحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بنعمه عليه.

المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم.

المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم.

وسوف يستعرض الباحث مواضعها من كتاب الله عز وجل على النحو التالي:

المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بنعمه عليه.

1- حفظ الله لموسى من الذبح على يد فرعون وجنوده:

هاجر يعقوب-عليه السلام- وبنيه إلى مصر بدعوة من ابنه يوسف-عليه السلام- الذي كان وزيرا للخزانة أبان حكم الهكسوس آنذاك، واستقروا فيها وأقاموا بها خير مقام ، وبعد طرد الهكسوس من مصر، وتولى الفراعنة حكمها رأي فرعون أن بني إسرائيل كثروا وتمددوا ، فأحس الطاغية أن هناك خطرا على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر ولم يكن يستطيع أن يطردهم منها وهم جماعة كبيرة أصبحت تعد بمئات الألوف حتى لا يجتمعوا مع أعدائه ضده ،وكانوا – من وجهة نظره – عونا للنظام البائد ، وكان لهم عقيدة غير عقيدته الوثنية هو وقومه ، فبدأ باضطهادهم وإذلالهم بتسخيرهم في الشاق الخطر من الأعمال، وكانوا يعاملون من الأقباط أهل مصر معاملة قاسية مع السخرة والإذلال ، وإمعانا منه في الإذلال أراد تقليل نسلهم فكان يذبح أولادهم الذكور، ويبقى الإناث ، كي لا يتكاثر عدد الرجال فيهم، وبذلك يضعف قوتهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث، فوق ما يصبه عليهم من نكال وعذاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]

ثم إن بطانة فرعون خافوا على انقراض نسل بني إسرائيل؛ وهم القائمين بالخدمة وأعمال السخرة؛ فأشاروا على فرعون بأن يذبحوا الأطفال الذكور عاما ويتركونهم عاما، وقد ولد هارون في العام الذي ليس فيه ذبح، أما موسى -عليه السلام- فقد ولد في العام الذي فيه ذبح.[1]

وفي ظل هذه الظروف التاريخية القاسية كانت ولادة رسول الله وكليمه موسى -عليه السلام-وقد امتن الله على نبيه موسى -عليه السلام- بحفظه له ورعايته عند ولادته قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ موسى أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7]، وكان لفرعون أناس موكلون بذلك، (الإشارة هنا للذبح) وقوابل يدرن على النساء، فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط، فإذا ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلاما دخل أولئك الذباحون، بأيديهم الشفار المرهفة[2]، فقتلوه ومضوا قبحهم الله.

فلما حملت أم موسى به، لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها، ولم تفطن لها الدايات، ولكن لما وضعته ذكرا ضاقت به ذرعا، وخافت عليه خوفا شديدا وأحبته حبا زائدا، وكان موسى -عليه السلام- لا يراه أحد إلا أحبه، فالسعيد من أحبه طبعا وشرعا، قال الله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: 39] فلما ضاقت ذرعا به ألهمت في سرها، وألقي في خلدها، ونفث في روعها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ موسى أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7] وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتا، ومهدت فيه مهدا، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخاف جعلته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل

---

(1) ينظر في هذا تفسير ابن كثير (6/221 وما بعدها)، وتفسير الظلال (5/2677)، والعبرة من قصة موسى -عليه السلام- للباحث محمد خيري عدوي ص (241) وما بعدها، وهو في الأصل رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة 1979،1980م، وكتاب دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الأعظمي ص (71) وما بعدها، ط مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية 2003م

(2) الشفار جمع شفرة، وهي: ما عرض وحدد من الحديد كحد السيف والسكين. ينظر القاموس المحيط مادة "شفر" ص (418)، ومرهفة: من رهف السيف أي رققه. ينظر القاموس المحيط مادة "رهف" ص (815)، وعلى هذا يكون معنى الشفار المرهفة: السيوف الحادة القاطعة.

عندها، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر وذهلت عن أن تربطه، فذهب مع الماء واحتمله، حتى مر به على دار فرعون، فالتقطه الجواري فاحتملنه، فذهبن به إلى امرأة فرعون، ولا يدرين ما فيه، وخشين أن يفتئتن عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلها؛ ولهذا قال ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص: 8] (1)

2- رد الله موسى لأمه بعد أن حرم عليه المراضع:

لما التقط آل فرعون موسى الطفل الرضيع، وفرحت به امرأة فرعون، قالت لزوجها: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9] والتمسوا له المراضع فلم يقبل موسى على أي منهن، كما قال تعالى : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 12-13] ، وقد قدر الله -سبحانه - ذلك ليكون سببا إلى رجوعه إلى أمه، لترضعه وهي آمنة، بعدما كانت خائفة، فلما رأتهم أخته حائرين فيمن يرضعه قالت: (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) فلما قالت لهم ذلك (ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحا شديدا، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى ، وأحسنت إليها، وأعطتها عطاء جزيلا وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لي بعلا وأولادا، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوي والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى

(1) تفسير ابن كثير (6/221 وما بعدها)

بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله من بعد خوفها أمنا، في عز وجاه ورزق دارّ.) [1]

وهكذا عظمت منة الله وفضله على عبده موسى -عليه السلام- فحفظه في الصغر وأعاده إلى أمه لم يمسسه سوءا من فرعون وجنده، وقد ذكر الله نبيه موسى -عليه السلام- بمنته عليه بعد أن كلفه بالرسالة فقال له: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۝٣٧ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۝٣٨ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ۝٣٩ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ۝٤٠ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝٤١﴾ [طه: 37-41]

المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم:

لما دخل موسى وهارون -عليهما السلام- على فرعون لدعوته لعبادة الله الواحد الأحد، وإرسال بني إسرائيل توجه فرعون إليهما بسؤال: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 49]، من ربكما الذي أرسلكما فإني لا أعرفه؟

فقال له موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50] أي أعطى خليقته كل شي يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو أعطى كل شي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، فذكره بنعمة الله الذي خلق الخلق من العدم وهيأهم لما خلقوا إليه وهدى فطرتهم ثم هداه إلى منكحه، ومطعمه، ومشربه، ومسكنه.

(1) المرجع السابق (6/224)

قال فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ **[طه: 51]**، فقال موسى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ **[طه: 52]** لما سأل فرعون موسى عن أعمال القرون الأولى فأعلمه أنها محصاة عند الله تعالى، ومحفوظة عنده في كتاب، أي هي مكتوبة فسيجازيهم غدا بها وعليها، وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ، ومعنى **(لا يضل ربي ولا ينسى)** لا يضل عنه علم شي من الأشياء ولا معرفتها، ولا ينسى ما علمه منها، ثم ذكر موسى فرعون وملأه ببعض نعم الله عليهم فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ **[طه: 53-54]**

- النعمة الأولى: نعمة جعل الأرض مهدا أي فراشا وقرارا تستقرون عليها.
- النعمة الثانية: (وسلك لكم فيها سبلا) أي طرقا.
- النعمة الثالثة: (وأنزل من السماء ماء)، وهذا آخر كلام موسى -عليه السلام- ثم قال الله تعالى:" فأخرجنا به"، وقيل: كله من كلام موسى -عليه السلام- والمعنى (فأخرجنا به) أي بالحرث والمعالجة، لأن الماء المنزل سبب خروج النبات، ومعنى (أزواجا) أي أصنافا من النبات المختلفة الأزواج والألوان. (1)

فهنا يبين نبي الله موسى -عليه السلام- لفرعون وملئه بعض نعم الله تعالى فالله جعل الأرض ممهدة سهلة لسالكيها، وجعل فيها طرقا يجتازها الناس في ذهابهم وإيابهم، وهو سبحانه الذي يسوق المطر فيخرج بقدرته أصنافا متنوعة مما يأكل الناس وأنعامهم، (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) إن فيما ذكر من نعم الله – تعالى- لآيات كونية واضحة لأصحاب العقول الرشيدة التي تستطيع أن تدرك أن للكون خالقا عظيما ومدبرا حكيما.

المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم:

---

(1) ينظر تفسير القرطبي (11/205 وما بعدها)

1- نعمة نجاة بني إسرائيل وإهلاك فرعون وجنوده:

أمر الله نبيه موسى -عليه السلام- أن يسري بقومه وينتقل بهم من هذه القرية الظالم أهلها فرارا بدينهم إلى مكان يستطيعون فيه أن يعبدوا ربهم ويظهروا دينهم ويؤدوا شعائرهم، فخرج بهم ليلا متوجها إلى الأرض المقدسة، فلما بلغ فرعون خروجهم أبى أن يتركهم ومنعه غروره بقوته وجبروته أن يتركهم حتى يفروا، وأبى إلا أن يقضي عليهم ويبيدهم قائلا: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: 54-56] ، فأتبع القوم بجنوده وأدركوهم بالفعل عند شاطئ البحر، وبلغ الخوف بقوم موسى مداه، فلم يعد أمامهم أمل في النجاة، فالبحر أمامهم، وفرعون وجنوده من ورائهم، فأيقنوا بالهلاك ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ موسى إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء: 61]، فقال موسى -عليه السلام- وهو الواثق بربه ونصرته وتأييده: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: 62] ، وجاء الجواب عاجلا: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ موسى أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63] ، وأمر موسى -عليه السلام- بنى إسرائيل أن يعبروا فعبروا بين فرقى الماء دون أن يمسهم أذى، واقتفى فرعون وجنوده أثرهم طمعا في إدراكهم وعند ما عبر بنو إسرائيل البحر ولم يبق منهم أحد بين المياه المنحسرة، كان فرعون وجنده ما زالوا بين فرقى البحر، فأطبق عليهم وعاد كما كان أولا، فغرقوا جميعا، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم في دهشة وسرور، وأسند- سبحانه- فرق البحر إلى ذاته الكريمة، ليدل على أن القوم عبروه وقطعوه وهم بعنايته، وقوله تعالى: (فَأَنْجَيْناكُمْ وَأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ) بيان للمنة العظمى التي امتن بها عليهم، والتي ترتبت على فرق البحر، لأن فرق البحر لهم ترتب عليه أمران: أولهما: نجاتهم، وثانيهما: إهلاك عدوهم وكلاهما نعمة عظيمة، ليعلم بنو إسرائيل أن الله ناصر عباده ومنجيهم، وليس للعبد إلا الأخذ بالسبب، فضرب البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.. وأنجى الله موسى -عليه السلام- وقومه وأغرق فرعون وجنده. (1)

ومن تمام منة الله على بني إسرائيل أن يريهم جثة فرعون بعد هلاكه تطفو فوق سطح الماء قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ

---

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (1/125)

﴿ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: 92] ، وقد امتن الله على بني إسرائيل بهذه النعمة في مواضع عدة من القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: 49-50]، وفائدة قوله تعالى: (وأنتم تنظرون) أي: "وأغرقناهم وأنتم تنظرون؛ ليكون ذلك أشفى لصدوركم، وأبلغ في إهانة عدوكم."[1]

فرؤية بني إسرائيل لفرعون عدو الله وعدوهم ينظرون إليه هالكا بالغرق هو وجنوده قد تضمنت نعما كثيرة على بنى إسرائيل في الدين والدنيا:

(أما نعم الدنيا فمن وجوه: أحدها: أنهم لما وقعوا في ذلك المضيق الذي من ورائهم فرعون وجنوده وقدامهم البحر، فإن توقفوا أدركهم العدو وأهلكهم بأشد العذاب وإن ساروا غرقوا فلا خوف أعظم من ذلك، ثم إن الله نجاهم بفلق البحر فلا فرج أشد من ذلك.

وثانيها: أن الله تعالى خصهم بهذه النعمة العظيمة والمعجزة الباهرة، وذلك سبب لظهور كرامتهم على الله تعالى.

وثالثها: أنهم شاهدوا أن الله تعالى أهلك أعداءهم ومعلوم أن الخلاص من مثل هذا البلاء من أعظم النعم، فكيف إذا حصل معه ذلك الإكرام العظيم وإهلاك العدو.

أما نعم الدين فمن وجوه:

أحدها: أن قوم موسى لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة زالت عن قلوبهم الشكوك والشبهات، فإن دلالة مثل هذا المعجز على وجود الصانع الحكيم وعلى صدق موسى تقرب من العلم الضروري، فكأنه تعالى رفع عنهم تحمل النظر الدقيق والاستدلال الشاق.

---

(1) تفسير ابن كثير (1/259)

وثانيها: أنهم لما عاينوا ذلك صار داعيا لهم إلى الثبات على تصديق موسى -عليه السلام- والانقياد له وصار ذلك داعيا لقوم فرعون إلى ترك تكذيب موسى -عليه السلام- والإقدام على تكذيب فرعون.

وثالثها: أنهم عرفوا أن الأمور بيد الله فإنه لا عز في الدنيا أكمل مما كان لفرعون ولا شدة أشد مما كانت ببني إسرائيل، ثم إن الله تعالى في لحظة واحدة جعل العزيز ذليلا والذليل عزيزا، وذلك يوجب انقطاع القلب عن علائق الدنيا والإقبال بالكلية على خدمة الخالق والتوكل عليه في كل الأمور.)[1]

فكانت نعمة إهلاك الله عز وجل لفرعون وجنوده من أعظم النعم على بني إسرائيل، ذكرهم بها موسى -عليه السلام-، ليداوموا على شكر الله، ويثنوا عليه بما هو أهله – سبحانه وتعالى - وذكر الله بها أحفادهم في القرآن أيضا ليتبعوا نبيه محمدا صلّى الله عليه وسلم مؤمنين به مناصرين لدعوته.

2- نعم الله على بني إسرائيل عندما أقاموا بسيناء:

بعد نجاة بني إسرائيل من فرعون وجنوده وعبورهم البحر بسلام أقاموا بسيناء فأنعم الله عليهم بالكثير من النعم، وقد ورد ذكر ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم على النحو التالي:

أ- تفضيلهم على العالمين في زمانهم:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **[البقرة: 47]**، وهذا نداء من الله -تبارك وتعالى-على أحفاد بني إسرائيل من اليهود الذين كانوا يعيشون مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، "وقد ذكر الله- تعالى- بنى إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بهذه النعم مع أنها كانت لآبائهم، كما يدل عليه سياق الآيات لأن النعم على الآباء نعم على الأبناء لكونهم منهم، ولأن شرف الأصول يسرى إلى الفروع، فكان التذكير بتلك النعم فيه شرف لهم، وحسن سمعة تعود عليهم، وتغريهم بالإيمان والطاعة- لو كانوا يعقلون-، ومن مظاهر، تفضيل الله لبنى إسرائيل على عالمي زمانهم، جمعه لهم من المحامد قبل بعثة النبي صلّى الله عليه وسلم. ما لم يجمع لغيرهم، فقد حياهم بكثير من النعم:

---

(1) تفسير الرازي (3/508 وما بعدها) باختصار يسير

- بعث فيهم عددا كبيرا من الأنبياء.
- ونجاهم من عدوهم.
- ولم يعجل العقوبة عليهم رغم عصيانهم واعتدائهم، واقترافهم شتى ألوان المنكرات عن تعمد وإصرار، ولم ينزل بهم قارعة تستأصلهم بذنوبهم كما استأصل غيرهم كقوم عاد وثمود."[1]

8- نعمة إنزال التوراة على موسى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا موسى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 53]، والمراد بالكتاب التوراة التي أوتيها موسى -عليه السلام- باتفاق المفسرين، أما الفرقان ففيه عدة أقوال أشهرها:

- الفرقان: هو التوراة، ويكون المراد بالعطف التفسير.
- الفرقان: مأخوذ من الفرق وهو الفصل، استعير لتمييز الحق من الباطل.
- الفرقان: انفراق البحر له حتى صار فرقا فعبروا.
- الفرقان الفرق بينهم وبين قوم فرعون أنجى هؤلاء وأغرق أولئك. [2]

والمعنى: واذكروا يا بنى إسرائيل نعمة التوراة، التي آتاها الله موسى -عليه السلام- وفيها منهج الله لكم وبيان الشرائع والأحكام، لكي تهتدوا بها إلى طريق الحق في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

ج- تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى:

قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 57]، ومن

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/116)

(2) ينظر تفسير القرطبي (1/399 وما بعدها)

نعم الله تعالى على بني إسرائيل أنهم وهم في الصحراء أراهم الله آياته من تظليل الغمام لهم وما ساقه لهم من الطعام الطيب.

"وتذكر الروايات أن الله ساق لهم الغمام يظللهم من الهاجرة، والصحراء بغير مطر ولا سحب، جحيم يفور بالنار، ويقذف بالشواظ، وهي بالمطر والسحاب رخية ندية تصح فيها الأجسام والأرواح.. وتذكر الروايات كذلك أن الله سخر لهم «الْمَنَّ» يجدونه على الأشجار حلواً كالعسل، وسخر لهم «السَّلْوى» وهو طائر السماني يجدونه بوفرة قريب المنال، وبهذا توافر لهم الطعام الجيد، والمقام المريح، وأحلت لهم هذه الطيبات. (1)

د- انفجار اثنتا عشرة عين ماء:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60]، فامتن الله على بني إسرائيل بقوله لهم: "واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم، وتفجيري الماء لكم منه من ثنتي عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها، فكلوا من المن والسلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم ولا كد، واعبدوا الذي سخر لكم ذلك، {ولا تعثوا في الأرض مفسدين} ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها."(2)

وهذه النعمة كانت رحمة من الله بهم، ولولا ذلك لهلكوا من العطش في الصحراء، وأيضا هي من دلائل قدرة الله ومعجزة أجراها على يد نبيه موسى - عليه السلام-.

هـ - نعمة كثرة الأنبياء في بني إسرائيل وجعلهم ملوكا:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 20]

---

(1) تفسير الظلال (1/72)

(2) تفسير ابن كثير (1/278)

أراد نبي الله موسى -عليه السلام- أن يقدم بين يدي إخباره لبني إسرائيل بأمر الله لهم أن يدخلوا الأرض المقدسة فقال: يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
ثم ذكر لهم ثلاث نعم أسبغها الله عليهم:

النعمة الأولى: جعل الله فيهم أنبياء:

فقد اختار الله عددا من الأنبياء من بني إسرائيل؛ كموسى وهارون، واسحق، ويعقوب، ويوسف، - عليهم السلام-، وقد أرسل الله- تعالى- هؤلاء الأنبياء وغيرهم في بنى إسرائيل، لكي يخرجوهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان، إلى نور الهداية والطاعة والإيمان، والتنكير في قوله أَنْبِياءَ للتكثير والتعظيم، أي: تذكروا يا بنى إسرائيل نعم الله عليكم، وأحسنوا شكرها، حيث جعل فيكم أنبياء كثيرين يهدونكم إلى الرشد.

النعمة الثانية: جعلهم الله ملوكا:

أي: جعلكم أحرارا تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه، الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب، فجعلكم تملكون المساكن وتستعملون الخدم، بعد أن كنتم لا تملكون شيئا من ذلك وأنتم تحت سيطرة فرعون وقومه، وهذه النعمة- أي: نعمة الحرية بعد الذل، والسعة بعد الضيق- من النعم العظمى التي لا يقدرها ويحافظ عليها إلا أصحاب النفوس الكبيرة، التي تعاف الظلم، وتأبى الضيم، وتحسن الشكر لله- تعالى-.

النعمة الثالثة: آتاهم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين:

فقد آتاهم الله – سبحانه- من ألوان الإكرام والمنن ما لم يؤت أحدا من عالمي زمانهم، فقد فلق لهم البحر فساروا في طريق يابس حتى نجوا وغرق عدوهم، وأنزل عليهم المن والسلوى، ليأكلوا من الطيبات، وفجر لهم من الحجر اثنتي عشرة عينا حتى يعلم كل أناس مشربهم.. إلى غير ذلك من ألوان النعم التي حباهم الله- تعالى- بها، والتي كانت تستلزم منهم المبادرة إلى امتثال أوامره، واجتناب نواهيه. [1]

وهكذا نجد أن الله أنعم على بني إسرائيل نعما كثيرة وذكرهم بها رب العزة، وأيضا نبيهم موسى -عليه السلام- من باب التذكير بمنته وفضله عليهم، ليقروا لله

---

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (4/104 وما بعدها)

بالفضل والمنة، ويثنوا عليه بما هو أهله، ويزدادوا إيمانا بالله ورسوله، ويهون عليهم تكليف الله لهم بدخول الأرض المقدسة.

****

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة موسى -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة موسى -عليه السلام-

وقد استخدم نبي الله موسى -عليه السلام- المنهج العقلي في دعوته لفرعون وكذلك مع قومه بني إسرائيل بالعديد من فنون القول، يستعرضها الباحث في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

وقد استعمل نبي الله موسى -عليه السلام- أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته يتناولها الباحث من خلال ستة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون.

المطلب الثاني: إنكاره على قومه لطلبهم طعاما غير المن والسلوى.

المطلب الثالث: إنكاره على قومه في طلبهم تقليد عبدة العجل.

المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل.

المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل.

المطلب السادس: إنكاره على السامري إيقاع قومه في الشرك.

المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿**فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ**﴾ [النازعات: 18-19]، وهذا القول من موسى -عليه السلام- في دعوته لفرعون قد أمره الله أن يلين القول له فقال مستفهما ومرغبا له لسماع كلامه:

(هَل لَّكَ إلى أَن تَزَكَّىٰ)، والهدف من الاستفهام هنا -كما نفهم من السياق- تشويق فرعون إلى الخبر، وإثارة انتباهه، وجعله مترقبا لما سيقوله موسى.

المطلب الثاني: الاستفهام الإنكاري على قومه لطلبهم طعاما غير المن والسلوى:

في قوله تعالى حكاية عن قول موسى لقومه: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ**﴾ **[البقرة: 61]**، مربنا أن بني إسرائيل لما كانوا بسيناء ظلل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فطلبوا طلبا عجيبا من موسى -عليه السلام- فقالوا له: ﴿ **لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾ [البقرة: 61]، فتعجب موسى -عليه السلام- من طلبهم وقال مستفهما استفهاما استنكاريا: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ**﴾ [البقرة: 61] ، لقد كان طلب بني إسرائيل غريبا مستنكرا فهم بسيناء بأطيب عيش وأطيب ماء وطعام، ثم إذا بهم يطلبون ما اعتادوا عليه بمصر، وصدروا كلامهم بما يفيد كراهيتهم لما أنعم الله عليهم به من المن والسلوى بقولهم: (لن نصبر) والصبر حبس النفس على مكروه، والتعبير بـ (لن) المفيدة لتأبيد النفي في اللغة العربية لأداء معنى كلامهم المحكي هنا في شدة الضجر وبلوغ الكراهية منهم حدها الذي لا طاقة عنده.

وقول موسى -عليه السلام-: (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) توبيخ شديد لأنه جرده عن المقنعات وعن الزجر، واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب فالتوبيخ، وفي الاستبدال للخير بالأدنى النداء بنهاية حماقتهم وسوء اختيارهم، ولذلك قال بعدها: (اهبطوا مصرا) فالأمر في قوله: اهبطوا للإباحة المشوبة بالتوبيخ أي إن كان هذا همكم فاهبطوا بقرينة قوله: (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)، فالمعنى اهبطوا مصرا من الأمصار، وفيه إعراض عن طلبهم إذ ليس حولهم يومئذ بلد قريب يستطيعون وصوله.

وقيل: أراد اهبطوا مصر أي بلد مصر بلد القبط أي ارجعوا إلى مصر التي خرجتم منها، والأمر لمجرد التوبيخ إذ لا يمكنهم الرجوع إلى مصر.[1]

---

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (1/520 وما بعدها)، وقال الطاهر ابن عاشور في تفصيل القول الثاني: واعلم أن مصر على هذا المعنى يجوز منعه من الصرف على تأويله بالبقعة فيكون

المطلب الثالث: الاستفهام الإنكاري على قومه في طلبهم تقليد عبدة العجل:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 140]، لما أهلك الله فرعون وجنوده وأنجى بني إسرائيل، مر بنو إسرائيل بقوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله فقالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138] ، وهذا يدل على أن بني إسرائيل قد انخلعوا في مدة إقامتهم بمصر عن عقيدة التوحيد، لأنهم لما كانوا في حال ذل واستعباد ذهب علمهم وتاريخ مجدهم واندمجوا في ديانة الغالبين لهم فلم تبق لهم ميزة تميزهم إلا أنهم خدمة وعبيد، وكفى بالأمة خسة عقول أن تعد القبيح حسنا، وأن تتخذ المظاهر المزينة قدوة لها، وأن تنخلع عن كمالها في اتباع نقائص غيرها.

هنا غضب نبيهم موسى -عليه السلام- من كلامهم، وكان جوابه بعنف وغلظة، لأن ذلك هو المناسب لحالهم فقال: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٣٩ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝١٤٠﴾ [الأعراف: 138-140]، والاستفهام بقوله: (أغير الله أبغيكم إلها) للإنكار والتعجب من طلبهم أن يجعل لهم إلها غير الله.[1]

المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: 86] ، بعد أن أهلك الله- تعالى- فرعون وجنوده، سار ببني إسرائيل متجها ناحية جبل الطور، ثم تركهم واستخلف عليهم أخاه هارون، وذهب لمناجاة ربه فأخبره- سبحانه- بما أحدثه بنو إسرائيل في غيبته عنهم، قال الله- تعالى- لموسى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ۝٨٣ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ

فيه العلمية والتأنيث، ويجوز صرفه على تأويله بالمكان أو لأنه مؤنث ثلاثي ساكن الوسط مثل هند فهو في قراءة ابن مسعود بدون تنوين وأنه في مصحف أبي بن كعب بدون ألف وأنه ثبت بدون ألف في بعض مصاحف عثمان قاله ابن عطية. التحرير والتنوير (1/524)

(1) ينظر المرجع السابق (9/81 وما بعدها)

﴿إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه: 83-85] ، لقد تفاجأ موسى -عليه السلام- بالأمر وفظاعته وأصابه الغضب الشديد بعد أن علم بضلال قومه، وعبادتهم العجل كما ذكر القرآن الكريم: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: 86] والاستفهام في قوله: (يا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً) وكذا قوله: (أفطال عليكم العهد) استفهام إنكاري، أي: "قال لهم على سبيل الزجر والتوبيخ: (يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) لا سبيل لكم إلى إنكاره، ومن هذا الوعد الحسن: إنزال التوراة لهدايتكم وسعادتكم، وإهلاك عدوكم أمام أعينكم. فلماذا أعرضتهم عن عبادته وطاعته مع أنكم تعيشون في خيره ورزقه؟ ثم زاد في تأنيبهم وفي الإنكار عليهم فقال: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: 86] ، فالاستفهام في قوله أَفَطالَ.. للنفي والإنكار وأَمْ منقطعة بمعنى، بل.

والمعنى: "أفطال عليكم الزمان الذي فارقتكم فيه؟ لا إنه لم يطل حتى تنسوا ما أمرتكم به، بل إنكم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم، فأخلفتم موعدي الذي وعدتموني إياه وهو أن تثبتوا على إخلاص العبادة لله- تعالى-."[1]

المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ [طه: 92-93]، والاستفهام هنا استنكاري ينكر على أخيه أنه لم يخبره أول وقوع الأمر وقد استخلفه على بني إسرائيل؟

المطلب السادس: إنكاره على السامري إيقاع قومه في الشرك:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [طه: 95] ، وبعد انتهاء موسى من سماع هارون، اتجه للتحقيق والمساءلة للسامري فقال له

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (9/138)

مستنكرا وموبخا: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ [طه: 95] ، فالاستفهام هنا للاستنكار والتوبيخ، أي: "ما حملك على ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟"(1)

المبحث الثاني/ الجدال

استعمل نبي الله موسى -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في تبليغه الرسالة لفرعون، ثم كان له مجادلة مع سحرة فرعون لردهم عن مناصرة الباطل بالباطل، ثم مع قومه بني إسرائيل، لبيان الرسالة التي أرسله الله بها، ورد الشبهات التي كان قومه يثيرونها بين الحين والآخر، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع يتناولها الباحث من خلال مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون.

المطلب الثاني: مجادلة موسى -عليه السلام- مع السحرة.

المطلب الثالث: مجادلة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل.

المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل.

المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون.

المطلب السادس: مجادلة موسى -عليه السلام- للسامري.

المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون:

توجه موسى ومعه أخاه هارون – عليهما السلام- إلى فرعون وملئه لدعوتهم إلى الحق بعبادة الله وحده ورفع العذاب عن بني إسرائيل وقد جاءت الآيات مبينة هذا الحوار في قوله تعالى : ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ

(1) تفسير ابن كثير (5/313)

الْعَالَمِينَ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴿٢٢﴾ [الشعراء: 16-22] ،

ويفهم من السياق أن هناك اختصار في الأحداث من ناحية دخول موسى -عليه السلام- وهارون على فرعون وقولهما إنا رسول رب العالمين، فبماذا أجاب فرعون؟ توجه فرعون بالخطاب لموسى فقط لأنه فهم أن المتكلم هو موسى وأن هارون تبع له، وقد أراد فرعون إبطال ما قاله موسى فقال:

1- ألم نربك فينا وليدا أي: ألم يسبق لك أنك عشت في منزلنا، ورعيناك وأنت طفل صغير، ولبثت فينا من عمرك سنين عددا.

2- ثم ذكره بحادثة قتل القبطي فقال متهكما مستهزئا: (وفعلت فعلتك التي فعلت) بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة، وهي قتلك لرجل من شيعتي، وقوله هذا تهويل مراد به التفظيع وأنها مشتهرة معلومة مع تحقيق إلصاق تبعتها به حتى لا يجد تنصلا منها.

3- (وأنت من الكافرين) أي: وأنت من الجاحدين بعد ذلك لنعمتي التي أنعمتها عليك، بتربيتك ورعايتك، فهل هذا جزاء إحساني إليك؟ فجعل فرعون انتصار موسى لرجل من عشيرته كفرانا لنعمة فرعون لأنه يرى واجب موسى أن يعد نفسه من قوم فرعون فلا ينتصر لإسرائيلي!!

وهكذا جمع فرعون كل ما حسبه ردا قاتلا لا يملك موسى معه جوابا، ولا يستطيع مقاومة، وبخاصة حكاية القتل، وما يمكن أن يعقبها من قصاص، يتهدده به من وراء الكلمات!

فماذا كان رد موسى؟

قال موسى: أنا لا أنكر أنى قد فعلت هذه الفعلة التي تذكرني بها، ولكني فعلتها وأنا في ذلك الوقت من الضالين، قبل أن يشرفني الله بوحيه، ويكلفني بحمل رسالته، وفضلا عن ذلك فأنا كنت أجهل أن هذه الوكزة تؤدى إلى قتل ذلك الرجل من شيعتك، لأني ما قصدت قتله، وإنما قصدت تأديبه، ومنعه من الظلم لغيره.

ثم أضاف موسى إلى هذا الرد الملزم لفرعون ردا آخر أشد إلزاما وتوبيخا؛ حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بنى إسرائيل، لأن تعبيدهم وقصدهم بالذبح لأبنائهم هو السبب في وجوده عنده وتربيته، فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه، وتذليلهم واتخاذهم خدما له، فهل هذا هو ما تمنه علي، وهل هذا هو فضلك العظيم؟!

ونلاحظ في هذه المجادلة عدة أمور:

1- ابتدأ فرعون رده على موسى بمحاولة تصغير شأنه للتقليل مما جاء به بذكر تربيته في قصر فرعون وليدا، ثم لوّح بمعاقبته عن جريمته التي فعلها وهي قتل القبطي، ورماه بجحود النعمة والإحسان.

2- رد موسى -عليه السلام- في ثبات ورباطة جأش معترفا بالفعلة، فابتدأ بالإقرار بفعلته ليعلم فرعون أنه لم يجد لكلامه مدخل تأثير في نفس موسى -عليه السلام-، وذكر ما نشأ عنها من خير له، ليدل على أنه حمد أثرها وإن كان قد اقترفها غير مقدر ما جرته إليه من خير.

3- ابتدأ موسى -عليه السلام- بالجواب عن الأهم من كلام فرعون وهو: (وفعلت فعلتك) [الشعراء: 19] ليظهر لفرعون أنه لا يخشى مطالبتهم إياه بثأر ذلك القتيل ثقة بأن الله ينجيه من عدوانهم.

4-وبهذا يظهر وجه الاسترسال في الجواب بقوله: (فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين)، أي فكان فراري قد عقبه أن الله أنعم على فأصلح حالي وعلمني وهداني واصطفاني رسولا، وبهذا الجواب التوبيخي أفحم موسى -عليه السلام- فرعون، وجعله يحول الحديث عن هذه المسألة التي تتعلق بتربيته لموسى إلى الحديث عن رب العالمين، وقد حكى القرآن ذلك في قوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴿٣٢﴾

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣﴾ [الشعراء: 23-33]، إذن المجادلة أخذت مسار السؤال والجواب، فكان فرعون يسأل، وموسى -عليه السلام- يجيب ثم يعقب فرعون على الجواب على النحو التالي:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: 23]، وهذا السؤال يدل على طغيان فرعون- قبحه الله- وتجاوزه كل حد في الفجور، فإن هذا السؤال يحمل في طياته استنكار أن يكون هناك إله سواه، كما حكى عنه القرآن في قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38]، فهو ينكر رسالة موسى -عليه السلام-من أساسها. (1)

وهنا يرد موسى بقوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: 24]

وهنا يلتفت فرعون إلى من حوله ليشاركوه التعجيب مما قاله موسى وليصرفهم عن التأثر بما سمعوه منه: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: 25]، وقد أراد فرعون من عجبه أن يصرفهم عن التأثر به، على طريقة الجبارين الذين يخشون تسرب كلمات الحق البسيطة الصريحة إلى القلوب.

ولكن موسى -عليه السلام - لم يمهلهم حتى يردوا على فرعون، بل أكد لهم وحدانية الله- تعالى- وهيمنته على هذا الكون فقال: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 26]، فكيف تتركون عبادته، وتعبدون عبدا من عباده ومخلوقا من مخلوقاته هو فرعون؟

---

(1) يقول العلامة الطاهر بن عاشور: (فقد كانت عقائد القبط تثبت آلهة متفرقة قد اقتسمت التصرف في عناصر هذا العالم وأجناس الموجودات، وتلك العناصر هي العالمون ولا يدينون بإله واحد، فإن تعدد الآلهة المتصرفة ينافي وحدانية التصرف، فلما سمع فرعون من كلام موسى - عليه السلام- إثبات رب العالمين قرع سمعه بما لم يألفه من قبل لاقتضائه إثبات إله واحد وانتفاء الإلهية عن الآلهة المعروفة عندهم، على أنهم كانوا يزعمون أن فرعون هو المجتبى من الآلهة ليكون ملك مصر. فهو مظهر الآلهة الأخرى في تدبير المملكة (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) [الزخرف: 51]، وبهذا الانتساب إلى الآلهة وتمثيله إرادتهم في الأرض كان فرعون يدعى إلها.) أ. هـ من تفسير التحرير والتنوير (19/116)

وهنا لم يملك فرعون إلا الرد الدال على إفلاسه وعجزه، فقال ملتفتا على سبيل السخرية بموسى مخاطبا أشراف قومه: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشعراء: 27]، وسماه رسولا على سبيل الاستهزاء، وجعل رسالته إليهم لا إليه، لأنه- في زعم نفسه- أكبر من أن يرسل إليه رسول.

ولكن هذا التهكم وهذا القذف لا يفت في عضد موسى -عليه السلام- فيمضي في طريقه يصدع بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة والمتجبرين: فقال: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الشعراء: 28]، ربنا رب المشرق والمغرب، وخصهما بالذكر لأنهما من أوضح الأدلة على وحدانية الله- تعالى- وقدرته ولأن فرعون أو غيره من الطغاة لا يجرأ ولا يملك ادعاء تصريفهما، أو التحكم فيهما على تلك الصورة البديعة المطردة، والتي لا اختلال فيها ولا اضطراب، وجملة إن كنتم تعقلون حض لهم على التعقل والتدبر، وتحذير لهم من التمادي في الجحود والعناد.

ولكن فرعون- وقد شعر بأن حجة موسى قد ألقمته حجرا انتقل من أسلوب المحاورة في شأن رسالة موسى إلى التهديد والوعيد- شأن الطغاة عند ما يعجزون عن دفع الحجة بالحجة، فقال لموسى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِى لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29]، فهذا شأني مع كل من يتمرد على عبادتي، ويخالف أمري.

ولكن موسى -عليه السلام- لم يخفه هذا التهديد والوعيد، بل رد عليه ردا حكيما فقال له: ﴿قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: 30]، يدل دلالة واضحة على صدقي في رسالتي، وعلى أنى رسول من رب العالمين؟ وعبر عن المعجزة التي أيده الله بها بأنها شيء مبين للتهويل من شأنها، والتفخيم من أمرها.

وهنا وجد فرعون نفسه مضطرا أن يقول لموسى: ﴿قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: 31]

وهنا كشف موسى -عليه السلام- عما أيده الله- تعالى- به من معجزات حسية خارقة ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ

﴿لِلنَّاظِرِينَ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: 32-33]، فألقى موسى عصاه على الأرض أمام فرعون وقومه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده أي: من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين بياضا يخالف لون جسمه- عليه السلام-، من غير سوء ولا مرض.

وهنا أحس فرعون بالرعب يسرى في أوصاله، وبأن ألوهيته المزعومة قد أوشكت على الانكشاف، وبأن معجزة موسى -عليه السلام- توشك أن تجعل الناس يؤمنون به، فالتفت إليهم وكأنه يحاول جذبهم إليه، واستطلاع رأيهم فيما شاهدوه، ويحكى القرآن ذلك بأسلوبه البليغ فيقول: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: 34-37]، فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته، والكفر به، فقال {يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون}؟ أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا على فيه ماذا أصنع به؟ {قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم} أي: أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار عليم يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد، فأجابهم إلى ذلك، وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، ولتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة.

ونلاحظ من هذه المجادلة عدة أمور:

1- تميز حوار موسى مع فرعون بالوضوح في الدعوة وبيان الاعتقاد الصحيح في الله عز وجل، وبطلان ما كان يعتقده فرعون وقومه من عبادة غير الله وتأليه فرعون، وأيضا في ردوده على شبهات فرعون نلاحظ قوة في الحجة والبيان وعدم مجاملة أو مواربة.

2- سؤال فرعون عن رب العالمين سؤال المتنكر للقول من أساسه، المتهكم على القول والقائل، المستغرب للمسألة كلها حتى ليراها غير ممكنة التصور، غير قابلة لأن تكون موضوع حديث!

3- جواب موسى -عليه السلام- يكافئ ذلك التجاهل ويغطيه: إنه رب هذا الكون الهائل الذي لا يبلغ إليه سلطانك- يا فرعون- ولا علمك، وقصارى ما ادعاه فرعون أنه إله هذا الشعب وهذا الجزء من وادي النيل، وهو ملك صغير ضئيل، كالذرة أو الهباءة في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما.

4- قول فرعون للملأ حوله (ألا تستمعون؟) نزلهم منزلة من لم يستمع تهييجا لنفوسهم كي لا تتمكن منهم حجة موسى -عليه السلام-.

5- أراد نبي الله موسى أن يطرق سمع فرعون بأن رب العالمين هو ربه، فما هو إلا واحد من عبيده، لا إله كما يدعي بين قومه! وهو رب قومه، فليس فرعون ربهم كما يزعم عليهم! وهو رب آبائهم الأولين، فالوراثة التي تقوم عليها ألوهية فرعون دعوى باطلة، فما كان من قبل إلا الله ربا للعالمين!

6- احتد فرعون ووصف موسى بالجنون، فهو يريد أن يتهكم على مسألة الرسالة في ذاتها، فيبعد القلوب عن تصديقها بهذا التهكم، لا أنه يريد الإقرار بها والاعتراف بإمكانها.

7- وهكذا نلاحظ انتقال موسى -عليه السلام- بهم من دليل إلى دليل على وحدانية الله وقدرته، ومن حجة إلى حجة، ومن أسلوب إلى أسلوب لكيلا يترك مجالا في عقولهم للتردد في قبول دعوته.

8- واستدلال موسى -عليه السلام- بالمشرق والمغرب هو استدلال بمشهدين لا يجرؤ فرعون ولا غيره من المتجبرين أن يدعي تصريفهما، فمن يصرفهما إذن ومن ينشئهما بهذا الاطراد الذي لا يتخلف مرة ولا يبطئ عن أجله المرسوم؟

9- أيضا دعاهم موسى -عليه السلام- للاستدلال العقلي لعدة أغراض: يدعوهم إلى التدبر والتفكير ليعاودوا النظر فيدركوا وجه الاستدلال، أي إن كنتم تعملون عقولكم، وقوله هذا كناية عن كون جميع الأرض ملكا لله، وهذا استدلال عرفي إذ لم يكونوا يعرفون يومئذ ملكا يملك ما بين المشرق والمغرب، وما كان ملك فرعون المؤله عندهم إلا لبلاد مصر والسودان، ومن اللطائف جعل ذلك مقابل قول فرعون: (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) [الشعراء: 27]، لأن الجنون يقابله العقل، فقال: إن كنتم تعقلون أي إن كنتم أنتم العقلاء، أي فلا تكونوا أنتم المجانين.

10- تهديد فرعون لموسى -عليه السلام- بالسجن دليل العجز، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع.

11- قول موسى -عليه السلام- لفرعون: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 30] فيه إشارة أن التهديد لم يهزه، أو يغير موقفه، وأيضا فيه إحراج لفرعون أمام الملأ الذين استمعوا لما سبق من قول موسى -عليه السلام- ولو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته، وهو يدعي أنه مجنون.. ومن ثم وجد نفسه مضطرا أن يطلب منه الدليل: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: 31]، فهو ما يزال يشكك في موسى خيفة أن تترك حجته في نفوس القوم شيئا.

12- ظهور معجزة اليد والعصا في مقابل التهديد بالسجن إرعاب لفرعون وإظهار لضعفه أمام الملأ، وتعرية له أمامهم وكشف لحقيقته وهي أنه بشر وليس إله ولا نصف إله.

13- إظهار موسى -عليه السلام- لهاتين الخارقتين جعل فرعون يحس بضخامة المعجزة وقوتها فأسرع يقاومها ويدفعها وهو يحس ضعف موقفه، ويكاد يتملق القوم من حوله ويهيج مخاوفهم من موسى وقومه، ليغطي على وقع المعجزة المزلزلة: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٣٥﴾ **[الشعراء: 34-35]**

14- وفي قولة فرعون هذه يبدو إقراره بعظمة المعجزة وإن كان يسميها سحرا فهو يصف صاحبها بأنه ساحر «عليم». ويبدو ذعره من تأثر القوم بها فهو يغريهم به: «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ» ويبدو تضعضعه وتهاويه وتواضعه للقوم الذين يجعل نفسه لهم إلها، فيطلب أمرهم ومشورتهم: «فماذا تأمرون؟» ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون! [1]

وهكذا نجح موسى -عليه السلام- في مواجهته الأولى مع فرعون وملئه أن يقيم عليهم الحجة، ويستدل عليها، ويبطل حجتهم الباهتة، وينتقل من المواجهة

(1) ينظر تفسير ابن كثير (6/137 وما بعدها) وتفسير الظلال (5/2590 وما بعدها) وتفسير التحرير والتنوير (19/110 وما بعدها) والتفسير الوسيط لطنطاوي (10/238)

المحدودة بقصر فرعون إلى المواجهة العلنية مع السحرة أمام الناس جميعا وقت الضحى يوم عيدهم.

المطلب الثاني: مجادلة موسى -عليه السلام- مع السحرة:

لما أظهر الله معجزتي اليد والعصا على يد موسى -عليه السلام- أراد فرعون أن يظهر للملأ أن ما جاء به موسى إنما هو سحر، ونحن عندنا من السحرة الكثير ونستطيع إبطال سحرك يا موسى بسحر مثله، قال تعالى حكاية عنه: ﴿**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ۝٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨**﴾ **[طه: 57-58]** ، ونلاحظ من نبرة فرعون في الكلام أنه يتكلم وكأنه متيقن من غلبة سحرته لسحر موسى كما زعم- بل وفوضه لاختيار الزمان والمكان، وطلب منه ألا يخلف الموعد، وقبل موسى التحدي فقال: ﴿**قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى**﴾ [طه: 59] والمراد بيوم الزينة: " يوم عيدهم ونيروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: {وأن يحشر الناس} أي: جميعهم {ضحى} أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بين، ليس فيه خفاء ولا ترويج؛ ولهذا لم يقل "ليلا" ولكن نهارا ضحى "[1]

إذن اختار موسى -عليه السلام- هذا الموعد لعدة أهداف:

- يوم العيد لأنه سيضمن بذلك حضور أكبر عدد من الناس لأنه يوم إجازة، وعادة الناس الخروج يوم العيد.
- جمع الناس وقت الضحى ليكون كل شيء واضح وبيّن.
- إظهار الحق برؤية الناس جميعا لمعجزة موسى -عليه السلام-.
- خزي فرعون وملئه على رؤوس الأشهاد.
- أن يتحدث من حضروا عما رأوا بأعينهم، وهذا سيكون أكبر دعاية لدعوة موسى -عليه السلام- فيشيع أمره ذلك بين الجميع.

---

(1) تفسير ابن كثير (5/300)

وجمع فرعون أمهر السحرة، ونفهم هذا من قول الملأ من قوم فرعون ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 37] فصيغة المبالغة تدل على اختيار من له براعة في السحر وكذلك وصفه بأنه عليم يدل على خبرته الطويلة في هذا الشأن، فجمع كبار سحرته من أطراف مملكته ثُمَّ أَتى بهم في الموعد المحدد، ليتحدى موسى، وحشر الناس مجتمعين ، كما ذكر القرآن ذلك مفصلا في عدة مواضع منه ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ۝٦١ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ۝٦٢ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ۝٦٣ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ۝٦٤ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾ [طه: 70-60]

وبدأت المناظرة بتوجيه موسى تحذيرا مباشرا وقويا للسحرة قائلا: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: 61] ويلكم جئتم لإثبات باطل فرعون بالسحر، وتوافقونه في القول بأن ما جئت به سحرا، وليس معجزة أجراها الله على يدي؟

"فلا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتم على الله " (1)

(1) تفسير ابن كثير (5/301)

فإنكم بفعلكم هذا تستحقون الإهلاك من الله، فلا تخيبوا خيبة فرعون بموافقته على افترائه وطاعة أمره.

وفي هذه النصيحة قبل المناظرة عدة فوائد:

- توجيه الدعوة إلى السحرة بعدم مجاراة فرعون في باطله.
- إظهار قوة موسى -عليه السلام- وصلابته في الحق.
- أن الحق لا يعرف بالكثرة فلم يكن إلا موسى وأخاه هارون- عليهما السلام- أمام فرعون وملئه وعشرات السحرة، والآلاف من الناس.
- زعزعت هذه النصيحة الثقة في قلوب بعض السحرة وحدث نزاع بينهم هل موسى -عليه السلام- ساحر أم نبي حقا؟ وهل هو صراع على الملك والسلطة، فجاء موسى -عليه السلام- ينازع فرعون في سلطانه ويريد أن يجعل المكانة والسلطة لبني إسرائيل، ويخرجنا من أرضنا، ويغير علينا ديننا؟ قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى**﴾ **[طه: 62-64]**
- فهاتان الآيتان تشيران إلى خوف السحرة من نصيحة موسى -عليه السلام- وإلى أنهم قاموا بالتناجي بينهم سرا بحيث لا يسمعهم أحد، وتواصوا بجمع كلمتهم والاجتهاد في إحكام سحرهم، وعدم الالتفات لكلام موسى -عليه السلام- حتى لا يخسروا المواجهة، ويكون فوزهم سببا للحظوة والمكانة عند فرعون، والشهرة الواسعة بين الناس.

وابتدأت المنازلة فقال السحرة لموسى: ﴿**قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ**﴾ [طه: 65] وقولهم هذا علامة على ثقتهم بأنفسهم وشعورهم بالزهو والقوة والتحدي لموسى -عليه السلام-.

فقال لهم موسى: ﴿**قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ**﴾ [طه: 66] فجعل البدء لهم ﴿**فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ**﴾ [طه: 66] فإذا حبالهم وعصيهم التي طرحوها،

جعلت موسى -عليه السلام- لشدة اهتزازها واضطرابها- يخيل إليه من شدة سحرهم، أن هذه الحبال والعصى حيات تسعى.

" وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد، بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة، وكانوا جمّا غفيرا، وجمعا كبيرا فألقى كل منهم عصا وحبلا حتى صار الوادي ملآن حيات، يركب بعضها بعضا. "[1]

وامتلأت أرض المبارزة بالحيات لدرجة أن موسى -عليه السلام- أضمر الخوف في نفسه بمقتضى الطبيعة البشرية، أو" خاف على الناس أن يفتتنوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه " [2]

فثبته الله- تعالى- وأوحى إليه بقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ **[طه: 68-69]** ، إنه مشهد جليل مهيب يلقي موسى -عليه السلام- عصاه فإذا هي تنقلب حية حقيقية وليست سحرا لأعين الناس كما فعل السحرة، بل وهذه الحية تلقف ما صنعوا، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ موسى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: 117-119] ، فأقام الله حجته وظهر برهان صدق رسوله، ثم كانت بعد ذلك المفاجأة العظيمة، فقد آمن السحرة وسجدوا لله رب العالمين حين رأوا بأعينهم برهان صدق موسى -عليه السلام-، وهم أعرف الحاضرين بأن ما أتوا به هو سحر لأعين الناس، وأن ما جاؤوا به باطل وأن ما جاء به موسى هو الحق، قال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ موسى وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: 120-122] " سبحان الله ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما

---

(1) تفسير ابن كثير (5/302)

(2) المرجع السابق (5/302)

أعظم الفرق بين الإلقاءين! "[1]

وقد جعل الله تعالى ما حدث برهانا واضحا لكل ذي عينين دالا على صدق نبيه موسى -عليه السلام- ، وعلوه بالمعجزة التي أجراها على يديه، وخذلان فرعون وخيبته يومئذ بإيمان السحرة الذين جاء بهم فرعون لإبطال معجزة موسى -عليه السلام- ، فانقلب الأمر عليه، وآمن السحرة أجمعين فتوعدهم قائلا: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: 71] فلم يردهم ذلك أبدا عن يقينهم وإيمانهم بالله ورسوله فقالوا: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٧٢ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝٧٣ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝٧٤ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ۝٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۝٧٦﴾ [طه: 72-76] سبحان الله! " كانوا أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة"[2]

وهكذا انتهت المناظرة بخسارة فرعون وخذلانه، وسقوط هيبته أمام جموع الناس، بل وإيمان السحرة الذين استعان بهم على موسى -عليه السلام- -عليه السلام-، وظهور أمر موسى -عليه السلام- وصدقه، وإيذان برفع الظلم عن قومه.

---

(1) تفسير الكشاف للزمخشري (3/75)

(2) تفسير ابن كثير (5/303)

المطلب الثالث: مجادلة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل:

1- طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم أصناما آلهة:

لما أهلك الله فرعون وجنوده بقدرته، وأنجى موسى - عليه السلام- وبني إسرائيل برحمته، أتى بنو إسرائيل على قوم يعبدون أصناما لهم، فطلبوا من نبيهم أن يجعل لهم إلها كآلهتهم!!قال تعالى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴿١٣٨﴾**﴾ **[الأعراف: 138]** ، لقد أراهم الله آية عظيمة، وأنعم عليهم بالنجاة، وأراهم غرق فرعون وجنوده، وكان المتوقع منهم استنكار أن يكون هناك من يعبد إلها غير الله، ويحمدوا الله ويعظموه ويوحدوه، والعجب أنهم يطلبون من نبيهم هذا الطلب، أن يصنع لهم هو بنفسه هذا الصنم.

"وهذا يدل على أن بني إسرائيل قد انخلعوا في مدة إقامتهم بمصر عن عقيدة التوحيد وحنيفية إبراهيم ويعقوب التي وصى بها في قوله: (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [البقرة: 132] لأنهم لما كانوا في حال ذل واستعباد ذهب علمهم وتاريخ مجدهم واندمجوا في ديانة الغالبين لهم فلم تبق لهم ميزة تميزهم إلا أنهم خدمة وعبيد."[1]

فغضب موسى - عليه السلام- من كلامهم غضبا شديدا، ووصفهم بأنهم قوم يجهلون لا يفرقون بين التوحيد والشرك، أو بين الحق والضلال: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴿١٤١﴾**﴾ **[الأعراف: 138-141]**، وبين لهم فساد ما عليه هؤلاء القوم الذين يريدون تقليدهم بأن ما هم عليه باطل وتالف، ولن تعود عبادته عليهم بنفع أو ضر، ثم ذكرهم بما أنعم الله عليهم من نعم جزيلة، يجب عليهم شكرها، وهي أنه أنعم عليهم بأن فضلهم على العالمين في

(1) تفسير التحرير والتنوير (9/81)

زمانهم فهو وحده -تبارك وتعالى- المستحق للعبادة، قال: (أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين) ثم ذكرهم بنعمة إنجائهم من فرعون وجنوده الذين استعبدوهم واستذلوهم، وعاملوهم أسوأ معاملة، وكان من البلاء العظيم أنهم كانوا يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم ليكنّ في خدمتهم ورهن إشارتهم، وهذا من أعظم الذل والمهانة، فالذكور تقتل والبنات تعد ليكن خادمات.

فتضمن رد موسى -عليه السلام- عدة أمور:

- التهكم على ما قالوا، واثبات جهلهم بربهم.
- التأكيد على فساد ما طلبوه وأنه باطل لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة.
- الغضب الشديد والاستنكار.
- الله وحده هو المستحق للعبادة.
- التذكير بنعم الله العظيمة عليهم يقصد منه التوبيخ لمقابلتهم الإحسان من الله بالجحود وطلب عبادة غيره.

2- عدم صبرهم على أكل المن والسلوى:

لما أقام بنو إسرائيل في سيناء بعد نجاتهم من فرعون وجنوده أنعم الله عليهم، بنعم كثيرة فظلل عليهم الغمام وأنزل المن والسلوى، وتفجرت لهم اثنتا عشرة عينا، فبدر منهم طلبا غريبا من نبيهم وكأنهم ملوا من النعمة، واشتاقوا لعيشهم الخشن قبل ذلك بمصر وقد كانوا يأكلون البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾ [البقرة: 61] ، والتعبير بقولهم: (لن نصبر) يوحي بكراهة النعمة التي أنعم الله بها عليهم إذ عبروا عن تناولها بالصبر- والصبر هو حمل النفس على الأمر المكروه، فهو تعبير يشعر بشدة ضجرهم، وبلوغ الكراهية لهذا الطعام منهم منتهاها؛ مع ما في صيغة طلبهم من الجفاء وقلة الأدب مع الرسول ومع المنعم إذ قالوا: لن نصبر فعبروا عن تناول المن والسلوى بالصبر المستلزم الكراهية وأتوا بما دل عليه (لن) فإن (لن) تدل على استغراق النفي لأزمنة فعل نصبر من أولها إلى آخرها وهو معنى التأبيد، وقولهم: فادع لنا ربك ولم يقولوا

ربنا، لعدم رسوخ الإيمان في قلوبهم، ولأنه سبحانه- قد اختصه بما لم يعط مثله من مناجاته وتكليمه وإيتائه التوراة.[1]

فوبخهم موسى -عليه السلام- بقوله: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ [البقرة: 61] أي: "أتختارون الذي هو أقل فائدة وأدنى لذة، وتتركون المن والسلوى وهو خير مما تطلبون لذة وفائدة؟ انزلوا إلى مصر من الأمصار فإنكم تجدون به ما طلبتموه من البقول وأشباهها."[2]

والجملة الكريمة: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير من مقول موسى -عليه السلام- لهم، وفيها توبيخ شديد لهم على سوء اختيارهم، وضعف عقولهم، لإيثارهم الأدنى وهو البقل وما عطف عليه، على ما هو خير منه وهو المن والسلوى، ثم أضاف موسى -عليه السلام- إلى توبيخهم السابق على بطرهم وجحودهم توبيخا آخر فقال لهم: اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم أي إذا كان هذا هو مرغوبكم، فاتركوا هذا المكان، وانزلوا إلى مصر من الأمصار، لكي تجدوا ما سألتموني إياه من البقل والثوم وأشباههما، لأن ما اخترتموه لا يوجد في المكان الذي حللتم به، وإنما يوجد في الأمصار والقرى.

فالأمر في قوله: اهبطوا للإباحة المشوبة بالتوبيخ أي إن كان هذا همكم فاهبطوا بقرينة قوله: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير فالمعنى اهبطوا مصرا من الأمصار يعني وفيه إعراض عن طلبهم إذ ليس حولهم يومئذ بلد قريب يستطيعون وصوله.[3]

فتضمن رد موسى -عليه السلام- على قومه عدة أمور:

- التوبيخ الشديد على سوء اختيارهم وضعف عقولهم.
- أن الإنسان يسعد إذا ارتقى لما هو أعلى وليس إلى ما هو أدنى.
- أن مقابلة النعمة بالجحود والنكران سببا للحرمان.

---

(1) ينظر التحرير والتنوير (1/521) والتفسير الوسيط لطنطاوي (1/148)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (1/147 وما بعدها)

(3) المرجع السابق (1/149)

- أن بعض الأنفس لا ترضى إلا بالدون من العيش.

3- الأمر بدخول الأرض المقدسة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝٢٠ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝٢١﴾ [المائدة: 20-21]

تعرض لنا هذه الآيات مشهدا من مشاهد المجادلة بين موسى -عليه السلام- وبني إسرائيل، لما أمرهم بدخول الأرض المقدسة " بيت المقدس " وبدأ الحديث معهم بتذكيرهم بنعم الله عليهم، وهذا تلطف معهم في الخطاب، وفتح للقلوب لشكر النعمة ولاستقبال التكليف الإلهي لهم بدخول الأرض المقدسة، فقال: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) أن تدخلوها ووعدكم إياها.

وقوله: (كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) فيه فائدة عظيمة:

"وهي أن القوم كانوا جبارين إلا أن الله- تعالى- لما وعد هؤلاء الضعفاء بأن تلك الأرض لهم، فإن كانوا مؤمنين مقرين بصدق موسى -عليه السلام- علموا قطعا أن الله ينصرهم عليهم ويسلطهم عليهم فلا بد وأن يقدموا على قتالهم من غير جبن ولا خوف ولا هلع، فهذه هي الفائدة من هذه الكلمة."[1]

ثم قال: (ولا ترتدوا على أدباركم) بعدم الاستجابة لأمر الله فتنصرفوا خائبين، ولكن القوم جادلوا نبيهم كعادتهم وقالوا له في جبن وخور: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: 22] أي: "قال بنو إسرائيل لنبيهم موسى -عليه السلام- إن الأرض التي وعدتنا بدخولها فيها قوم متغلبون على من يقاتلهم، ولا قدرة لنا على لقائهم وإنا لن ندخل هذه الأرض المقدسة التي أمرتنا بدخولها مادام هؤلاء

(1) تفسير مفاتيح الغيب (11/332 وما بعدها)

الجبارون فيها، فإن يخرجوا منها لأي سبب من الأسباب التي لا شأن لنا بها، فنحن على استعداد لدخولها في راحة ويسر، وبلا أدنى تعب أو جهد."[1]

وطريقة كلامهم مع نبيهم تخبر عن قوم استولى عليهم الجبن والضعف، إنهم يريدون أن ينالوا النصر بالخوارق والمعجزات كما حدث لهم عندما عبروا البحر وكان فرعون وجنوده وراءهم، يريدون نصرا مريحا لا تعب فيه ولا قتال، وقولهم: (لن ندخلها) إصرار على عدم القتال والمواجهة، وأن دخولهم للأرض المقدسة مرهون بخروج الجبارين منها، وخروج الجبارين بدون قتال أمر مستبعد، لكن هكذا قال القوم لنبيهم في سلبية متناهية.

وهنا ألهم الله رجلين مؤمنين استنكرا هذه السلبية والإعراض من قومهما فقالا لهم يستحثونهم على طاعة نبيهم: ﴿**قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ **[المائدة: 23]**، وقد وصف الله- تعالى- هذين الرجلين بوصفين:

الأول أنهما من الذين يخافون الله وحده ولا يخافون ما سواه

والثاني: أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بالإيمان والثقة بوعد الله.

"هنا تبرز قيمة الإيمان بالله، والخوف منه.. فهذان رجلان من الذين يخافون الله، ينشئ لهما الخوف من الله استهانة بالجبارين! ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم! وهذان هما يشهدان بقولتهما هذه بقيمة الإيمان في ساعة الشدة وقيمة الخوف من الله في مواطن الخوف من الناس، فالله سبحانه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين: مخافته- جل جلاله- ومخافة الناس.. والذي يخاف الله لا يخاف أحداً بعده ولا يخاف شيئاً سواه."[2]

إذن فقد طلبوا من القوم أمرين:

الأول: الأخذ بالأسباب (ادخلوا عليهم الباب)

الثاني: تعلق القلوب بالله (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فهو وحده الذي بيده النصر، وقد وعدكم الله بذلك على لسان نبيه.

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (4/107)

(2) تفسير الظلال (2/870)

فبماذا أجاب القوم الذين أقعدهم الجبن وأصم أسماعهم؟

لقد قالوا في جرأة وسوء أدب مع نبيهم معلنين الإصرار على العصيان والمخالفة: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: 24]، فجمع القوم في ردهم على نبيهم بين الجبن وسوء الأدب مع الله -عز وجل-، ورسوله موسى -عليه السلام-

"والجبن والتوقح ليسا متناقضين ولا متباعدين، بل إنهما لصنوان في كثير من الأحيان. يدفع الجبان إلى الواجب فيجبن، فيحرج بأنه ناكل عن الواجب، فيسب هذا الواجب ويتوقح على دعوته التي تكلفه ما لا يريد! (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا. إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ)، هكذا في وقاحة العاجز، الذي لا تكلفه وقاحة اللسان إلا مد اللسان! أما النهوض بالواجب فيكلفه وخز السنان! (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ)! فليس بربهم إذا كانت ربوبيته ستكلفهم القتال! (إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ).. لا نريد ملكاً، ولا نريد عزاً، ولا نريد أرض الميعاد.. ودونها لقاء الجبارين!" [1]

بل "وأكدوا امتناعهم عن دخول هذه الأرض في هذه المرة بثلاثة مؤكدات، هي: إن، ولن، وكلمة أبدا، أي: لن ندخلها بأي حال من الأحوال مادام الجبارون على قيد الحياة ويسكنون فيها."[2]

وهنا توجه موسى -عليه السلام- بالشكوى إلى ربه بعد أن رأى ما رأى من عناد القوم وجبنهم وعدم ثقتهم في موعود الله بأنه سبحانه وتعالى قد كتب لهم النصر والظفر على هؤلاء الجبارين، فشكا لربه قائلا: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ [المائدة: 25]

لكن لماذا ذكر موسى في دعائه أخاه هارون فقط؟ ولم يذكر الرجلين؟

والجواب على ذلك أن موسى -عليه السلام-" لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما، لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره.

---

(1) المرجع السابق (2/870)

(2) المرجع السابق (4/110)

ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عند ما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه. ويجوز أن يريد: ومن يؤاخينى على ديني فَافْرُقْ فافصل بَيْنَنا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق، وتحكم عليهم بما يستحقون، وهو في معنى الدعاء عليهم."[1]

وقد استجاب الله- تبارك وتعالى- دعاءه فيهم، فقال: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 26]، لقد حرمها الله على هؤلاء الجبناء العصاة مدة أربعين سنة، يسيرون خلالها في الصحراء تائهين حيارى.

لماذا هذه العقوبة بالتحديد؟

لقد عاقبهم الله بأن حرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض "والأرجح أنه حرمها على هذا الجيل منهم حتى تنبت نابتة جديدة وحتى ينشأ جيل غير هذا الجيل. جيل يعتبر بالدرس، وينشأ في خشونة الصحراء وحريتها صلب العود.. جيل غير هذا الجيل الذي أفسده الذل والاستعباد والطغيان في مصر، فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل! والذل والاستعباد والطغيان يفسد فطرة الأفراد كما يفسد فطرة الشعوب."[2]

فحكمة ذلك التيه أربعين سنة مقصودة، وهي فناء الجيل الذين كانوا بمصر وعاشوا في قبضة فرعون وجنوده وذاقوا الذل والقهر وفسدت فطرتهم، فينشأ جيل آخر يتربى على يد رسولين كريمين من رسل الله موسى وهارون- عليهما السلام- وينمو على العزة وينعم بالحرية، فلا يجبن إذا دعاه داعي الجهاد في سبيل الله.

ونلاحظ في هذه المجادلة بين موسى -عليه السلام- وبني إسرائيل عدة أمور:

1- أسلوب موسى -عليه السلام- في الدعوة إلى الله- تعالى- مع قومه أسلوب حكيم يتعلم منه الدعاة إلى الله، فقد بدأ بتذكير بنى إسرائيل بنعم الله عليهم، ليفتح قلوبهم لسماعه، ويستحثهم على شكر نعم الله تعالى التي أسبغها عليهم بالاستجابة لأمره.

---

(1) تفسير الزمخشري (1/622)

(2) تفسير الظلال (2/871)

2- بيان الكثير من صفات بني إسرائيل السيئة فهم لا يستجيبون لأمر الله مباشرة، بل لا بد من الجدال والعناد والعصيان، وهذه طبيعة فيهم برزت في أكثر من موطن.

3- ضعف إيمانهم بالله ورسوله وتثاقلهم الشديد لتلقي أي تكاليف إلهية لهم، بل ولا يجدون غضاضة في إعلان العصيان والاشتراط على الله ورسوله.

4- ويبرز بعد تلك المجادلة شؤم المعصية وأنها سبب الخسران والعقوبة من الله كما عاقب بنو إسرائيل بالتيه أربعين سنة.

5- أن الموقف الأمثل للمجادل بالحق حينما يرى عناد ومكابرة من يجادله أن يتوقف عن المجادلة لأنها لن تجدي نفعا، كما فعل موسى -عليه السلام- عندما توقف عن مجادلة قومه.

6- في القصة درس للدعاة إلى الله في سعة الصدر والحلم واللجوء إلى الله إذا أعيته الحيلة.

المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل:

ترك موسى -عليه السلام- قومه وراءه مستخلفا عليهم أخاه هارون، وذهب لمناجاة ربه فأخبره- سبحانه- بما أحدثه قومه في غيبته عنهم وهو عبادتهم العجل من دون الله، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾ **[طه: 83-85]** فرجع موسى -عليه السلام- إلى قومه- بعد مناجاته لربه وقد اشتد غضبه وحزنه من موقف قومه العجيب وسقوطهم في أول اختبار لهم، فخاطبهم قائلا: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**﴾ **[طه: 86]**

بدأ موسى -عليه السلام- كلامه باستفهام يقصد منه الاستنكار والتوبيخ: ﴿**قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا**﴾، أي: "ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى؟ ويعدكم جانب الطور الأيمن، وينزل

عليكم المن والسلوى، فذلك وعد الله الحسن بني إسرائيل الذي قال لهم موسى -عليه السلام-: ألم يعدكموه ربكم" [1]

وقد قدم بهذه المقدمة بين يدي الكلام لأن هذه الوعود التي وعدهم الله إياها قد تحققت ورأوها بأعينهم وليست شيئا بعيدا لم يتحقق، ثم زاد في توبيخه وزجره لهم قائلا: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: 86]، والمعنى: "أفطال عليكم الزمان الذي فارقتكم فيه؟ لا إنه لم يطل حتى تنسوا ما أمرتكم به، بل إنكم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم، فأخلفتم موعدي الذي وعدتموني إياه وهو أن تثبتوا على إخلاص العبادة لله- تعالى- ومعنى إرادتهم حلول الغضب عليهم، أنهم فعلوا ما يستوجب ذلك وهو طاعتهم للسامري في عبادتهم للعجل."[2]

فماذا كان رد بني إسرائيل على نبيهم؟

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ **[طه: 87-88]**، لقد اعتذر القوم عن عبادتهم العجل مبررين فعلتهم بأنهم ما أخلفوا موعدهم بقدرتهم واختيارهم وإنما كان عندهم سببين:

الأول: "تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم، حين خرجوا من مصر، {فقذفناها} أي: ألقيناها عنا."[3]

الثاني: وهذه الحلي قَذَفْناها في النار بتوجيه من السامري، فكما ألقينا ما معنا أَلْقَى السَّامِرِيُّ ما معه من تلك الزينة.

"وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط، فألقوها عنهم، وعبدوا العجل. فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير"[4]

---

(1) تفسير ابن جرير الطبري (16/132)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (9/138)

(3) تفسير ابن كثير (5/310)

(4) المرجع السابق (5/311)

قام السامري بعمل عجل لهم من سبائك الذهب الذي ألقوه، وجعل فيه منافذ إذا دخلت فيها الريح أخرجت منه صوتا كصوت خوار البقر، فقال بنو إسرائيل عند ما رأوا العجل الذي صنعه لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه، لأن موسى نسى إلهه هنا، وذهب ليبحث عنه في مكان آخر أو أن السامري هو الذي قال لهم ذلك فكرروا قوله، والضمير في قوله فَنَسِيَ يعود لموسى -عليه السلام-.[1]

وقولهم هذا يدل على ضعف عقولهم، وضعف إيمانهم، لدرجة أنهم من فرط سذاجتهم لم يكتفوا بعبادة العجل، بل زعموا أو صدقوا زعم السامري أن نبيهم الداعي لهم إلى توحيد الله، قد كان يعبد العجل وأنه قد نسى مكانه فذهب يبحث عنه، ومن هنا جاء التعقيب من الله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: 89]، أعميت بصائرهم فلا يدركون أن هذا العجل الذي اتخذوه إلها، إذا دعوه فلن يجيبهم، وإذا سألوه فلن يعطيهم لأنه جماد لا يملك لهم ضرا ولا نفعا؟

"والمقصود أنه حتى لم يكن عجلا حيا يسمع قولهم ويستجيب له على عادة العجول البقرية! فهو في درجة أقل من درجة الحيوانية، وهو بطبيعة الحال لا يملك لهم ضرا ولا نفعا في أبسط صورة، فهو لا ينطح، ولا يرفس ولا يدير طاحونة ولا ساقية!"[2]

المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون:

كان هارون – عليه السلام- مشفقا على قومه من وقوعهم في الفتنة، وعبادتهم عجلا من دون الرَّحْمن -جل جلاله- فهو المستحق للعبادة، ولكن هذه النصيحة لم تجد أذنا صاغية، بل قابلوها بالتشكيك فيما قال، إذ لو كانوا قد صدقوا هارون فيما نصحهم به لأقلعوا عما هم فيه من شرك، ثم إنهم أخبروه أنهم سيظلون هكذا مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إليهم موسى-عليه السلام-، قال- تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (16/139 وما بعدها)

(2) تفسير الظلال (4/2348)

﴿رَبُّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۝٩٠ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ [طه: 90-91]

وبعد أن تكلم موسى -عليه السلام- مع قومه ووبخهم واستنكر ما فعلوا توجه باللوم والعتاب لأخيه هارون وقد بلغ الغضب منه مبلغا فقد جر أخاه من رأسه ولحيته قائلا: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: 92-93] فسأله ما الذي حال دون منعك إياهم من الوقوع في الشرك بعبادة العجل؟ أفعصيت أمري لما قلت لك: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] ففسر موسى -عليه السلام- ما حدث على أنه تهاون من أخيه هارون وكان الأجدر به اتخاذ موقف فيه حزم وشدة.

وهنا يرد هارون على أخيه موسى بهدوء تام واستعطاف ليهدئ من غضبه، ويسمع لوجهة نظره في عدم أخذ الأمور بالشدة والحزم فقال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: 94] يا ابن أمي لا تمسك بلحيتي ولا برأسي على سبيل التأنيب لي، فإني لست عاصيا لأمرك، ولا معرضا عن اتباعك.

وقد " خص الأم بالإضافة استعطافا وترقيقا لقلبه، لا لما قيل من أنه كان أخاه لأمه، فإن الجمهور على أنهما كانا شقيقين."[1]

فراعى هارون غضبة أخيه للحق وتفهم أنه شدته هذه هي لله، فخاطبه بما فيه تهدئة له، والتمس أن يسمعه وأن يعرف عذره.

"وهكذا نجد هارون أهدأ أعصابا وأملك لانفعاله من موسى، فهو يلمس في مشاعره نقطة حساسة، ويجيء له من ناحية الرحم وهي أشد حساسية، ويعرض له وجهة نظره في صورة الطاعة لأمره حسب تقديره وأنه خشي إن هو عالج الأمر بالعنف أن يتفرق بنو إسرائيل شيعا، بعضها مع العجل، وبعضها

(1) تفسير الألوسي (8/ 561)

مع نصيحة هارون، وقد أمره بأن يحافظ على بني إسرائيل ولا يحدث فيهم أمرا، فهي كذلك طاعة الأمر من ناحية أخرى."[1]

المطلب السادس: مجادلة موسى -عليه السلام- للسامري:

وبعد انتهاء موسى من سماع أخيه هارون، اتجه إلى السامري، ورغم أنه رأس الفتنة ومدبرها، إلا أن موسى " لم يتوجه إليه منذ البدء، لأن القوم هم المسئولون ألا يتبعوا كل ناعق، وهارون هو المسؤول أن يحول بينهم وبين اتباعه إذا هموا بذلك وهو قائدهم المؤتمن عليهم. فأما السامري فذنبه يجيء متأخرا لأنه لم يفتنهم بالقوة، ولم يضرب على عقولهم، إنما أغواهم فغووا، وكانوا يملكون أن يثبتوا على هدى نبيهم الأول ونصح نبيهم الثاني، فالتبعة عليهم أولا وعلى راعيهم بعد ذلك، ثم على صاحب الفتنة والغواية أخيرا."[2]

وقد ذكر الحق- سبحانه- ذلك في قوله : ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۝٩٦ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۝٩٧ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝٩٨**﴾ [طه: 95-98]

من هو الرسول الذي قصده السامري؟

كان رد السامري أنه قال: ﴿**قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى**﴾ [طه: 96] ، فمن هو الرسول الذي قصده السامري؟ لأنه بناء على الإجابة سيكون فهمنا لمعنى رده على موسى -عليه السلام-

هناك قولان للمفسرين:

الأول: أن الرسول هو موسى -عليه السلام-:

---

(1) تفسير الظلال (4/2348)

(2) المرجع السابق (4/2348)

ويكون المراد بأثره: سنته ورسمه الذي أمر به، فيكون المعنى على لسان السامري: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول أي شيئا من سنتك ودينك فقذفته أي طرحته، فعند ذلك أعلمه موسى -عليه السلام- بما له من العذاب في الدنيا والآخرة.

وأدلة هذا القول كما يلي:

1- : أن جبريل -عليه السلام- ليس بمشهور باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تجعل لام التعريف إشارة إليه.

2- الرسول هو المبلِّغ لشرع الله المباشر للمبلّغ، أما جبريل فهو رسول للرسول، ولم يَرَه أحد فأُطلِقت الرسول على حامل المنهج إلى المتكلّم به. (يقصد موسى - عليه السلام-)

3- أنه لا بد فيه من الإضمار وهو قبضة من أثر حافر فرس الرسول والإضمار خلاف الأصل.

4- أنه لا بد من التعسف في بيان أن السامري كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل -عليه السلام -ومعرفته ثم كيف عرف أن لتراب حافر فرسه هذا الأثر والذي ذكروه من أن جبريل -عليه السلام- هو الذي رباه فبعيد. (1)

القول الثاني: أن الرسول هو جبريل:

ويكون المراد بأثره: التراب الذي أخذه من موضع حافر فرسه، لأن السامري رأى جبريل، فألقي في روعه أنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء، فقلت له: كن فكان عجلا له خوار.

وأدلة هذا القول كما يلي:

1- عهد في القرآن الكريم إطلاق الرسول على جبريل، كما في قوله- تعالى- : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير: 19] وعدم جريان ذكره فيما تقدم لا يمنع أن يكون معهودا، ويجوز أن يكون إطلاق الرسول عليه كان شائعا في بنى إسرائيل، لا سيما إن قلنا بصحة ما روي أنه عليه السلام كان يغذي من يلقى من أطفالهم في الغار في زمان قتل فرعون لهم.

---

(1) ينظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي (22/96) وتفسير الشعراوي (15/9368)

2- تقدير المضاف في الكلام أكثر من أن يحصى، وقد عهد ذلك في كتاب الله غير مرة.
3- رؤية السامري دون غيره لجبريل، كان ابتلاء من الله- تعالى- ليقضى الله أمرا كان مفعولا، ومعرفته تأثير ذلك الأثر دون غيره كانت بسبب ما ألقى في روعه من أنه لا يلقيه على شيء فيقول له كن كذا إلا كان، ويحتمل أن يكون سمع ذلك من موسى -عليه السلام-. (1)

الراجح: يرى الباحث قوة أدلة الرأي الأول لأن مبنى ما استدل به أصحاب الرأي الثاني مبني على الإسرائيليات وليس فيها سند صحيح إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم.

عقوبة السامري:

هنا أصدر موسى -عليه السلام- الحكم على السامري الضال المضل بعد أن اعترف بجريمته النكراء وإغرائه لبني إسرائيل بالوقوع في الشرك، فقال -عليه السلام-: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ [طه: 97] لقد كانت العقوبة هي الحكم عليه بالنفي فيكون منبوذا، لبعده عن الناس وبعد الناس عنه. (2)

" والسر في عقوبته على جنايته بما ذكر أنه ضد ما قصده من إظهار ذلك ليجتمع عليه الناس ويعززوه، فكان ما فعله سببا لبعدهم عنه وتحقيره، وقيل: عوقب بذلك ليكون الجزاء من جنس العمل، حيث نبذ فنبذ، فإن ذلك التحامي أشبه شيء بالنبذ. (3)

ثم بين- سبحانه- عقوبة السامري في الآخرة، بعد بيان عقوبته في الدنيا فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ﴾ [طه: 97] وإن لك موعدا في الآخرة لن يخلفك

---

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (16/149 وما بعدها) وتفسير القرطبي (11/239)، وتفسير ابن كثير (5/313) وتفسير الألوسي روح المعاني (8/564)

(2) تفسير القرطبي (11/241)

(3) ينظر تفسير الألوسي (8/566)

الله- تعالى- إياه. بل سينجزه لك، فيعاقبك يومئذ العقاب الأليم الذي تستحقه بسبب ضلالك وإضلالك، كما عاقبك في الدنيا بعقوبة الطرد والنفور من الناس.

ثم حرق موسى -عليه السلام- العجل أمام أعينهم، ثم ذراه في البحر فلم يبق له أثر لتنتهي فتنة عبادة العجل في بني إسرائيل.

ويتوجه موسى إلى بني إسرائيل بخطاب واضح يختتم به هذا المشهد قائلا: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98]

ونلاحظ في هذه المجادلة عدة أمور:

1- أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا إذا أطلعهم الله -عز وجل.

2- توبيخ موسى -عليه السلام- الشديد لقومه وإنكاره عليهم ما وقع منهم.

3- ألزمهم الحجة التي لا مفر منها ألا وهي أنكم بعبادتكم العجل عرضتم أنفسكم لحلول غضب الله عليكم.

4- كان عذر بني إسرائيل غريبا مرفوضا من أي عاقل؛ فهم أرادوا أن يتخلصوا من الحلي التي أخذوها من القبط عند خروجهم من مصر، فأعطوها للسامري ليصنع بها عجلا يعبدونه من دون الله، فورعهم باهت وباطل، وموافقتهم للسامري لصنع عجل وعبادته باطل، والعجيب أنهم قالوا لموسى -عليه السلام- أنهم أجبروا على فعل ذلك فلا قدرة لهم ولا اختيار فيما فعلوه، ورائحة الكذب تفوح من كلامهم فلم يكن هناك مكره لهم، ولم يكن السامري إلا شيطان زين لهم الشرك بالله.

5- أيضا يتبين من المجادلة ضعف عقولهم وإيمانهم لدرجة أنهم من فرط سذاجتهم لم يكتفوا بعبادة العجل، بل صدقوا زعم السامري أن نبيهم كان يعبد العجل وأنه قد نسى مكانه فذهب يبحث عنه.

6- أن هارون رأى أن حسم الأمر لن يكون إلا بمواجهة حتمية مع قومه وستؤدي إلى الاقتتال والتنازع بين بني إسرائيل، فرأى أن يكتفي بالنصيحة والإقناع أن هذا العجل ليس هو الإله كما زعم لهم السامري.

7- أن عبدة العجل لما دعاهم هارون لم تكن عقولهم تصغي أبدا لصوت الحكمة والرجوع للحق، وهو التوحيد، بل هموا بقتله ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ

﴿ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 150] ، وفي هذا درس للدعاة إلى الله بأن يوازنوا بين المصالح والمفاسد في دعوتهم بفعل أهون الشرين وأخف الضررين.

8- كان هارون على يقين أن شدة أخيه موسى عليه هي غضبة لله ولذلك استعطفه مسترحما بقوله له ﴿ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾ [الأعراف: 150]، ولما تبين لموسى -عليه السلام- الحق في كلام أخيه دعا له قائلا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151] وهذا درس للدعاة إلى الله بالتأني والتبين وعدم العجلة في الأمور.

9- أن السامري كان شيطانا من شياطين الإنس هيأ وزين وجمل لبني إسرائيل وصنع لهم العجل وكذب قائلا: هذا هو إلهكم وإله موسى وانطلت دعوته على السذج من بني إسرائيل وصدقوه، وعبدوا العجل معه من دون الله.

10- حكم على السامري بالنفي والوحدة والتوعد بالعذاب الأليم في الآخرة بيان أن للعفو موضعه وللعقوبة موضعها وأن استعمال الشدة في مكانها وسياقها الصحيح هو من الحكمة في الدعوة إلى الله.

11- حرق العجل وتذريته في البحر برهان عملي لبني إسرائيل على أنه لو كان هذا إلها كما زعمتم لدافع عن نفسه فثبت لكم بالدليل العملي أنه ليس إله، وفيه تسفيه وإغاظة للسامري وهو يرى احتراق العجل ونهايته أمام عينه لتزداد حسرته وألمه.

11- ختام المشهد بعد حرق العجل ونفي السامري رأس الفتنة بتقرير التوحيد لله الذي لا إله غيره ولا رب سواه فقال موسى -عليه السلام- ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [طه: 98]

****

المبحث الثالث/ الحوار

الحوار من أساليب المنهج العقلي وقد تعددت صور الحوار في قصة موسى -عليه السلام- على النحو التالي:

أولا/ حوار موسى مع رب العزة.

ثانيا/ حواره مع فرعون.

ثالثا/ حواره مع السحرة.

رابعا/ حواره مع قومه.

وقد تناول الباحث فيما سبق ما جرى من حوار ومجادلة بين موسى -عليه السلام- وفرعون، وسحرة فرعون، ثم ما جرى بينه وبين قومه، بقي الحوار الذي كان بينه وبين رب العالمين جل جلاله.

حوار موسى مع رب العزة

موسى -عليه السلام- كليم الله ونبي بني إسرائيل شرفه الله بتكليمه وكانت المرة الأول عندما كلفه بالرسالة بالوادي المقدس طوى، والمرة الثانية عندما واعده بالمناجاة.

إذن حوار موسى مع رب العالمين فيه مطلبان:

المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس.

المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور.

المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس:

بعدما قضى موسى -عليه السلام- الأجل الذي كان بينه وبين صهره الرجل الصالح في رعاية الغنم سار بأهله قاصدا مصر بعد فراره منها منذ عشر سنين، فضلّ الطريق وكانت ليلة باردة مظلمة فآنس نارا، فقال لأهله امكثوا لقد وجدت نارا، فلما أتاها كان التشريف والتكليف من الله بالرسالة، قال تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝٩ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ [طه: 9-10]

وذهب موسى -عليه السلام- إلى النار فلما اقترب منها نُودِيَ من قبل الله- عز وجل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۝١٣﴾ [طه: 11-13]، هذا الحوار بين رب العزة ذي الجلال وموسى -عليه السلام- يفيض جلالا ويرتجف القلب وهو يتصور هذه اللحظة التي وقع فيها النداء على قلب موسى (**إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى**) إنه التكليف والتشريف العظيم لموسى فيا للتكريم ويا للعظمة أن يخبره الله تعالى (**وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ**)، اصطفاه الله وشرفه لحمل رسالته وتبليغ منهجه وتوضيح مراده من الخلق، فاستمع لما يوحى إليك سماع من ينفذ الأمر ويقوم به، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ۝١٦﴾ [طه: 14-16]

ونلاحظ من خلال هذا الحوار أنه تشريف وتكليف وتحذير:

أما التشريف فهو اختيار الله له رسولا لبني إسرائيل.

وأما التكليف فهو تكليف بثلاثة أمور:

1- الاعتقاد بوحدانية الله -عز وجل-.

2- قصده وحده بالعبادة وخص الصلاة بالذكر لشرفها.

3- والإيمان بوقوع الساعة، لتجزى كل نفس بسعيها وعملها في الدنيا.

وأما التحذير فقد حذره ممن يكذبون بها ويشككون في وقوعها اتباعا لأهوائهم فتهلك، إن أنت أطعتهم.

ثم قال تعالى لموسى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 17]، والله- تعالى- عالم بما في يمين موسى، فالمقصود من السؤال الإيناس والتقرير لأن موسى سيرى العصا التي بيمينه تنقلب حية تسعى.

فأجاب موسى بقوله- كما حكى القرآن عنه: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: 18] ، وواضح من الجواب أن موسى -عليه السلام- قد زالت عنه الوحشة وبدأ يشعر بالإيناس وكان يكفيه أن يقول: هذه عصاي لكنه أضاف إلى ذلك (أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي) فذكر مهمة العصا، وكأنه أراد أن يطيل الحديث مع رب العالمين فقال: (ولي فيها مآرب أخرى) ليسأله الله عز وجل وماهي هذه المآرب، لكن السؤال كان تمهيدا للآية التي سيراها، والتي لم تكن لتخطر بباله ولذلك قال له الله مباشرة :

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۝٢١ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۝٢٣﴾ [طه: 19-23]

لقد ألقى موسى -عليه السلام- العصا فانقلبت حية، وغلبته فطرته البشرية فولى مدبرا كما ذكر الله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: 10] ولكن الله- تعالى- ثبت فؤاده، وطمأنه قائلا:

﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 10]، وأمره أن يمسك الحية وأن الله سبحانه سيعيدها إلى هيئتها الأولى إلى عصا كما كانت من قبل.

ثم أراد الله- سبحانه- أن يري عبده موسى آية أخرى فقال: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه: 22-23] أي: اجعل يا موسى يدك تحت إبطك ثم أخرجها فإنها تخرج بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أو مرض، وقد أراك الله هاتين الآيتين: معجزة العصا ومعجزة اليد، لنريك من آياتنا الكبرى، الدالة على قدرتنا.

ثم يبين الله لموسى -عليه السلام- التكليف الإلهي له بالذهاب إلى فرعون فقال: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 24] اذهب إلى فرعون فقد تجاوز الحد

في العصيان، وزعم للناس أنه ربهم الأعلى، فادعه إلى عبادتي، ومره فليحسن إلى بنى إسرائيل ولا يعذبهم.

وهنا التمس موسى -عليه السلام- العون من خالقه، لكي يتسنى له أداء ما كلفه به فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨﴾ [طه: 25-28]، وبعد أن سأل الله لنفسه أن يشرح صدره ويطلق لسانه تشفع لأخيه هارون ليكون ظهيرا له في تبليغ الرسالة للطاغية فرعون فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥﴾ [طه: 29-35]، وبهذه الدعوات تلقى موسى -عليه السلام- التكليف من الله ليعينه ويسدده فيما هو مقبل عليه، وقد أخبر الله أنه أجاب دعاءه فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 36]، ثم ذكره الله تعالى بمنته عليه ورعايته له وهو طفل في المهد ونجاته من فرعون وجنوده الذين كانوا يذبحون الأبناء الذكور من بني إسرائيل ، فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۝٣٧ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۝٣٨ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ۝٣٩ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ۝٤٠ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝٤١﴾ [طه: 37-41]

وكل هذه منن عظيمة من الله تبين رعاية الله لنبيه موسى -عليه السلام- وهو في المهد صغيرا ترعاه عناية الله، ثم اصطفاه الله وكلفه بالرسالة، فقال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝٤٢ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۝٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۝٤٤ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ۝٤٦ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ۝٤٧ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝٤٨﴾ [طه: 42-48]

هذا بيان من الله لنبييه الكريمين بما سيسيران عليه عند ذهابهما لدعوة فرعون، وأنهما لا يتراخيا في ذكر الله وطمأنهما أنه سبحانه معهما يسمع ويرى، وأمرهما أن يدعوا فرعون إلى ترك ما هو فيه من كفر وطغيان، وأن يخاطباه بالقول اللين، وهذا القول اللين الذي أمرهما الله- تعالى- به هنا قد جاء ما يفسره في آيات أخرى، وهي قوله- تعالى-: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۝١٩﴾ [النازعات: 18-19]، ثم أمرهما رب العالمين بأن يخبراه أنهما رسولان من عند الله، وأن يطلبا منه أن يرسل معهما بني إسرائيل وأن يدع عذابهم.

ونلاحظ من هذا الحوار النقاط التالية:

1- هذا حوار بين رب العزة وكليمه موسى -عليه السلام-، ذهب موسى يلتمس قبسا من نار فرجع مكلفا من الله بالرسالة، وهو حوار شريف بين رب العزة ذي الجلال، وعبد اصطفاه الله، واختاره ليتلقى أمانة التكليف بالرسالة.

2- بين الله لموسى -عليه السلام- بوضوح الاعتقاد الذي ينبغي أن يكون عليه، والمنهج الذي أرسله به، فأمره بالصلاة والإيمان باليوم الآخر، وكل هذا بيان لركائز الدعوة التي سينطلق بها موسى -عليه السلام- لدعوة فرعون وقومه بني إسرائيل.

3- مع جلال الحوار ورهبة الحديث بين الله عزوجل وموسى -عليه السلام- إلا أن موسى -عليه السلام- زالت عنه الرهبة واستشعر الأنس بالله.

4- في الحوار كرامة عظيمة لموسى -عليه السلام- فوق تكليفه بالرسالة، وهي: أن الله اصطفاه واختصه بكلامه بدون حجاب.

5- كان في الحوار تدريب عملي على استعمال العصا، وإلقائها وانقلابها حية بعد أن كان موسى -عليه السلام- قد فر منها أول مرة عند إلقائها.

6- علم موسى -عليه السلام- من التكليف الإلهي بالرسالة ثقل الأمر وتبعاته فسأل الله انشراح الصدر وتيسير الأمر وإطلاق اللسان ليتهيأ لهذه المهمة التي كلف بها وسأل الله أيضا أن يردف معه أخاه هارون فاستجاب الله له.

7- وفي هذا الحوار نادى الله جل جلاله موسى -عليه السلام- باسمه خمس مرات وهذا فيه تكريم وإيناس وأي تكريم أكبر من أن يذكر الكبير المتعال اسم عبد من العباد؟ ولكن فضل الله لا خازن له، ورحمة الله لا ممسك لها، فهو يغمر عبده بمزيد من فضله وفيض من رضاه، ليزيده اطمئنانا وأنسا. (1)

8- في هذا الحوار تذكير لموسى -عليه السلام- كيف أنه سبحانه حفظه صغيرا من فرعون وجنده، وتربى موسى -عليه السلام- في قصره، وأنه هو سبحانه الذي سيحفظه كبيرا ليبلغ رسالة الله فلا يخاف طغيان فرعون فعناية الله ترافقه.

9- وفي الحوار وصية الله لنبييه الكريمين بألا يفترا عن ذكره ﴿وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: 42] فزاد القلوب هو الذكر، فالله يقول لموسى وهارون: أكثرا من الذكر، فإنكما ستمران بمواقف صعبة، وتكاليف ضخمة، لا تستطيعان خوض غمارها إلا بأن تكونا دائماً في ذكر وثناء وافتقار لجلالي، وهذا درس عظيم للدعاة بأن يطلب الداعية العون والمدد من الله دائما.

10- في الحوار درس كبير للدعاة وهو أن الحوار مع المخالف يكون باللين والرفق، "فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان، اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجين أن يتذكر ويخشى، فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار."(2)

المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور:

لما أنجى الله موسى وبني إسرائيل من عدوهم أراد الله أن ينعم عليهم بإنزال الشريعة التي ستكون منهجا لهم، فواعد كليمه موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليتهيأ موسى للقاء ربه، واستخلف موسى أخاه

---

(1) ينظر تفسير الظلال (4/2334)

(2) المرجع السابق (4/2336)

هارون على قومه وتوجه لمناجاة الله كما ذكر ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: 143-144]

طلب موسى -عليه السلام- من الله أن يراه **(قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي)** لن تقدر الآن على رؤيتي؛ فإن الله تبارك وتعالى لم يخلق في بني آدم القدرة على تحمل رؤيته جل جلاله، وأراد الله أن يبين لموسى من خلال برهان عملي أن الجبل لو استقر مكانه فسوف تراني **قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ موسى صعقا)** [الأعراف: 143]، أي: انهال الجبل مثل الرمل، ومن هول صوت اندكاك الجبل خَرَّ موسى صَعِقًا فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله، فهو أولى ألا يثبت لذلك، وهنا أدرك موسى ضعفه فاستغفر ربه لما صدر منه **(فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)** فعوضه الله باصطفائه على الناس بالرسالة وتكليمه لله بدون حجاب **(قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)** خذ ما آتيتك بانشراح صدر، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لله على ما خصك وفضلك.

ولهذا الحوار تتمة وردت بسورة طه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: 83-85] سأل الله تبارك وتعالى موسى -عليه السلام- وهو سبحانه أعلم- سأله عن قومه وسبب عجلته بقدومه وحده دونهم فقال إنهم قريبين مني، والذي عجلني إليك يا رب طلبا لرضاك، وشوقا

إليك، فبين له الله أن قومه فتنوا من بعده بعبادتهم للعجل، وأن رأس الفتنة الذي زين لهم ذلك هو السامري.

ونلاحظ من هذا الحوار النقاط التالية:

1- جاء لقاء موسى -عليه السلام- بربه جل وعلا على شوق ومحبة لتكليمه سبحانه وتعالى.

2- الاستدلال على قياس الأولى في عدم ثبات الجبل لما تجلى الله له فمن باب أولى ألا يستطيع موسى -عليه السلام- ذلك، وبناء عليه فإن رؤية البشر لله غير ممكنة لعدم قدرتهم في الدنيا على ذلك، ولكنها ممكنة للمؤمنين في الجنة كما صحت بذلك الأدلة.

1- أدب موسى -عليه السلام- في الحوار مع الله واستغفاره بعد صعقته من اندكاك الجبل واقراره لله بالعظمة وأنه أول المؤمنين بالله من بني إسرائيل، وكل هذا يبين رقة قلوب الأنبياء وقوة إيمانهم بالله وتعظيمهم وإجلالهم له سبحانه.

2- في الحوار بيان لمكانة موسى -عليه السلام- عند الله وإكرام الله له واصطفائه بالرسالة والتكليم بدون حجاب، وأعطاه الألواح المشتملة على التوراة، وقيل: الألواح أعطيها موسى -عليه السلام- قبل التوراة، فالله أعلم. وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومنع منه، والله أعلم[1]

3- إخبار الله لموسى -عليه السلام- أن قومه عبدوا العجل بيان أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

****

(1) ينظر تفسير ابن كثير (3/474)

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة موسى -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية.

المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)

المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة موسى -عليه السلام-

وقد استخدم نبي الله موسى -عليه السلام-هذا المنهج في الدعوة إلى الله مع قومه في عدة صور، يستعرضها الباحث في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية.

المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)

المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين.

المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية

أرسل الله الرسل ليقيم الحجة على خلقه، ويرشدهم إلى عبادته وحده لا شريك له، وأيد هؤلاء الرسل بالمعجزات، دليلاً على صدقهم وصحة ما يخبرون به عن الله تبارك وتعالى، وهذه الآيات التي أجراها الله على يد كليمه موسى – عليه السلام- منها ما حدث مع فرعون وقومه، ومنها ما حدث مع بني إسرائيل، وسيتم تناولها من خلال مطلبين:

المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه.

المطلب الثاني: ما حدث مع بني إسرائيل.

المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه:

بعث الله سبحانه وتعالى موسى -عليه السلام- إلى فرعون الذي طغى وعلا في الأرض وأفسد فيها، وإقامة للحجة عليه فقد أرسل الله إليه موسى وأيده بالآيات الكثيرة، والمعجزات الباهرة، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا موسى تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ**﴾ [الإسراء: 101]، وهذه الآيات التسع هي: اليد، والعصا، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وقد تعددت أقوال

المفسرين في عدها وبعضهم يعد السنين ونقص الثمرات آية واحدة ويجعل الآية التاسعة معجزة انفلاق البحر [1]

ونبدأ في عرض هذه الآيات في أربع مسائل على النحو التالي:

المسألة الأولى: عصا موسى -عليه السلام.

المسألة الثانية: اليد البيضاء.

المسألة الثالثة: السنين ونقص الثمرات.

المسألة الرابعة: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

المسألة الأولى: عصا موسى -عليه السلام:

كانت العصا هي أول الآيات، حيث كانت تتحول إلى حية عظيمة عندما يلقيها على الأرض، وحينما دعا موسى -عليه السلام- فرعون طلب منه فرعون دليلاً وبرهاناً على صدق نبوته، ﴿**قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴿١٠٨﴾**﴾ **[الأعراف: 106-108]**، وقد عجز السحرة عن إبطال تلك المعجزة، وعرفوا أنها ليست من جنس السحر الذي يقومون به؛ لأنهم عندما ألقوا حبالهم وعصيهم وسحروا أعين الناس فألقى موسى -عليه السلام- عصاه، فابتلعت كل ما ألقوه من الحبال والعصي؛ فعند ذلك آمنوا به وصدقوه، بينما أصر فرعون وجنوده على الكفر.

المسألة الثانية: اليد البيضاء:

وهي المعجزة الثانية التي أيد الله تعالى بها موسى -عليه السلام- لما ذهب إلى فرعون، قل تعالى: ﴿**وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ**﴾ [الأعراف: 108]

(1) لمزيد من التفصيل يراجع تفسير ابن جرير الطبري (564/ 17 وما بعدها)

أي: " أخرجها من درعه بعد ما أدخلها فيه فخرجت بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض."[1]

المسألة الثالثة: السنين ونقص الثمرات:

بعد المناظرة التي تمت بين موسى -عليه السلام- وسحرة فرعون وانتهت بإيمان السحرة بالله رب العالمين توعد فرعون بني إسرائيل بأن يعاود قتل أبنائهم واستحياء نسائهم، فأوصى موسى -عليه السلام- بني إسرائيل أن يستعينوا بالله وأن يصبروا، وسلط الله على أهل مصر الجدب ونقص الثمرات قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: 130] السنين: جمع سنة بمعنى الجدب لا بمعنى الزمن المقدر من الدهر، فالسنة في كلام العرب إذا عرفت باللام يراد بها سنة الجدب، والقحط، فابتلاهم الله بالقحط والجدب، وابتلاهم بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل عظة لهم وتذكيرًا لهم، لينزجروا عن ضلالتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة. [2]

والله سبحانه يبتلي عباده بالشدائد ليرغبوا إلى الله بالضراعة ويقروا بخطئهم ويثوبوا إلى رشدهم، ويرى الجميع بأنفسهم ضعف فرعون المتجبر عليهم، وعجزه أمام قدرة الله الذي بأمره يمطر السماء وينبت النبات وبأمره يمنع ذلك عنهم.

ولكن القوم لم يعتبروا بهذا القحط والنقص في الثمرات ؛ فقد فسدت فطرتهم فلم يقروا بوحدانية الله وصدق رسوله موسى -عليه السلام-، إنما كانوا إذا أصابهم المطر وما ينتج عنه من الخصب والرخاء، قالوا: ما جاء هذا الخير إلا بكدنا واجتهادنا غافلين عن شكر الله جل وعلا ، وإن تصبهم سيئة كجدب أو قحط ، تشاءموا بموسى -عليه السلام- ومن معه من المؤمنين، قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِموسى وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131]، بل لقد تمادى القوم في العناد والكبر فقالوا لكليم الله موسى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ

(1) تفسير ابن كثير (3/455)

(2) ينظر ابن جرير الطبري (13/45) وتفسير التحرير والتنوير (9/63)

لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 132]، فمهما جئتنا بأي آية، لتصرفنا عن عقيدتنا رددناها فلا نقبلها منك، ولا نؤمن بك ولا بما جئت به. (1)

وكلامهم هذا يدل على أن القوم قد بلغوا مبلغا من الكبر والعناد، وأن القوم مصرون على التكذيب مهما جاءهم نبيهم موسى -عليه السلام- بالمعجزات الدالة على صدقه فهنا ابتلاهم الله بالآيات التالية: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133]

المسألة الرابعة: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

- **الطوفان:** كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار، سبحان الله ابتلاهم الله في الآية السابقة بالجدب والقحط والآن يسلط عليهم كثرة الماء، سبحانه يفعل ما يشاء!!
- **الجراد:** وهو مهلك للزرع والشجر.
- **القمل:** السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل البراغيث.
- **الضفادع:** فملأت البيوت والأطعمة والآنية، فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع، قد غلبت عليه.
- **الدم:** فصارت مياه آل فرعون دما، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء، إلا عاد دما عبيطا. (2)

وقد سمى الله هذه آيات لأنها دالة على قدرة الله عز وجل، وصدق كليمه موسى، وفي المقابل فإنها دالة على ضعف فرعون وعجزه عن أن يرفع عنهم هذا البلاء، وقد كانوا في كل مرة يلجأون لموسى -عليه السلام- أن يدع ربه لرفع هذا البلاء عنهم كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: 134] ، وكان موسى -عليه السلام- يدعو الله في كل آية فيكشف

---

(1) ينظر تفسير ابن كثير (3/461)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (3/461، وما بعدها)

عنهم الضر، ولكنهم كانوا ينكثون العهد الذي قطعوه على أنفسهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۝١٣٥ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝١٣٦﴾ [الأعراف: 135-136]

المطلب الثاني: الآيات التي حصلت مع بني إسرائيل:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: انفلاق البحر.

المسألة الثانية: تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى.

المسألة الثالثة: تفجر الماء من الحجر.

المسألة الرابعة: معجزة البقرة.

المسألة الأولى: انفلاق البحر:

وقد حدثت هذه الآية حينما خرج موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل بأمر الله متوجهين إلى بيت المقدس، فلحقهم فرعون بجنوده، ولما وصلوا إلى ساحل البحر وأصبح كل جمع يرى الآخر خاف بنو إسرائيل من فرعون وجنوده، كما ذكر الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝٦٣﴾ [الشعراء: 61-63]

إذن فالآية هنا عندما رأى بنو إسرائيل جيشا لا طاقة لهم به وأصابهم كرب عظيم أمر الله - سبحانه وتعالى - موسى -عليه السلام- أن يضرب البحر بعصاه لتحدث النجاة بأمر الله.

"وذلك أنه - عز وجل - أراد أن تكون الآية متصلة بموسى -عليه السلام- ومتعلقة بفعل يفعله تثبيتًا لإيمان من آمن من قومه، وقضاءً على الشك عند من شك منهم، وإلا فضرب العصا ليس بفالق للبحر ولا معين على ذلك بذاته إلا بما

اقترن به من قدرة الله - عز وجل - ولما انفلق عقب الضرب مباشرة صار فيه اثنا عشر طريقا على عدد أسباط بني إسرائيل، ووقف الماء بينهما كالجبل العظيم، فلما خرج أصحاب موسى -عليه السلام- وتكامل آخر أصحاب فرعون داخله انصب عليهم الماء وغرق فرعون، فقال بعض أصحاب موسى -عليه السلام- : ما غرق فرعون، فنبذ على ساحل البحر حتى نظروا إليه."[1]

المسألة الثانية: تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى:

لما أنجى الله بني إسرائيل من فرعون وجنده ونزلوا بسيناء أجرى الله لهم آية وهي تظليل الغمام لهم ليقيهم حر الشمس، وأنزل عليهم المن والسلوى، قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: 57]

- **والغمام:** جمع غمامة، وهو السحاب الأبيض، ظللوا به في التيه ليقيهم حر الشمس.
- **والمن:** شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه.
- **والسلوى:** طائر شبيه بالسمانى، كانوا يأكلون منه.[2]

المسألة الثالثة: تفجر الماء من الحجر.

ومع إنعام الله على بني إسرائيل بتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى أنعم الله عليهم بنعمة الماء فأمر الله تعالى موسى -عليه السلام- أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط من أسباط بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ موسى لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60]، والمعنى: اذكروا يا بني إسرائيل "نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم، وتفجيري الماء لكم منه من ثنتي عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها، فكلوا من المن والسلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم ولا كد، واعبدوا الذي

---

(1) التفسير الوسيط مجمع البحوث (7/1581 وما بعدها)

(2) ذكر هذه الأقوال في تفسير هذه الآيات الحافظ ابن كثير في تفسيره (1/266 وما بعدها)

سخر لكم ذلك. {ولا تعثوا في الأرض مفسدين} ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها." [1]

وقد يقال: "إن الله قادر على أن يمنحهم الماء بدون ضرب الحجر بالعصا، فلماذا لم يفعل؟

والجواب: أن الله تعالى، أراد أن يبين لهم كرامة نبيهم موسى -عليه السلام- على الله تعالى، ويؤكد لهم نبوته: بإجراءِ تلك المعجزة على يديه، بمجرد ضربه الحجر بعصاه، حتى يقوى إيمانهم بنبوته، التي يتشككون فيها من آن لآخر، وقد مرَّ قريبا أنهم قالوا له: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) كما أن فيها تثبيت إيمانهم باللهِ، لأنه إيمان يتزلزل من آن لآخر."[2]

المسألة الرابعة: معجزة البقرة.

سميت أطول سورة في القرآن الكريم سورة البقرة؛ وذلك أن الله سبحانه ذكر في هذه السورة أحداث تلك القصة، وحاصل هذه القصة تبينه الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ

---

(1) المرجع السابق (1/278)

(2) التفسير الوسيط مجمع البحوث (1/114)

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 67-74]

هذه أحداث القصة كما ذكرها القرآن ، وقد روى المفسرون عدة روايات خلاصتها : أنه كان في بنى إسرائيل رجل غنى، وله ابن أخ محتاج لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه، وحمله إلى قرية أخرى فألقاه فيها، ثم أصبح يطلب ثأره ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه، فأخذهم وقال: قتلتم عمي، فأدوا إلي ديته ، فرفعهم إلى موسى -عليه السلام-، فقضى عليهم بالدية، فقالوا له: يا رسول الله، ادع الله لنا حتى يبين لنا من صاحبه، فيؤخذ صاحب الجريمة فوالله إن ديته علينا لهينة، ولكنا نستحيي أن نعير به ، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 72] (1)

وهنا أخبر موسى -عليه السلام- قومه بأمر الله عز وجل فقال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]

"وقد أمرهم الله- تعالى- بذبح بقرة دون غيرها من الحيوانات لأنها من جنس ما عبدوه وهو العجل، وفي أمرهم بذلك تهوين لشأن هذا الحيوان الذي عظموه وعبدوه وأحبوه فكأنه- سبحانه- يقول لهم: إن هذا البقر الذي يضرب به المثل في البلادة، لا يصلح أن يكون معبودا من دون الله، وإنما يصلح للحرث، والسقي، والعمل، والذبح."(2)

ولو عمدوا فذبحوا أي بقرة تنفيذا لأمر ربهم لكفاهم ذلك، ولكن طبيعة بني إسرائيل من التثاقل في تنفيذ أوامر الله غلبت عليهم فقالوا: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا

---

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (2/183 وما بعدها)، وابن كثير (1/294 وما بعدها) وهناك روايات أخرى عن القصة ذكرها ابن جرير وغيره لا تختلف عن هذا السياق إلا في بعض التفاصيل.

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/164)

مَا تؤمرون﴾ [البقرة: 68]، فهي بقرة لا مسنة ولا صغيرة، وسط بين ذلك، فافعلوا ما يأمركم الله به، ومع ذلك أبى القوم إلا كثرة السؤال فقالوا: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة: 69] إذن فقد اتضح لكم الآن سنها ولونها، فهلا أجبتم أمر الله؟ كلا فقد عاد القوم فسألوا نبيهم قائلين: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [البقرة: 70-71]

لقد زعموا أن البقر الموصوف بالأوصاف السابقة كثير، فاشتبه علينا أي واحدة منها نذبح، وإنا إن شاء الله لمهتدون إليها، فأجابهم موسى -عليه السلام- بقوله: إنها بقرة لا ذلول أي سائمة ليست مذللة بالعمل في الحراثة ولا في السقي، وهي سليمة من كل عيب، ليس فيها لون يخالف لونها (الصفرة الفاقعة)، فلما وجدوها بعد بحث وعناء قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة أسئلتهم وترددهم.

ثم أظهر الله- تعالى- لهم الحكمة من أمره لهم بذبح بقرة وعلاقة ذلك بالقتيل فقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: 72-73] ، فأظهر الله ما كتمتم من أمر القاتل، فقال على لسان رسوله موسى -عليه السلام-: اضربوا القتيل بأي جزء من البقرة، فلما ضربوه عادت الحياة- بإذن الله- إلى القتيل وأخبر عن قاتله، وهذا المشهد الذي رأيتموه هو أيضا بيان لقدرة الله على إحياء الموتى، وفيه دلالة على أنه سبحانه على كل شيء قدير.

ما الحكمة أن القصة لم تقص على ترتيبها، بذكر خبر القتل أولا ثم الأمر بذبح البقرة ثانيا؟

والجواب عن ذلك السؤال هو أن " كل ما قص من قصص بنى إسرائيل إنما قص تعديداً لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعا لهم عليها، ولما جدّد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك.

والثانية للتقريع على قتل النفس المحرّمة وما يتبعه من الآية العظيمة. وإنما قدّمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع، ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى، دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله: (اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها) حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة"[1]

لماذا أسند القتل إلى جميعهم في الآيات رغم أن القاتل واحد؟ ولماذا أسند القتل- أيضا- إلى اليهود المعاصرين للعهد النبوي؟

والجواب أن هذا " للإشعار بأن الأمة في مجموعها وتكافلها كالشخص الواحد، وأسند القتل- أيضا- إلى اليهود المعاصرين للعهد النبوي، لأنهم من سلالات أولئك الذين حدث فيهم القتل، وكثيرا ما يستعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب للتنبيه على أن الخلف قد سار على طريقة السلف في الانحراف والضلال."[2]

ما الحكمة من تعلق إرادة الله بكشف حال من قتل هذا القتيل- مع أنه، ليس أول قتيل في أمة من الأمم؟

إنما أراد الله بحكمته ذلك " إكراما لموسى -عليه السلام- أن يضيع دم في قومه وهو بين أظهرهم، وبمرأى ومسمع منه، لا سيما وقد قصد القاتلون استغفاله ودبروا المكيدة في إظهار المطالبة بدمه، فلو لم يظهر الله- تعالى- هذا الدم ويبين سافكه- لضعف يقين القوم برسولهم موسى - عليه السلام- ولكان ذلك مما يزيد شكهم في صدقه فينقلبوا كافرين، فكان إظهار القاتل الحقيقي إكراما من الله تعالى- لموسى -عليه السلام- ورحمة بالقوم لئلا يضلوا"[3]

وتبرز هنا عدة دلالات في استعمال المنهج الحسي في منهج نبي الله موسى مع قومه كالتالي:

1- أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا ما علمهم الله إياه وأطلعهم عليه؛ فموسى -عليه السلام- لم يعرف من هو القاتل عندما تنازعوا في الأمر أمامه.

---

(1) تفسير الكشاف للزمخشري (1/154)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/170)

(3) تفسير التحرير والتنوير (1/561)

2- صبر نبي الله موسى -عليه السلام- على فظاظة قومه وغلظتهم في التعامل معه.

3- التزام نبي الله موسى -عليه السلام- بما يوحيه الله إليه (إن الله يأمركم) و(قال إنه يقول) وهكذا فهو يخبرهم بما أوحى الله إليه.

4- رأى القوم بأعينهم دليلا ماديا محسوسا على قدرة الله على إحياء الموتى من خلال هذه المعجزة وهي إحياء القتيل بجزء من بقرة مذبوحة، وتسميته اسم قاتله.

5- ومن الدلالات الحسية على صدق نبي الله موسى -عليه السلام- وليزداد بنو إسرائيل يقينا أنه رسول الله حقا: أن القوم ذبحوا البقرة بأيديهم فصارت ميتة بعد حياة وضربوا القتيل ببعضها فرد الله عليه روحه فنطق بأمر الله، باشر القوم ذلك بأيديهم ورأوه بأعينهم، والذي أمرهم بذلك نبيهم موسى -عليه السلام- بوحي من الله -تبارك وتعالى-

6- وكما أنها تدل على صدق نبوة موسى -عليه السلام- وأنه رسول من رب العالمين، فإن ذكرها في القرآن فيه دلالة على صدق النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- فيما يبلغه عن ربه، فقد أخبر في هذه القصة الواقعية التي لم يشهد حوادثها بما أوحاه الله إليه وهذا الإخبار من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.

7- والقصة فيها درس لجميع المؤمنين وهو التسليم لأمر الله، وإدراك العبد أن خفاء الحكمة عليه في أمر من أوامر الله لا يعني عدمها، إنما يعني أن عقولنا لم تدرك حكمة الله في هذا الأمر، فتسلم طاعة لأمر الله، فلو سلم بنو إسرائيل لأمر الله فعمدوا إلى ذبح أي بقرة لكفاهم ذلك، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وقد أدى بهم هذا الجدال إلى تضييق دائرة اختيارهم للبقرة المطلوبة، فكانت عقوبة من الله على مماطلتهم وعدم تسليمهم لأمر الله.

****

المبحث الثاني/ تغير المنكر باليد (حرق العجل)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى المنكر.

المطلب الثاني: نبي الله موسى يحرق العجل.

المطلب الأول: تعريف معنى المنكر:

المنكر لغةً: ضد المعروف، من نكر الشيء إذا جهله، والجمع مناكير، والنُكُر :الأمر الشديد، واستنكر الأمر استقبحه، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر [1]

واصطلاحا هو: "كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة" [2]

وبناء على ذلك فإن معنى تغيير المنكر باليد إزالته وإنهاؤه لأن به ينعدم هذا المنكر ويزول.

المطلب الثاني: نبي الله موسى يحرق العجل.

سبق الحديث أن السامري أضل بني إسرائيل وصنع لهم عجلا، وزين لهم عبادته، وأطلع الله موسى -عليه السلام- على ما وقع لقومه، وبعد أن واجه موسى قومه ووبخهم على فعلتهم، وعاتب أخاه هارون، ثم توجه للسامري بالسؤال: ما حملك على ما صنعت؟ فلما تبين له أنه رأس الفتنة وأسها حكم عليه أن يعيش منبوذاً طريداً كالأجرب الذي يفر منه الناس.

ثم أراد موسى -عليه السلام- أن يبين للسامري ولقومه أن الإله المزعوم الذي عبدتموه من دون الله ها هو أمام أعينكم يحرق فلا يملك لنفسه نفعا ولا

---

(1) ينظر لسان العرب مادة "نكر" (6/4539)، والمعجم الوسيط (952)

(2) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (823)

ضرا فضلا عن أن ينفعكم أو يضركم، قال تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا﴾ [طه: 97]

"فجعل الاستدلال بالنظر إشارة إلى أنه دليل بين لا يحتاج المستدل به إلى أكثر من المشاهدة فإن دلالة المحسوسات أوضح من دلالة المعقولات، وأضاف الإله إلى ضمير السامري تهكما بالسامري وتحقيرا له، ووصف ذلك الإله المزعوم بطريق الموصولية لما تدل عليه الصلة من التنبيه على الضلال والخطأ، أي الذي لا يستحق أن يعكف عليه"(1)

فكان حرقه أمامهم جميعا دليلا حسيا على بطلان كونه إلها، وليكون حسرة وندامة على من صنعه، وكذلك من افتتن به وعبده من دون الله من ضعاف العقول من بني إسرائيل ثم قال لهم مؤكدا على توحيد الله: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾ [طه: 98]

المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين:

أمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلا تجاه البحر ولما تراءى الجمعان حدثت معجزة انفلاق البحر وأنجى الله موسى -عليه السلام- وبني إسرائيل، وأغرق فرعون وجنوده، ومن باب أخذ العظة والاعتبار ذكر الله عباده بمصارع الظالمين وما خلفوه وراءهم من أموال وكنوز فلم تغن عنهم من الله شيئا، قال تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الشعراء: 57-59] أي: "فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا." (2)

وأيضا الآيات في قوله تعالى: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا

(1) تفسير التحرير والتنوير (16/299)

(2) تفسير ابن كثير (6/143)

﴿بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: 25-29] لقد كان القوم يعيشون في نعم عظيمة من الله سبحانه وتعالى فلما كفروا بأنعمه، وباركوا ظلم فرعون وسفكه للدماء، وأيدوه في ادعائه الألوهية من دون الله نزل بهم بأس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فهلك فرعون وجنوده تاركين وراءهم جنات وعيون وقصور ونعم كثيرة كانوا منغمسين فيها.

" ثم ذهب هؤلاء الطغاة الذين كانوا ملء الأعين والنفوس في هذه الأرض: ذهبوا فلم يأس على ذهابهم أحد، ولم تشعر بهم سماء ولا أرض ولم ينظروا أو يؤجلوا عند ما حل الميعاد: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: 29]، وهو تعبير يلقي ظلال الهوان، كما يلقي ظلال الجفاء.. فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء، ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء، وذهبوا ذهاب النمال، وهم كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال! وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه، وهو مؤمن بربه، وهم به كافرون! وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه!" (1)

****

(1) تفسير الظلال (5/3214)

الباب السابع

المناهج الدعوية

في رسالة خاتم الأنبياء

والمرسلين محمد

-صلى اللّه عليه وسلم-

وفيه ثلاثة فصول:

المبحث الأول / المنهج العاطفي.

المبحث الثاني/ المنهج العقلي.

المبحث الثالث/ المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول/ تأليف القلوب.

المبحث الثاني/ الترغيب في العمل الصالح.

المبحث الثالث/الترهيب من الشرك والمعاصي.

المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الخامس/ القصص العاطفية.

المبحث السادس/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول
المنهج العاطفي في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين
محمد -صلى الله عليه وسلم-

سلك رسول الله- صلى الله عليه وسلم - في دعوته عدة طرق وأساليب ليوصل من خلالها الدعوة إلى المدعوين على اختلاف أطيافهم، ومن ذلك استخدامه المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله، لأن مخاطبة العاطفة في القلب سبب لتقبل الكلام، وسرعة تأثر المدعوين به، وقد استخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المنهج العاطفي في أكثر من موقف يستعرضها الباحث من خلال سبعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ تأليف القلوب.

المبحث الثاني/ الترغيب في العمل الصالح.

المبحث الثالث/ الترهيب من الشرك والمعاصي.

المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الخامس/ القصص العاطفية.

المبحث السادس/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ تأليف القلوب

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب

المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال.

المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين.

المطلب الرابع: التودد إلى الناس.

المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء.

المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو.

المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى.

المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب

تأليف القلوب لغة: من التألف، وهو: المداراة والإيناس ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال، وتألف فلانا: داراه، وقاربه، ووصله حتى يستميله إليه[1]

وبناء على هذا فإن التأليف قد يكون ماديا بتأليف القلوب بالمال، ومنه سهم المؤلفة قلوبهم في الزكاة، وهذا من مصارف الزكاة، وهم: " الذين يراد تأليف قلوبهم بالاستمالة إلى الإسلام، أو تقريرا لهم على الإسلام، أو كف شرهم عن المسلمين، أو نصرهم على عدو لهم، ونحو ذلك"[2]

وقد يكون التأليف معنويا باستمالة القلوب بالإحسان والكلمة الطيبة والدعاء والعفو عن إساءتهم، ولا شك أن كل ذلك يوجد المحبة في القلوب.

واصطلاحا: تأليف القلوب هو: قيام الداعية باستمالة قلوب الناس بعطاء مادي، أو بحسن المعاملة والمداراة بهدف تحبيبهم في الدين.

المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال:

ومن أمثلة ذلك: ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه- (أن رجلا سأل النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأعطاه غنما بين جبلين، فأتى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء رجل لا يخاف الفاقة، وإن كان الرجل ليجيء إليه ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه من الدنيا بما فيها) [3]

---

(1) ينظر لسان العرب مادة "ألف" (1/107) والقاموس المحيط ص (793)

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية (36/12) الصادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)

(3) رواه مسلم برقم (2312) كتاب الفضائل " باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه"

وقد حرص النبي - صلى الله عليه وسلم -، على تأليف بعض القلوب بالمال من باب المدارة في معاملة الناس ، وهذا من باب بذل الدنيا من أجل الدين تأليفا للقلوب ، لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ، ويجدر بالدعاة إلى الله أن يفرقوا في هذا الأمر بين المدارة والمداهنة ، لأن "المدَاراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما: أن المدَاراة تلطُّف الإنسان بصاحبه حتى يستخرج منه الحق، أو يرده عن الباطل، وأما المداهن، فهو الذي يتلطَّف مع صاحبه ليُقرَّه على ذنب، أو يتركه على هواه، فالمدَاراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق" (1)

المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين:

اهتم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بدعوة الأقربين استجابة لأمر ربه - تبارك وتعالى- ففي الحديث عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: (لما أنزلت هذه الآية **{وأنذر عشيرتك الأقربين}** [الشعراء: 214]، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها)(2)

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: " والسر في الأمر بإنذار الأقربين: أولاً: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وألا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نصّ له على إنذارهم " (3)

---

(1) الروح لابن القيم (230) ط. دار الكتب العلمية - بيروت

(2) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} برقم (204)

(3) فتح الباري (8/503)

وفي تخصيص أقاربه بالنداء والدعوة تأليفا لقلوبهم على الإسلام، وفي قوله -صلى الله عليه وسلم- (أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ) فيه مدى حرصه الشديد على أقاربه وشفقته عليهم من عذاب الله.

وفي قوله: (غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها) إشارة إلى حرصه على صلة رحمه وعدم قطعها، وأنه مستمر في صلتهم وأداء حق الرحم، وكل هذا تأليف للقلوب.

المطلب الرابع: التودد إلى الناس:

بإخبار من يحب بأنه يحبه كما قال لمعاذ – رضي الله عنه-: (يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك)، فقال: (أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك) [1]

ولا يخفى علينا عظم قيمة قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ " والله إني لأحبك " فلا شك أنه -صلى الله عليه وسلم- بذلك يربط القلوب على الحب في الله برباط وثيق؛ هذا فضلا عن تواضعه، وتوده لأصحابه، وفي هذا تعليم للدعاة كيف يدعون الناس إلى الله بإظهار الود والمحبة.

المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء:

ومن وسائله -صلى الله عليه وسلم- في تأليف القلوب دعائه لأصحابه بالخير والبركة، ولا شك أن الفوز بدعائه -صلى الله عليه وسلم- من أسباب السعادة والعز والشرف للمدعو له، ومن ذلك:

- **دعاؤه لأنس بن مالك خادمه:**

عن أنس قال: جاءت بي أمي، أم أنس إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله! هذا أنيس، ابني. أتيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال: "اللهم! أكثر ماله وولده.

---

(1) رواه أبو داوود في سننه، باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستغفار (حديث رقم: 1522) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون تاريخ طباعة

قال أنس: فوالله! إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المئة اليوم[1].

- **دعاؤه لابن عباس:**

عن ابن عباس، قال: ضمَّني النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى صدره، وقال: (اللهم علِّمْه الحكمة)[2]

وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء، فوضعت له وضوءًا، قال: (من وضع هذا؟) فأخبر، فقال: (اللهُمَّ فقِّهْه في الدين)[3]

والأمثلة على دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه كثيرة وموجودة في الصحيحين وكتب السنن.

وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم – يتألف القلوب بدعائه وربما دعا بالهداية أو بالمغفرة، ولا شك أن هذا له أثر بالغ في قلوب المدعوين خاصة وأن الدعاء صادر عن خاتم الأنبياء والمرسلين.

المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو:

العفو من شيم الكرام، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم – يعفو عمن ظلمه أو أساء إليه تأليفا للقلوب، فلا يقابل الإساءة بالإساءة، بل يقابل الإساءة بالإحسان مطبقا لقوله تعالى: ﴿**فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ**﴾ **[آل عمران: 159]**

والأمثلة على عفوه - صلى الله عليه وسلم- كثيرة أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

عن عبد الله بن مسعود قال: قسم النبي - صلى الله عليه وسلم- قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله! قلت: أما أنا لأقولن للنبي -صلى الله عليه وسلم - فأتيته وهو في أصحابه

---

(1) رواه مسلم في صحيحه باب من فضائل أنس بن مالك، رضي الله عنه برقم (2481)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ذكر ابن عباس برقم (3546)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء برقم (143)

فساررته فشق ذلك على النبي -صلى الله عليه وسلم- وتغير وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته ثم قال: (قد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر) [1]

لقد تغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم غضبا من مقالة الرجل فيه ووصفه بالظلم، ولم يعاقبه النبي - صلى الله عليه وسلم – على مقالته وإنما عفا عنه وتأسى بأخيه موسى -عليه السلام-

ومن صور عفوه - صلى الله عليه وسلم – ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العضاه، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو ذا جالس" ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم. [2]

فهذا الأعرابي أراد النيل من رسول الله- صلى الله عليه وسلم – وقتله وهو نائم فلما قذف الله في قلبه الرعب أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم – السيف، ورغم أن يقدر على معاقبته إلا أنه لم يفعل وعفا عنه، وقد ورد ذلك في رواية أخرى للحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم –، قال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ، فقال :تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قال: لا، ولكني أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس. [3]

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه برقم (5749)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع برقم (4135)

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما – برقم (14929) وقال المحقق: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان بن قيس اليشكري مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

فنلاحظ هنا أثر العفو في تأليف القلوب، وأن الإحسان للناس بالعفو يفتح قلوبهم ويلينها، وبعد أن جاء الرجل متآمرا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم رجع لقومه يقول: "جئتكم من عند خير الناس".

المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى:

ومن هديه - صلى الله عليه وسلم – في تأليف القلوب زيارة المرضى حتى من غير المسلمين وقد ثبت زيارته لغلام يهودي كان يخدمه ودعاه إلى الإسلام كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: (كان غلام يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم –فمرض، فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم – يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم). فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم - صلى الله عليه وسلم –، فأسلم، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم – وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار).[1]

فكانت زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم- رحمة لهذا الغلام المريض على الرغم من صغر سنه، وكانت سببا لتأليف قلبه ودعوته للإسلام، وقد كان على اليهودية كأبويه، وشجعه أبوه قائلا: أطع أبا القاسم، وقد فرح النبي - صلى الله عليه وسلم – بإسلامه وحمد الله الذي أنقذه بسبب زيارته ودعوته من النار.

المبحث الثاني/ الترغيب في العمل الصالح

فقد اهتم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالتبشير بذكر الثواب المترتب على كثير من الأعمال الصالحة تشجيعا للمؤمنين على فعلها، وتحفيزا للهمم، وتحبيبا للمؤمنين في عبادة ربهم، وحثا لهم على بذل المزيد من الأعمال الصالحة.

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله.

المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم (1290)

المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات.

المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله:

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن ترغب في العمل الصالح، وتبين أن جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة، منها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [البقرة: 25]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [النساء: 57]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: 42]

فهذه الآيات ترغب في العمل الصالح وأنه سبب لمرضاة الله ودخول الجنة.

المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد:

كما في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا، ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت -والقدح على يدي- أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه. قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي -وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء- فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها -وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها- قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي

وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أد إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي! فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) [1]

في هذا الحديث ساق النبي -صلى الله عليه وسلم- قصة ثلاثة من بني إسرائيل لجأوا إلى غار ليبيتوا فيه، فنزلت من أعلى الجبل صخرة فأغلقت مخرج الغار الذي يخرجون منه، فحبس الثلاثة داخل هذا الكهف، فتوسلوا إلى الله بما كان من عملهم الصالح؛ ليستجيب الله لهم، فيبعد تلك الصخرة عن باب الكهف.

فتوسل الأول إلى الله ببره بوالديه، وتوسل الثاني بتعففه عن الحرام، وتوسل الثالث بأمانته وحفظه لأجرة أجير عنده، وببركة عملهم الصالح كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انفرجت الصخرة، وفتح باب الغار، فخرجوا يمشون.

فساق النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديث ليدلل على أن العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد، وأن الدعاء واللجوء إلى الله سبب لتفريج كل كرب.

المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات:

---

(1) أخرجه: البخاري، كتاب الأنبياء، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم} برقم (3278)، وأخرجه مسلم كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال برقم (2743)

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 7]

وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما تقول: ذلك يبقي من درنه) قالوا: لا يبقي من درنه شيئا، قال: (فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا) (1)

المبحث الثالث/ الترهيب من الشرك والمعاصي

بعث الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- مبشرا ونذيرا، فما ترك خيرا يدعو أمته له إلا وبينه وحثهم عليه، وما ترك شرا إلا وحذرهم منه وبين عقوبته عند الله -عز وجل-

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله.

المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير.

المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة.

المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله:

جاء التحذير من الإشراك بالله في آيات كثيرة في القرآن منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة باب: الصلوات الخمس كفارة، حديث رقم: (505) وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا رقم (667)

أَنصَارٍ﴾ [المائدة: 72]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]

ورهب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كثير من الأحاديث من الشرك وعاقبته وأنه من أكبر الكبائر فقال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً-، قلنا: بلى يا رسول الله، قال :الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال :ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت) (1)

وقال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) (2)

المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير:

التبذير هو: "تفريق المال في غير وجهه، وهو مرادف الإسراف، فإنفاقه في الفساد تبذير، ولو كان المقدار قليلا، وإنفاقه في المباح إذا بلغ حد السرف تبذير، وإنفاقه في وجوه البر والصلاح ليس بتبذير"(3)

وقد جاء النهي عن الإسراف والتبذير في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27]

ومعنى قوله ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أي: "في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته؛ ولهذا قال: ﴿وكان الشيطان لربه

---

(1) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (87)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا}، حديث رقم: (2615)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، برقم: (89)

(3) تفسير التحرير والتنوير (79/15)

كفورا﴾ أي: جحودا؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته؛ بل أقبل على معصيته ومخالفته." [1]

وبين رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن ذلك أمر يكرهه الله، ولا يحبه من عباده المؤمنين فقال: (إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال) [2]

قال الإمام النووي: "وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يجب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس وأما عقوق الأمهات فحرام وهو من الكبائر بإجماع العلماء." [3]

المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة:

عرّف النبي صلى الله عليه وسلم الغيبة بقوله مخاطبا أصحابه: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته.) [4]

وجاء النهي عن الغيبة والترهيب من الوقوع فيها في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحجرات: 12]

المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة

---

(1) تفسير ابن كثير (5/69)

(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية، باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة برقم (593) شرح النووي على مسلم (12/11)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ

(3) شرح النووي على مسلم (12/11)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ

(4) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الغيبة برقم (2589)

كان النبي - صلى الله عليه وسلم- رحيما رفيقا لينا كما قال الله تعالى:
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]

فقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159] أي: "بسبب رحمة عظيمة فياضة منحك الله إياها يا محمد كنت لينا مع أتباعك في كل أحوالك.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159] أي: "ولو كنت- يا محمد- كريه الخلق، خشن الجانب، جافيا في أقوالك وأفعالك، قاسى القلب لا تتأثر لما يصيب أصحابك.. ولو كنت كذلك لانفضوا من حولك أي لتفرقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا إليك." (1)

فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- رفيقا يحب الرفق، ويحث المؤمنين عليه فيقول: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه) (2)

والكلمة الطيبة اللينة تستميل القلوب "فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم.. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء...." (3)

وصور رفقه -صلى الله عليه وسلم- كثيرة في سيرته، وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة.

المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بال في المسجد.

---

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (2/316)

(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم (2594)

(3) تفسير الظلال (1/500)

المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذبه من ثوبه.

المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة:

عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه) [1]

لقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم- نهرا يتدفق بالرحمة، ومن رفقه ورحمته أنه يدخل الصلاة وهو يريد إطالتها فيسمع بكاء طفل صغير فيخفف - صلى الله عليه وسلم- الصلاة رحمة به وبأمه.

ولم يقم بعد الصلاة بالتنبيه على منع الأمهات من إتيان الجماعة، أو نهر الأم لبكاء ابنها، إنما خفف في الصلاة، ليعلم الأئمة والدعاة من بعده.

المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بال في المسجد:

عن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ :(قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين).) [2]

وهذه صورة أخرى من صور رفقه -صلى الله عليه وسلم- بهذا الأعرابي الذي يسكن الصحراء فرأى النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحبه يجلسون في ناحية من المسجد فذهب يبول في الجهة الأخرى، فقام الناس إليه لزجره ومنعه مما يفعل، فأمرهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ألا يفزعوه فيقطع بوله فيعود ذلك بالضرر عليه، وبعد انتهائه عليهم أن يطهروا مكان البول بالماء.

فرفق النبي صلى الله عليه وسلم بالجاهل، ومنع الناس أن ينالوا منه، وعلمه من غير تعنيف ولا غلظة.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، حديث رقم: (677)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد حديث رقم: (217)

المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذبه من ثوبه:

يقول أنس – رضي الله عنه-: (كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.) [1]

وفي هذا الحديث جانب من عظيم خلقه وحلمه ورفقه- صلى الله عليه وسلم-؛ فيحكي أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم - كان يمشي وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي يبدو من طبيعته غلظة وجلافة فأمسك النبي - صلى الله عليه وسلم- من ثوبه بشدة، حتى إن الثوب أثر في جانب رقبته صلى الله عليه وسلم من شدة الجذبة، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، لم يغضب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد إساءة الرجل بإساءة مثلها أو أشد وهو من هو في مكانته بين المسلمين، إنما التفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء من المال!!

إنه درس للدعاة إلى الله على الصبر وسعة الصدر في الدعوة إلى الله واحتمال الجاهلين، ودفع السيئة بالحسنة.

المبحث الخامس/ القصص العاطفية

من الأساليب المؤثرة لدى المدعوين القصص العاطفية المؤثرة، وخاصة القصص النبوي، فهي ليست أساطير أو خرافات تردد، إنما وقائع حدثت في الماضي وذكرها النبي - صلى الله عليه وسلم – لأصحابه تربية للنفوس بما تتركه من أثر في تقوية الإيمان، وتزكية الأنفس وتقويمها والاتعاظ بما جرى في الأمم قبلنا.

وقد تنوعت موضوعات القصص فمنها القصص التي تتكلم عن سعة رحمة الله وقبول التوبة، ومنها ما يتحدث عن ثواب العمل الصالح، وجزاء

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الخمس باب "ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه" حديث رقم (2980) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب "إعطاء من يسأل بفحش وغلظة" حديث رقم (1057)

المحسن، وعاقبة الظالم، وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قصة الرجل الذي قتل مئة نفس.

المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده.

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة.

المطلب الأول: قصة الرجل الذي قتل مئة نفس:

وهي قصة رجل من بني إسرائيل أسرف على نفسه وقتل مئة نفس، ثم تاب إلى الله، فمات وهو خارج من قريته، فقبل الله توبته، وغفر له، وقد قص النبي - صلى الله عليه وسلم- هذه القصة علينا فقال: (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبا فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له.) [1]

فهذه قصة رجل أسرف على نفسه وعاش حياته قاتلا حتى بلغ من قتلهم تسعة وتسعين نفسا، ومع كل هذا إلا أنه كان لا يزال في قلبه بقية من خير تقوده نحو طريق الهداية، فخرج يسأل فدلوه على راهب، والرهبان يعرفون بكثرة العبادة وقلة العلم ، فلما آيسه من رحمة الله ورأى أنه لا توبة له قتل الراهب فتمم به المئة ، ثم سأل عالما بعد ذلك، فأخبره بأن الله يقبل توبته، وأن رحمة الله واسعة، وأرشده أن يفارق قرية السوء التي كان يعيش بها إلى قرية أخرى بها قوما صالحين، ليعينوه على طاعة الله، وتحرك الرجل سريعا دون تردد إلى القرية الصالح أهلها فعاجله الموت ونفذ فيه قدر الله الذي لا يتأخر، ومن شدة رغبته في التوبة نأى بصدره جهة الأرض الطيبة وهو في النزع الأخير، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، كل منهم يريد أن يقبض روحه ، فأمر الله أرض الخير والصلاح أن تتقارب ، وأرض الشر والفساد أن تتباعد ،

---

(1) رواه البخاري كتاب الأنبياء، باب: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم)، برقم (3283) ورواه مسلم كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (2766)

فوجدوه أقرب إلى أرض الصالحين بشبر ، فتولت أمره ملائكة الرحمة ، وغفر الله له ذنوبه كلها .

إن ذكر هذه القصة يفتح أبواب الأمل لكل عاص مهما عظمت ذنوبه، وتبين سعة رحمة الله، وقبوله لتوبة التائبين إن صدقوا في توبتهم.

والقصة فيها درس مهم للدعاة إلى الله بأن يفتحوا أبواب الأمل أمام كل من عصى وأسرف على نفسه بترغيبه في التوبة إلى الله، وأنه إذا صدق الله في توبته قبل الله منه وفرح به وبدل سيئاته حسنات، وأن من تمام توبته هجرة أصدقاء السوء.

المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح.) [1]

هنا أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم- أصحابه أن الله أشد فرحًا برجوع عبده إليه بالتوبة، من فرح رجل كان في أرض فلاة، فقد بعيره وعليه زاده، فجعل يطلبه فلم يجده، فذهب إلى شجرة ونام تحتها ينتظر الموت! من شدة يأسه من حياته؛ فإذا به يجد بعيره فوق رأسه، ففرحته بعودة بعيره هي فرحة كبيرة لرجل أيقن بالموت ومن شدة فرحه قال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك)! أراد أن يثني على الله فمن شدة فرحه أخطأ.

فهذه قصة تملأ قلوب السامعين استبشارا بفرح الله تعالى بعودة عبده التائب إليه وتحرك القلوب للتوبة إلى الله عز وجل.

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة:

---

(1) رواه البخاري كتاب الدعوات، باب التوبة برقم (5950)، ورواه مسلم، واللفظ له، كتاب التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها، برقم (2747)

عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض) [1]

وقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- لنا هذه القصة تحذيرا وترهيبا من حبس حيوان وإيذائه؛ فهذه امرأة قاسية القلب، حبست هرة ومنعت عنها الطعام والشراب، ولم ترحمها، ولم تتركها لحال سبيلها تبحث عن طعامها، فهذا الفعل كبيرة من الكبائر الموجبة للنار.

ووقع هذه القصة على نفوس السامعين تجعلهم مدركين لعظم ذنب تعذيب أي حيوان فضلا عن إنسان، وأنه ذنب قد يستهين به البعض لكنه موجب لعذاب الله، فهي تحذير لكل مسلم من أن يقدم على مثل هذا الفعل، وفي القصة تذكير بالرحمة بالحيوان ووجوب إطعامه عند حبسه وإلا يطلق لحال سبيله.

المطلب السادس/ التذكير بنعم الله

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله.

المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم.

المطلب الثالث: التنبيه على عظم بعض النعم.

المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد.

المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله:

لقد أنعم الله على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى وقد جاء الحديث في القرآن كثيرا عن التذكير بنعم الله، وأن حق المنعم على عباده أن يعبد وحده لا شريك له

---

(1) رواه البخاري كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم برقم (3140)، ورواه مسلم، كتاب قتل الحيات وغيرها، باب: تحريم قتل الهرة، برقم (2242)

، وأن يثنى عليه بنعمه، وأن يقصد وحده بالشكر قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴿٣٤﴾﴾ [ابراهيم: 32-34]

فهذه النعم الدائمة التي تحدث القرآن عنها كنعمة نزول المطر من السماء وإحياء الله الأرض بعد موتها، ونعمة تسخير الفلك في البحر تجري بأمره، وكذلك نعم الشمس والقمر والأنهار والليل والنهار، وغيرها كثير من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى؛ كلها تستوجب شكر الله تعالى.

ودعا القرآن الكريم العباد إلى تأمل نعمة الليل والنهار وهي نعمة متكررة قل من ينتبه إليها ماذا يحدث إذا فقدناها؟ قال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: 71-73]، والمعنى: "يقول تعالى ممتنا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار، اللذين لا قوام لهم بدونهما، وبين أنه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا إلى يوم القيامة، لأضر ذلك بهم، ولسئمته النفوس وانحصرت منه، ولهذا قال تعالى: (من إله غير الله يأتيكم بضياء) أي: تبصرون به وتستأنسون بسببه، (أفلا تسمعون)، ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمدا دائما مستمرا إلى يوم القيامة، لأضر ذلك بهم، ولتعبت الأبدان وكلت من كثرة الحركات والأشغال؛ ولهذا قال: (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم. (أفلا تبصرون)

(ومن رحمته) أي: بكم (جعل لكم الليل والنهار) أي: خلق هذا وهذا (لتسكنوا فيه) أي: في الليل، (ولتبتغوا من فضله) أي: في النهار بالأسفار والترحال، والحركات والأشغال، وهذا من باب اللف والنشر.

وقوله: (ولعلكم تشكرون) أي: تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار."[1]

فالله تعالى يذكر عباده لأنهم لما ألفوا النوم بالليل والسعي والمعاش بالنهار، نسوا أن هذه نعم كبيرة من الله الذي هيأ لهم الكون كله في الليل للنوم والسكينة والراحة، وهيأ لهم النهار للسعي والمعاش والحركة، فهذه نعم، دائمة متجددة يذكرنا بها للمداومة على شكر الله.

أيضا من نعم تعالى ما ذكره في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة: 63-73]

فامتنّ الله على عباده بأنه هو من ينبت البذرة ويجعل منها الثمرة، وهو من ينزل الماء من السماء عذبا فراتا سلسبيلا، وهو الذي أنعم على عباده بالنار التي يستدفئون بها وينضجون عليها الطعام، فسبحان الخلاق العظيم.

المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها.) [2]

فهذا تعليم نبوي كريم للمؤمنين أن من رضا الله تعالى عن العبد أن يحمده كلما أكل أو شرب، فهو الذي رزقه به وهيأه له.

---

(1) تفسير ابن كثير (6/252)

(2) رواه مسلم، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل، والشرب، برقم (2734)

المطلب الثالث: التنبيه على عظم بعض النعم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ) (1)

فهاتان نعمتان لا يقدرهما الناس قدرهما: نعمة الصحة التي لا تشترى بمال ولا بسلطان، والتي لا يدرك الإنسان قدرها إلا إذا مرض وعجز عن القيام بأموره وتوقف نشاطه، ونعمة الفراغ بهدره فيما لا فائدة فيه، وتضييع الأوقات في السفاسف أو فضول المباحات، هو تضييع للعمر حتى يأتي الأجل وهو مفلس ضيع عمره-نسأل الله العافية-.

فنبه النبي -صلى الله عليه وسلم- على إدراك قيمة هاتين النعمتين باستغلالهما فيما ينفع الإنسان.

المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] ، فشكر المنعم جل وعلا على نعمه والاعتراف له بالفضل دليل على توحيد العبد لربه فهو يعبده وحده ويشكره وحده، والشكر أيضا دليل على الرضا بما أعطى الله ورزق.

أيضا (النفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى، والشر، والدنس، والفساد.

وهذه وتلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها، ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً، ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات في أمان، إلى آخر الأسباب الطبيعية الظاهرة لنا في الحياة، وإن كان وعد الله بذاته يكفي لاطمئنان المؤمن، أدرك الأسباب أولم يدركها، فهو حق واقع لأنه وعد الله.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، برقم (6049)

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها، أو بإنكار أن الله واهبها، ونسبتها إلى العلم، والخبرة، والكد الشخصي، والسعي! كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد.. وكله كفر بنعمة الله."[1]

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر من الحمد لله رب العالمين ويعلمنا دوام الحمد لله، فيقول: (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) [2]

وبين أن الحمد لله لها ثواب يملأ ميزان الحسنات يوم القيامة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض) [3]

وقد وردت في السنة النبوية صيغ متعددة لحمد الله سبحانه وتعالى منها:

1- عند الفراغ من الطعام:

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه، وقال مرة: إذا رفع مائدته، قال: (الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي ولا مكفور). وقال مرة: (الحمد لله ربنا، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى، ربنا) [4]

2- دبر كل صلاة مكتوبة:

---

(1) تفسير الظلال (4/2089)

(2) رواه مسلم كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه حديث رقم: (2137)

(3) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم: (223)

(4) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأطعمة، باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه، حديث رقم (5143)

وردت صيغة لذكر الله تعالى متضمنة لحمد الله دبر كل صلاة، وهي سبب في غفران الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر:

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر)[1]

3- عند الرفع من الركوع في الصلاة:

عن أبي سعيد الخدري قال: (كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا رفع رأسه من الركوع قال: ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد)[2]

وعلمنا أن نتعوذ بالله من زوال النعم فكان يقول في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.)[3]

****

(1) رواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، حديث رقم: (597)

(2) رواه مسلم كتاب الصلاة باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، حديث رقم: (477)

(3) رواه مسلم كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء برقم: (2739)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول/ أسلوب القياس

المبحث الثاني/ أسلوب الجدال.

المبحث الثالث/ أسلوب الحوار.

المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال.

الفصل الثاني
المنهج العقلي في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين
محمد -صلى الله عليه وسلم-

العقل نعمة من الله تعالى اختص بها الإنسان عن سائر الكائنات، فميزنا الله بالعقل الذي نستطيع به أن ندرك وأن نعي الأشياء من حولنا.

والداعي إلى الله يدعو الناس إلى الهدى ودين الحق، ويعرض عليهم الإيمان الصحيح بالله بصورته البيضاء النقية بعيدا عما ألصق به من بدع وخرافات وموروثات من آبائهم وأجدادهم، والدعوة إلى الله قائمة على الإقناع وليس الإكراه وعند طرحها فإنها تصاغ في صور متعددة عند طرحها، فيعتمد الداعية لإيضاح هذه اليقينيات على الاستدلال والحوار والجدال والمناظرة، وضرب الأمثال، وذلك لاختلاف أحوال المدعوين واختلاف عقولهم ومداركهم، فهناك الذكي الفطن، وهناك المنكر المتكبر، وهناك المجادل بالباطل... الخ.

وقد قابل النبي -صلى الله عليه وسلم- العديد من هؤلاء باختلاف أطيافهم وأجناسهم وتعامل معهم كل بما يناسبه، بالقياس تارة والحوار تارة وبالمجادلة تارة أخرى وبضرب الأمثال وهكذا...

وهذا ما سيتعرض له البحث في هذا الفصل من خلال أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ أسلوب القياس

المبحث الثاني/ أسلوب الجدال.

المبحث الثالث/ أسلوب الحوار.

المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال.

المبحث الأول/ أسلوب القياس

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم.

المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى.

المطلب الرابع: استعمال النبي ـ صلى الله عليه وسلم- للقياس.

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحا:

القياس لغة: قاس الشيء يقيسه إذا قدره على مثاله، [1]

واصطلاحا: (هو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر منصوص على حكمه لاشتراكهما في علة الحكم.) [2]

وأسلوب القياس هو أحد أساليب المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة إلى الله، وقد ورد استعمال القياس في القرآن في مواضع كثيرة منه، يتعرض الباحث لبعض منها في المطالب التالية.

المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم:

جاء في القرآن قياس خلق الله لعيسى على خلق آدم وأن الكل واقع بقدرة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾ **[آل عمران: 59]**

والمعنى: (إن شأن عيسى وحاله الغريبة عِنْدَ اللَّهِ أي في تقديره وحكمه كَمَثَلِ آدَمَ أي كصفته وحاله العجيبة في أن كليهما قد خلقه الله-تبارك وتعالى -من

---

(1) انظر لسان العرب (6/188) مادة قيس.

(2) الوجيز في أصول الفقه للدكتور وهبة الزحيلي (ص 56) ط دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، إعادة الطبعة الأولى1419هـ، 1999م

غير أب، ويزيد آدم على عيسى أنه خلق بدون أم- أيضا -فالآية الكريمة ترد ردا منطقيا حكيما يهدم زعم كل من قال بألوهية المسيح أو اعتبره ابن الله.

وكأن الآية الكريمة تقول لمن ادعى ألوهية عيسى لأنه خلق من غير أب: أنه إذا كان وجود عيسى بدون أب يسوغ لكم أن تجعلوه إلها أو ابن إله فأولى بذلك ثم أولى آدم لأنه خلق من غير أب ولا أم.

ومادام لم يدع أحد من الناس ألوهية آدم لهذا السبب فبطل حينئذ القول بألوهية عيسى لانهيار الأساس الذي قام عليه وهو خلقه من غير أب.
ولأنه إذا كان الله-تبارك وتعالى -قادرا على أن يخلق إنسانا بدون أب ولا أم فأولى ثم أولى أن يكون قادرا على خلق إنسان من غير أب فقط، ومن أم هي مريم التي تولاها- سبحانه- برعايته وصيانته لها من كل سوء وجعلها وعاء لهذا النبي الكريم عيسى- عليه السلام-) .[1]

فالقرآن هنا يدعو من يقولون بألوهية المسيح أن يعملوا عقولهم لفهم الحقيقة بعيدا عن التقليد من خلال هذه النقاط:

- أنتم لا تقولون بألوهية آدم وتقولون بألوهية المسيح.
- أنتم تقولون بألوهية المسيح لأنه خلق من أم بلا أب.
- باستعمال القياس العقلي من أولى بالألوهية؟

الجواب: آدم أولى بالألوهية لأنه خلق من غير أم ولا أب، لكن لما كان آدم ليس ابنا لله ولا إلهاً باعتراف النصارى أنفسهم، نتج عن ذلك أن عيسى ليس ابناً ولا إلهاً .

المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى:

بين الله في غير موضع من القرآن دليلا واضحا على قدرته على إحياء الموتى وهو أنه سبحانه ينزل المطر من السماء فتتحول الأرض الميتة إلى خضراء حية مثمرة فلو أعملتم أيها المخاطبون عقولكم لعلمتم أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ**

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (2/126)

﴿تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: 39]، ففي هذه الآية "شبه إمداد الأرض بماء المطر الذي هو سبب انبثاق البزور التي في باطنها التي تصير نباتا بإحياء الميت، فأطلق على ذلك أحياها على طريق الاستعارة التبعية، ثم ارتقي من ذلك إلى جعل ذلك الذي سمي إحياء لأنه شبيه الإحياء دليلا على إمكان إحياء الموتى بطريقة قياس

الشبه، وهو المسمى في المنطق قياس التمثيل، وهو يفيد تقريب المقيس بالمقيس عليه، وليس الاستدلال بالشبه والتمثيل بحجة قطعية، بل هو إقناعي ولكنه هنا يصير حجة لأن المقيس عليه وإن كان أضعف من المقيس إذ المشبه لا يبلغ قوة المشبه به، فالمشبه به حيث كان لا يقدر على فعله إلا الخالق الذي اتصف بالقدرة التامة لذاته فقد تساوى فيه قويه وضعيفه، وهم كانوا يحيلون إحياء الأموات استنادا للاستبعاد العادي، فلما نظر إحياء الأموات بإحياء الأرض المشبه تم الدليل الإقناعي المناسب لشبهتهم الإقناعية، وقد أشار إلى هذا تذييله بقوله: (إنه على كل شيء قدير) "[1]

المطلب الرابع: استعمال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقياس:

وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم القياس في إجابته على أسئلة الناس في مواضع عدة منها:

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: " أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟، قال: (نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء). [2]

ـ وعنه أيضا " أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: (أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟)،

---

(1) تفسير التحرير والتنوير (24/303)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: من شبه أصلا معلوما بأصل مبين، حديث رقم: (6885)

قالت: نعم، قال: (فدين الله أحق بالقضاء) [1]

ففي هذين الحديثين استعمل النبي -صلى الله عليه وسلم- القياس مع المرأة السائلة بأن أمها لو كان عليها دين لآدمي لكان عليها قضاءه، فمن باب أولى قضاء الدين المتعلق بحق من حقوق الله.

- وفي الحديث عن أبي ذر، «أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون، إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرا» [2]

فاستعمل النبي - صلى الله عليه وسلم- القياس مع أصحابه عندما بين لهم أن إتيان الرجل أهله يكتب له بذلك أجرمن الله، فتعجب الصحابة وقالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته وهذا شيء تميل إليه النفس وتحبه، ويكون له فيها أجر؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟) يعني: لو وضع الشهوة في الحرام ووقع في الزنا؛ هل يكون عليه إثم وعقوبة؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر؛ فهنا استعمل النبي القياس؛ ليكون المعنى واضحا مستقرا في نفس السامعين.

المبحث الثاني/ أسلوب الجدال

تنوعت أساليب إقامة الأدلة على صدق ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم والسنة المطهرة، لتكون أدعى للقبول وألزم للحجة، وإبطالا للشبهة، مع ملاءمتها لتنوع العقول واختلافها في كل زمان ومكان.

---

(1) رواه مسلم كتاب الصيام، باب: قضاء الصيام عن الميت، حديث رقم: (1148)

(2) رواه مسلم كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (1006)

وقد تميز القرآن الكريم بطريقين للجدل وهما:

"الأول أن تذكر العقيدة الباطلة وينص على شناعتها وفسادها واستنكارها، فحسب.

الثاني أن تحدد الشبهات التي وقع فيها هؤلاء الفرق، ثم تعرض حلولها وأجوبتها بالأدلة البرهانية أو الخطابية."[1]

وسوف يتعرض الباحث لبعض الأمثلة من الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها، ثم بعض الشبهات الواردة في السنة؛ من خلال مطلبين:

المطلب الأول / بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها.

المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة وكيف ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم عليها؟

المطلب الأول / بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: شبهة عبادة الأصنام من دون الله.

المسألة الثانية: شبهة إنكار البعث والرد عليها.

المسألة الأولى: شبهة عبادة الأصنام من دون الله:

(1) "الفوز الكبير في أصول التفسير" للإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (ص 33)، وعَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي ط دار الصحوة – القاهرة، الطبعة: الثانية - 1407 هـ - 1986 م

اتخذ المشركون أوثانا فعبدوها من دون الله وتقربوا إليها بالتقديس والتعظيم وذبح القرابين والدعاء وسؤالها من دون الله، فأرسل الله رسوله محمدا بالهدى ودين الحق ليردهم إلى التوحيد، وقد رد القرآن على شبهاتهم في اتخاذ هذه الأوثان آلهة في عدة مواضع منها:

1- فساد السماء والأرض إن كان فيهما آلهة غير الله:

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: 22-23]

وهذا على سبيل الفرض الجدلي فلو سلمنا لكم أيها المشركون جدلا أن هناك آلهة سوى الله، (وقد كانوا يؤمنون بالله ربا خالقا رازقا) فإنه يلزم من ذلك أن تفسد السماوات والأرض، وبما أن ذلك لم يحدث فليس لله شريك في ملكه، وهناك آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42]

والمعنى: "قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكا من خلقه، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى: لو كان الأمر كما تقولون، وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه -لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه. وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه."(1)

وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]

لكن، لماذا تفسد السماء والأرض إن كان فيهما آلهة غير الله؟

"قالوا: لأنك في هذه المسألة أمام أمرين:

(1) تفسير ابن كثير (5/78)

إما أن تكون هذه الآلهة مستوية في صفات الكمال، أو واحد له صفات الكمال والآخر له صفة نقص. فإن كان لهم صفات الكمال، اتفقوا على خلق الأشياء أم اختلفوا؟

إن كانوا متفقين على خلق شيء، فهذا تكرار لا مبرر له، فواحد سيخلق، والآخر لا عمل له، ولا يجتمع مؤثران على أثر واحد.
فإن اختلفوا على الخلق: يقول أحدهم: هذه لي، ويقول الآخر: هذه لي، فقد علا بعضهم على بعض.
أما إن كان لأحدهم صفة الكمال، وللآخر صفة النقص، فصاحب النقص لا يصح أن يكون إلها، وهكذا الحق – سبحانه وتعالى – يصرف لنا الأمثال ويوضحها ليجلي هذه الحقيقة بالعقل وبالنقل: لا إله إلا الله، واتخاذ آلهة معه سبحانه أمر باطل. (1)

إذن تعدد الآلهة يقتضي التنازع والاختلاف، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة!، وحينئذ يتعين أن القاهر الفعال لما يريد هو الذي يوجد مراده وحده من غير مُنازع ولا مُخالف ولا شريك، وهو اللَّه الخالق الإله الواحد.

2- ومن الاستدلالات العقلية في القرآن على بطلان عبادة الأصنام إثبات عجز جميع المعبودات من دون اللَّه من كل الوجوه:

فخاطبهم قائلا: ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ۝١٩٣ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ۝١٩٥**﴾ **[الأعراف: 191-195]** ، فهي آلهة عاجزة صماء لا تسمع، ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، ولاتملك مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، قال تعالى: ﴿**قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا**

(1) تفسير الشعراوي (15/9508 وما بعدها)

يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: 22] فأولى بكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له وأن تنبذوا عبادة الأصنام.

المسألة الثانية: شبهة إنكار البعث والرد عليها:

كان المشركون ينكرون البعث، ويعتبرون إحياء الخلق مرة أخرى من قبيل الخرافة التي لا تصدق، وأن هذا أمر يرفضه العقل السليم، وهذه الشبهة ربما هي أكثر الشبه وورودا في القرآن مع الرد عليها وتفنيدها.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 3]، و**﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾** [التغابن: 7] ، و**﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾** [المؤمنون: 81-83]

وقد رد القرآن على ما زعموه في غير موضع من آياته بالأدلة والبراهين العقلية الواضحة، ومن ذلك:

1- التأكيد على أن القيامة حق لا ريب فيه:

قال تعالى: **﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾** [النساء: 87]

2- الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى:

قال تعالى: **﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾** [مريم: 66-67]

فكما خلقكم الله من العدم فهو قادر على أن يحييكم ويعيدكم مرة أخرى بعد موتكم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١﴾ [الإسراء: 49-51]

3- الاستدلال بخلق السماوات والأرض:

والمشركون كانوا يقرون بأن الله خالق السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 9]، فإذا كان سبحانه قد خلق ما هو أعظم من خلق الإنسان؛ فقدرته على إعادة الخلق أسهل من خلقه السماوات والأرض، وليس عند الله سهل وصعب وإنما هذا لتقريب المعنى في الأذهان، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57]

"وليس على قدرة الله أكبر ولا أصغر، ولا أصعب ولا أيسر، فهو خالق كل شيء بكلمة؛ إنما هي الأشياء كما تبدو في طبيعتها، وكما يعرفها الناس ويقدرونها؛ فأين الإنسان من هذا الكون الهائل؟ وأين يبلغ به كبره من هذا الخلق الكبير؟ " (1)

4- مثال الأرض الميتة وإحياء الله لها دليل على قدرته على إحياء الموتى:

وهذا من أوضح الأدلة العقلية والحسية التي ساقها القرآن لإثبات البعث وهم يشاهدونها كثيرا ويتشوفون إلى نزول الغيث لأن بنزوله حياة للأرض وحياة لهم ولأنعامهم، قال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: 50]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ

(1) تفسير الظلال (5/3090)

ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: 9]

المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة وكيف ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم عليها؟

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مناقشة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبعرى.

المسألة الثانية: عسى أن يكون نزعه عرق.

المسألة الأولى: مناقشة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبعرى:

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المسجد غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه، وتلا عليه وعليهم :﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأنبياء: 98-100]

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عبد الله بن الزبعري حتى جلس معهم، فقال الوليد بن المغيرة لـعبد الله بن الزبعري :والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفًا ولا قعد، وقد زعم محمد أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعري :أَمَا والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدًا، أَكُلُّ ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عَبَدَه؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرًا، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم.

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعري، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشيطان، ومن أمرهم بعبادته، وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝١٠٢﴾ [الأنبياء:

102-101] أي: عيسى، وعُزير، ومن عبدوا من الأحبار والرهبان، الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله، ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة، وأنهم بنات الله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26] **إلى قوله :**﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 29]، ونزل فيما ذُكر من أمر عيسى وأنه يُعبد من دون الله، وعَجَبِ الوليد ومَن حضره من حجته وخصومته : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ۝٥٧ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ۝٥٨ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ۝٥٩ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ۝٦٠ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ۝٦١﴾ **[الزخرف: 57-61]** (1)

فهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- بلغ قريشا عن ربه أنهم وأصنامهم التي يعبدونها من دون الله وقود جهنم وحطبها، فأراد ابن الزبعرى أن يحاجج النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما قال بادعائه أن قولك هذا يلزم منه دخول الملائكة والمسيح والعزير النار، وتعجب الوليد بن المغيرة من حجته وكيف أنهم لم ينتبهوا إليها، ورأوا أنه قد رد بحجة قوية على النبي صلى الله عليه وسلم.

بماذا رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم؟

1- أن دخول من عبد من دون الله النار مشروط بكونه أحب ذلك.

2- أنزل الله تعالى بعدها قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ۝١٠٢﴾ **[الأنبياء: 101-102]**، وفيها اثبات السلامة لمن سبق لهم من الله السعادة وأنهم

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (2/8) بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة. وذكر القصة بنحوها الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ص (150) ط مكتبة صنعاء الأثرية الطبعة الثانية1425هـ، 2004م

عن النار مبعدون، فكل من عبد من دون الله وهو لله عبد طائع ولعبادة من يعبد كاره [1]

3- أن لفظة "ما" يقصد بها أصنامهم وهي تكون لغير العاقل أما العاقل فنستخدم له لفظة "من" فالآية لبيان ضلال أهل مكة وأن أصنامهم جمادات غير عاقلة وأنها سيلقى بها غدا في النار فلا تملك أن تدفع العذاب عن نفسها فضلا أن تدافع عنكم أو ترد عنكم العذاب. [2]

المسألة الثانية: عسى أن يكون نزعه عرق:

وهذه مجادلة دارت بين النبي -صلى الله عليه وسلم- ورجل من أصحابه انتظر قدوم ولده بفارغ الصبر، فلما رزق به إذا بالطفل أسود البشرة، ودخل الشك إلى قلب الرجل كيف جاء الطفل بهذا اللون وهو لا يشبهه ولا يشبه أمه؟

لكن ردة فعل الرجل كانت عاقلة ولم يفعل شيئا فيه رعونة، وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق المؤيد بالوحي يستطيع أن يؤكد له أنه ولده ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم حاوره بما يجعله على يقين أن هذا ولده، والقصة رواها أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: (جاء رجل من بني فزارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي ولدت غلاما أسود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورق؟ قال: إن فيها لورقا. قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عرق)[3]

فالنبي صلى الله عليه وسلم أدرك ما يعرض به الرجل على الفور، فأراد أن يطمئنه أن هذا الاختلاف في لون بشرة الطفل جائزٌ عقلاً، وذكر له حجة واضحة مما يناسب فهم الرجل وبيئته، فقال له: (هل لك من إبل؟)، قال: نعم،

---

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (18/538)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (5/381) وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- أن عبد الله بن الزبعرى أسلم وصار من الشعراء المشهورين.

(3) رواه البخاري في صحيحة كتاب الطلاق باب: إذا عرض بنفي الولد، حديث رقم (4999) ورواه مسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب اللعان برقم (1500)

قال: (ما ألوانها؟)، قال: حُمْر، فسأله إن كان فيها ما يُخالف لونها وما سبب ذلك؟ فقال: أراه عرقٌ نزعه، قال: (فلعل ابنك هذا نزعه عرق).

فكانت هذه الحجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا لإثلاج صدر الرجل، وهدأت من نار الشك عنده، فطمأنه أن اختلاف لون البشرة قد يرجع لأسباب وراثية؛ فقد يكون أحد أجداد ابنك من قبل أبيه أو أمه كانوا سود البشرة فنزعه عرق، فاقتنع الأعرابي.

وهنا تبرز عدة نقاط في مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي:

1- حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأمور؛ فالسائل أعرابي من البادية، والمسألة متعلقة بالعرض والشرف فلم يكن من الحكمة الاكتفاء بالجواب المباشر بأنه ابنه ويتركه مع هواجسه دون أن يتيقن بذلك.

2- مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لاختلاف العقليات؛ فاختار مثالاً من بيئة السائل.

3- لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم الخبر مباشرة وإنما أنطق الأعرابي بالإجابة من خلال أسئلته له، ومن خلال إجاباته قاد الأعرابي نفسه بنفسه إلى النتيجة.

المبحث الثالث/ أسلوب الحوار

لو تصفحنا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لرأينا اهتماما كبيرا بالحوار مع المخالفين مع المشركين ومع المنافقين ومع أهل الكتاب.

والحوار العقلي الهادئ نتائجه دائما تعود بالخير على الطرفين، وفيه إظهار للحق وبيان حجته، وإقامة البرهان على بطلان الباطل ودحض شبهاته.

وقد تعددت أسباب الحوار في الكتاب والسنة فمنها ما فيه الدعوة للإسلام، ومنها ما يكون لإقامة الحجة على المخالفين، ومنها ما يكون لرد الشبهات، وسوف يستعرض الباحث أمثلة على ذلك من الكتاب والسنة من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين.

المطلب الثاني: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب.

المطلب الثالث: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أعرابي من نجد.

المطلب الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين:

كثرت حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين خاصة في القرآن المكي، وكانت تدور حول الشبهات التي يرددونها لتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ومحاولة صد الناس عنه، من ذلك طلبهم لبعض الأمور من النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر الله تعالى ﴿**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٣**﴾ **[الإسراء: 90-93]**، فهذا حوار يبين ما كان عليه القوم من العنت والمكابرة فقد طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم عدة أمور هي:

1- لن نصدق ما جئتنا به إلا أن تخرج لنا من أرض مكة ينبوعا، أي عين دائمة الماء بلا انقطاع.

2- أو تكون لك حديقة فيها النخيل والأعناب؛ تجرى الأنهار في وسطها بكثرة علامة على خصوبتها وكثرة خيراتها.

3- أو تسقط علينا السماء وفقا لما توعدتنا به، من أن ينزل علينا عذابا متقطعا من السماء.

4- أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ عيانا نراهم.

5- - أوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ من ذهب.

5- أَو تصعد إلى السماء، وَلَنْ نصدق بصعودك إليها مع مشاهدتنا لذلك حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا منها كِتاباً نَقْرَؤُهُ وفيه ما يدل على أنك رسول من عند الله.

بماذا رد على طلباتهم؟

لا شك أن تحقيق ما طلبوا سهل يسير على الله تعالى، لو شاء لفعله ولأجابهم إلى جميع ما سألوا وطلبوا، ولكن علم الله أنهم لا يهتدون، فأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يرد عليهم على سبيل التعجب من سوء تفكيرهم قائلا لهم: سبحان الله هل أنا إلا بشر كسائر البشر، ورسول كسائر الرسل، وليس من شأن من كان كذلك أن يأتي بتلك المطالب المتعنتة التي طلبتموها، وإنما من شأنه أن يبلغ ما أمره الله بتبليغه. (1)

المطلب الثاني: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب:

كثرت حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى خاصة في القرآن المدني، وكانت تدور حول تفنيد الشبهات التي كانت تحول بينهم وبين الإيمان بالله ورسوله، أو الصد عن سبيله، ومنها ما جاء في سورة آل عمران مع أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٧١﴾**﴾ **[آل عمران: 64-71]**

---

(1) انظر تفسير ابن كثير (5/117 وما بعدها)

ونلاحظ في هذا الحوار النقاط التالية:

1- يلاحظ في الحوار مناداتهم أربع مرات (يا أهل الكتاب) للتنبيه، ولفت النظر لما سيقال، وفيه زيادة في توبيخهم ولإنكار ما هم عليه، والتعجيب من شأنهم، فقد أوتوا الكتاب ولم يعملوا بما فيه.

2- دعوتهم إلى الإنصاف وقول مالا تختلف عليه العقول السليمة، لأنها كلمة عادلة مستقيمة ليس فيها ميل عن الحق.

3- البدء بالأهم فالمهم، فبدأ بالدعوة التي جاء بها الأنبياء جميعا وهي توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وعدم الشرك به، وترك عبادة المخلوقين، فكلهم لله عبيد، إنما اصطفاهم الله للتبليغ عنه، لا لمشاركته في الألوهية والربوبية .

4- الوضوح والمفاصلة معهم؛ فلا مجاملة لهم على حساب الحق، ولكن نعلمكم أن الحوار سيتوقف بعد إقامة الحجة عليكم وتوليكم عن اتباع الحق، لكن اشهدوا على إسلامنا، لئلا يظهروا إعراض المسلمين عن الاسترسال في محاجتهم في صورة العجز والتسليم بأحقية ما عليه أهل الكتاب.

4- إقامة الحجة التاريخية عليهم؛ فقد زعم كل فريق منهم أنهم على دين إبراهيم توصلا إلى أن الذي خالف دينهم لا يكون على دين إبراهيم كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم، فإن التوراة والإنجيل ما نزلا إلا من بعده بأزمان طويلة، فكيف يكون يهوديا يدين بالتوراة، أو كيف يكون نصرانيا يدين بالإنجيل؟ فهذه الحجة في شأن إبراهيم ظاهرة البطلان واضحة الفساد.

5- وقوله: (أَفَلا تَعْقِلُونَ) توبيخ لهم على عدم فهم هذا الأمر البديهي وهو أن المتقدم على الشيء لا يمكن أن يكون تابعا للشيء المتأخر عنه.
فالاستفهام لتوبيخهم وتجهيلهم في دعواهم أن إبراهيم- عليه السّلام- كان يهوديا أو نصرانيا.
6- بيان أنهم مخالفون لمقتضيات العقول السليمة، فإنهم يجادلون في أمر ليس لهم به علم أصلا، وهو المجادلة في دين إبراهيم وشريعته؟
لأنه من البديهي أن إبراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا إذ وجوده سابق على وجودهما بأزمان طويلة.

7- تعرية انتسابهم إلى الخليل إبراهيم بالحجة القاطعة بالتأكيد على أن إبراهيم - عليه السلام- براء من كل دين يخالف دين الإسلام فلم يكن يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا، وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

9- التأكيد على أن أقرب الناس من إبراهيم الذين أجابوا دعوته في حياته واتبعوا دينه وشريعته بعد مماته، والنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم وَالَّذِينَ آمَنُوا بمحمد صلّى الله عليه وسلّم واتبعوه.
وفي هذا تنويه بشأن الأمة الإسلامية، وتقرير بأن أتباع محمد صلّى الله عليه وسلّم أحق بالانتساب إلى إبراهيم من أهل الكتاب لأن المؤمنين طلبوا الحق وآمنوا به، أما أهل الكتاب فقد باعوا دينهم بدنياهم، وتركوا الحق جريا وراء شهواتهم.

10- يختم الحوار بالتوبيخ لهم: لماذا تكفرون بآيات الله- تعالى- التي يتلوها عليكم نبيه محمد -صلّى الله عليه وسلّم-، وأنتم تعلمون صدقها وصحتها، وفي هذا النداء إشارة إلى أن ما أعطوه من علم كان يقتضي منهم أن يسارعوا إلى الإيمان لا أن يكفروا بآيات الله الدالة على صدق نبيه صلّى الله عليه وسلّم والتي تتناول القرآن الكريم، والحجج والمعجزات التي جاءهم بها صلّى الله عليه وسلّم.
11- تم وجه إليهم- سبحانه- نداء رابعا: يا أهل الكتب لماذا تخلطون الحق الواضح بالباطل الذي تخترعونه من عند أنفسكم إرضاء لأهوائكم؟ ولماذا تكتمون الحق الذي تعرفونه كما تعرفون أبناءكم، والسؤال هنا كسابقه للتوبيخ والتقريع. [1]

المطلب الثالث: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أعرابي من نجد:

كان الأعراب سكان البادية يأتون النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم شيء من الغلظة وحدة الطبع مثل مناداة النبي صلى الله عليه وسلم باسمه أو رفع الصوت والمبالغة في ذلك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم رحيما بهم حليما عليهم وله مواقف عدة معهم ودارت حوارات يتعلم منها الدعاة إلى الله كيفية التعامل مع مثل هذه النوعية من الناس:

عن طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد، ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات في اليوم والليلة)

فقال: هل علي غيرها؟ قال: (لا إلا أن تطوع).

---

(1) ينظر تفسير الكشاف للزمخشري (1/370 وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (2/55 وما بعدها)، وتفسير الظلال لسيد قطب (1/406 وما بعدها)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (2/133 وما بعدها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وصيام رمضان). قال هل علي غيره؟ قال: (لا إلا أن تطوع).

قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: (لا إلا أن تطوع).

قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفلح إن صدق)[1]

وعن أنس بن مالك قال: (بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ.

فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (قد أجبتك).

فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: (سل عما بدا لك).

فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟

فقال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: (اللهم نعم).

قال أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟

قال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم).

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام حديث رقم (46)

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر) [1]

ونلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهل البادية تحمل جفوتهم، وحدة طباعهم، باللين والرفق وسلوك الحكمة في الرد عليهم، أيضا نلاحظ في رده على أسئلتهم البيان والوضوح والاختصار.

المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال

المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة.

المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر.

المطلب الرابع: مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ اللَّه، وَالْوَاقِعِ فيها.

المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن.

المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحا:

الأمثال لغة: جمع مثل: يقال: هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى؛ والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله. [2]

واصطلاحا: هو" عبارة عن قول في شيء يشبه قولًا في شيء آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوره "[3]

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب: ما جاء في العلم. وقوله تعالى: (وقل رب زدني علما) حديث رقم (63)

(2) ينظر لسان العرب (6/4132)

(3) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (759)

وقد ضرب الله تعالى لنا الأمثال في القرآن الكريم، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فالأمثال وسيلة سهلة وسريعة في الإقناع، وإزالة الغموض وتقريب المفاهيم، بشحذ ذهن المخاطب واستثارة همته للبحث والتفكير للاقتناع بأمر من الأمور أو لإزالة شبهة من الشبهات.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43] وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]

المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة:

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261] ، هذا مثال ضربه الله تبارك وتعالى لعباده لبيان مضاعفة أجر الصدقة لمن أنفق من ماله في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن هذه الحسنة تتضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وشبه ذلك بصورة حسية يعرفها المخاطبون وهي حبة القمح تزرع فينبت الله بها سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة.

يقول ابن القيم- رحمه الله- [1]:(وهذه الآية كأنها كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض، ومثل سبحانه بهذا المثل إحضارا لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته؛ كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني فيقوى إيمان المنفق وتسخو نفسه بالإنفاق، وتأمل كيف

---

(1) الإمام ابن قيّم الجوزية -رحمه الله- (751 – 691) هـ هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حرَيْزٍ الزُّرَعي، شمس الدين أبو عبد الله بن قيّم الجوزية، ولد سنة 691هـ، وتفقه في المذهب الحنبلي، ولازم شيخه ابن تيمية وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وتوفى سنة 751هـ. ينظر في ترجمته: ذيل طبقات الحنابلة للحافظ لابن رجب، (2/447) وصححه: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة 1732 هـ - 1952 م

جمع السنبلة في هذه الآية على سنابل وهي من جموع الكثرة إذ المقام مقام تكثير وتضعيف وجمعها على سنبلات في قوله تعالى :(وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فجاء بها على جمع القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير.

وقوله تعالى :(والله يضاعف لمن يشاء) قيل المعنى والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق، بل يختص برحمته من يشاء، وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه ولصفات المنفق وأحواله في شدة الحاجة وعظيم النفع وحسن الموقع، وقيل والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك فلا يقتصر به على السبعمائة، بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة.

واختلف في تفسير الآية فقيل مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة وقيل مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة ليطابق الممثل للممثل به فههنا أربعة أمور منفق ونفقة وباذر وبذر فذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه فذكر من شق الممثل المنفق إذ المقصود ذكر حاله وشأنه وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها وذكر من شق الممثل به البذر إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة وترك ذكر الباذر لأن القرض لا يتعلق بذكره؛ فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والإيجاز المتضمن لغاية البيان، وهذا كثير في أمثال القرآن بل عامتها ترد على هذا النمط ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها وهما الواسع والعليم فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطاؤه؛ فإن المضاعف واسع العطاء واسع الغنى واسع الفضل.

ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها ومن لا يستحقها، ولا هو أهل لها فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه. اهـ."[1]

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية (2/792) حققه: محمد أجمل الإصلاحي وآخرون، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)

المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر:

ضرب الله مثلا وهو: أن الأرض الطيبة التربة يخرج نباتها حسنا غزير النفع بمشيئة الله وتيسيره، والذي خبث من الأرض كالسبخة منها لا يخرج نباته إلا قليلا عديم الفائدة، قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾ **[الأعراف: 58]**

وفي تفسير هذه الآية قولان:

(**القول الأول:** وهو المشهور أن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالأرض الخيرة والأرض السبخة، وشبه نزول القرآن بنزول المطر، فشبه المؤمن بالأرض الخيرة التي نزل عليها المطر فيحصل فيها أنواع الأزهار والثمار، وأما الأرض السبخة فهي وإن نزل المطر عليها لم يحصل فيها من النبات إلا النزر القليل، فكذلك الروح الطاهرة النقية عن شوائب الجهل والأخلاق الذميمة إذا اتصل به نور القرآن ظهرت فيه أنواع من الطاعات والمعارف والأخلاق الحميدة، والروح الخبيثة الكدرة وإن اتصل به نور القرآن لم يظهر فيه من المعارف والأخلاق الحميدة إلا القليل.

والقول الثاني: أنه ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن والكافر، وإنما المراد أن الأرض السبخة يقل نفعها وثمرتها، ومع ذلك فإن صاحبها لا يهمل أمرها بل يتعب نفسه في إصلاحها طمعًا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة، فمن طلب هذا النفع اليسير بالمشقة العظيمة، فلأن يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الآخرة بالمشقة التي لابد من تحملها في أداء الطاعات، كان ذلك أولى. [1]

المطلب الرابع: مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ اللَّه، وَالْوَاقِعِ فيها:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من

---

(1) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (14/291)

فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) [1]

هذا الحديث يضرب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا لشيء معقول بشيء محسوس فهو مثل للقائم على حدود الله والواقع فيها بأمر محسوس، فشبه الناس بركاب سفينة واحدة، اقترعوا على ركوب سفينة فبعضهم كان نصيبه في أسفلها وبعضهم في أعلاها، فإذا قام الفريق الذي بأسفلها بخرقها لمواجهتهم مشكلة في شرب الماء وجلبه فأرادوا بهذا الخرق الشرب مباشرة من الماء دون الحاجة إلى الصعود إلى الأعلى؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم يوضح أنهم لن يغرقوا وحدهم، بل سيكون فعلهم الأحمق سببا لغرق الجميع.

فإن تركهم الفريق الذي يسكن في الأعلى غرق الجميع، ودخل عليهم الماء، وإن أخذوا على أيديهم ومنعوهم نجوا جميعاً.

فهذا حال جماعة من الناس بالمجتمع، حال من يظهر معصيته، ويجهر بها ويصر عليها فماذا يفعل الناس معه؟ إذا أخذ العقلاء والحكماء على أيديهم فمنعوهم من تلك المفسدة نجوا جميعا، وإن تركوهم بدون نهي أو منع من المنكرات تنزل بهم جميعا عقوبة عامة، كما قال الله -تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ**﴾ [الأنفال: 25]

فتضمن الحديث ما يلي:

- تشبيه أحكام الإسلام بالسفينة في عرض البحر تنقل ركابها من فتن الدنيا إلى السعادة والأمان والنجاة في الدنيا والآخرة بشرط أن يحافظوا عليها.

- تمثيل الناس برُكَّاب السفينة الذين يجب عليهم الحرص على سلامتها؛ لارتباط حياتهم بسلامتها من الخرق والعيب فيها.

- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه سلامة الجميع، وأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه هلاك الجميع.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم: (2361)

المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن:

جاء الأمر للمؤمنين في القرآن والسنة كثيرا بتلاوة القرآن وترديد آياته، والهدف من ذلك الوصول إلى فهمه وتدبر آياته والعمل بما فيها، حتى نكون من المهتدين إلى طريق الحق، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن والمنافق مع القرآن بصورة محسوسة؛ ليكون ذلك أوقع في نفوس السامعين، وأوضح في المعنى.

والحديث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر)[1]

فهنا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل لأمر معقول وهو قراءة القرآن بأمر حسي يعرفه المخاطب.

وقد شرح العلامة بدر الدين العيني[2] هذا المثل النبوي فقال: (وهذا معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونة إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره.

وإن العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ، ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي أو بالعكس، وهو المؤمن الذي لم يقرأه، وإبراز هذه المعاني وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث ولم يجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك لأن المشبهات والمشبه بها واردة على التقسيم الحاضر، لأن الناس إما مؤمن أو غير

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، حديث رقم: (4732)

(2) العلامة بدر الدين العيني (762 - 855 هـ = 1361 - 1451 م) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية. انظر ترجمته في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي (10/131) والأعلام للزركلي (7/163)

مؤمن والثاني إما منافق صرف أو ملحق به، والأول إما مواظب عليها، فعلى هذا قس الأثمار المشبه بها، ووجه التشبيه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين: طعم وريح.

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال فإنها من ثمرات النفوس، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق تنبيها على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ودوام ذلك، وتوقيفا على ضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه.) [1]

إذن في هذا الحديث الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ضرب المثل لحال المؤمن والمنافق مع القرآن بأربعة أنواع وهي:

الأول: المسلم الذي يداوم على قراءة القرآن، شبهه بفاكهة الأترجة وهي فاكهة لها طعم طيب وملمس ناعم ورائحة جميلة، وكذلك حال المؤمن الذي يقرأ القرآن، ويفهم آياته ويعمل بها، فهو ذو خلق حسن وطيب في داخله وخارجه.

الثاني: المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، شبهه بالتمرة، فالتمر ثمر طيب الطعم، لكن ليس له رائحة.

الثالث: الفاجر العاصي الذي يقرأ القرآن الكريم، شبهه بالريحان، وهو نبات ذو رائحة جميلة، لكن طعمها مر غير طيب.

الرابع: الفاجر الذي لا يقرأ القرآن ومستمر في عصيانه، بالحنظلة، وهي نوع من النبات، ليس لها رائحة طيبة، وطعمها مر، غير مرغوب فيها.

****

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة بدر الدين العيني (20/38) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي وصوَّرتها دور أخرى: مثل (دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) - بيروت

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.

المبحث الثاني/ المعجزات الحسية.

المبحث الثالث/ القدوة العملية.

المبحث الرابع/ تغير المنكر باليد.

المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة محمد -عليه السلام-

المنهج الحسي من المناهج المؤثرة دعويا في دعوة الكثير من الناس لأنها تعتمد على الإدراك بالحواس، مما يسهل على الناس إدراكه بلا مشقة، ويصعب إنكاره أو تكذيبه، وقد استخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا المنهج في الدعوة إلى الله في عدة صور يتناولها الباحث في خمسة مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.

المبحث الثاني/ المعجزات الحسية.

المبحث الثالث/ القدوة العملية.

المبحث الرابع/ تغير المنكر باليد.

المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.

دعا القرآن الكريم الناس لإعمال حواسهم بالنظر والتأمل والاستدلال على عظمة الله ووحدانيته في آيات كثيرة من القرآن منها على سبيل المثال، قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: 60-64]

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴿١١﴾﴾ [ق: 6-11]

يقول ابن القيم- رحمه الله-: (والنظر في هذه الآيات وأمثالها نوعان:

نظر اليها بالبصر الظاهر فيرى مثلا زرقة السماء ونجومها وعلوها وسعتها وهذا نظر يشارك الانسان فيه غيره من الحيوانات وليس هو المقصود بالأمر.

الثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته ويرى السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة ويرى الملائكة حافين من حوله لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير والامر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها الا ربها ومليكها فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين وإعزاز قوم وإذلال آخرين وإسعاد قوم وشقاوة آخرين وإنشاء ملك وسلب ملك وتحويل نعمة من محل إلى محل وقضاء الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها من جبر كسر وإغناء فقير وشفاء مريض وتفريج كرب ومغفرة ذنب وكشف ضر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ورد آبق وأمان خائف وإجارة مستجير ومدد لضعيف وإغاثة الملهوف وإعانة لعاجز وانتقام من ظالم وكف العدوان.

فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في أقطار العوالم لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا تنقص ذرة من خزائنه لا إله إلا هو العزيز الحكيم فحينئذ يقوم القلب بين يدي

الرحمن مطرقا لهيبته خاشعا لعظمته عان لعزته فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم المزيد)[1]

وعبادة التفكر بالنظر في جمال الكون وعظمة المخلوقات عبادة من أجلّ العبادات التي تغيب عن الناس، ومهمة الدعاة إلى الله هي أن يلفتوا الأنظار وينبهوا الناس على هذه الآيات العظيمة لأن فيها ثمرات إيمانية عدة منها:

1- الاستدلال على عظمة الله بعظيم خلقه وطلاقة قدرته وإتقان صنعته، فلا خلل ولا نقص كما قال سبحانه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88]

2- الاستدلال على وحدانيته جل وعلا وبطلان كل معبود سواه جل وعلا قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: 11]

3- إدراك العبد لمدى ضعفه وقدرة الله عليه، وأن الله الذي هيأ له هذا الكون إنما هيأه لعبادته وحده لا شريك له، فلم يخلق الله هذا الكون الفسيح عبثا ولا لعبا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ۝١٧﴾ [الأنبياء: 16-17]

4- التفكر يزيد الإيمان في القلوب مما يجعل في القلب خشية لله بتقواه، قال تعالى :﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 6]

---

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية (1/201)، ط دار الكتب العلمية - بيروت

المبحث الثاني/ المعجزات الحسية

أيد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات الحسية التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها والتي تكون سببا في إقامة الحجة على من حضرها وعاينها من الكفار وزيادة في إيمان المؤمنين بالله -عز وجل-

ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة صنفت فيها مؤلفات عديدة، وسيتعرض الباحث لذكر أشهر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، في أربعة مطالب:

المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن.

المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج.

المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر.

المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء.

المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن:

عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) (1)

يقول الإمام النووي في شرحه للحديث: (اختلف فيه على أقوال:

أحدها: أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء فآمن به البشر وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يعط أحد مثله فلهذا قال أنا أكثرهم تابعا.

والثاني: معناه أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخييل بسحر وشبهة بخلاف معجزة غيري فإنه قد يخيل الساحر بشيء مما يقارب صورتها كما خيلت السحرة في صورة عصا موسى صلى الله عليه وسلم والخيال قد يروج على

---

(1) الحديث سبق تخريجه ص (200)

بعض العوام والفرق بين المعجزة والسحر والتخييل يحتاج إلى فكر ونظر وقد يخطئ الناظر فيعتقدهما سواء.

والثالث: معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المستمر إلى يوم القيامة مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته، فلم يقدروا وهم أفصح القرون مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة والله أعلم.) (1)

ولو تأملنا الأنبياء السابقين لوجدنا أن لكل نبي معجزات، وله منهجٌ جاء به، الكتابُ المنزل عليه، والمعجزة غير المنهج، فنبي الله عيسى كان له معجزات وأنزل عليه الإنجيل، وجاء بشريعة التوراة ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران: 50]، ونبي الله موسى جاء بشريعة التوراة، وكان له معجزات اليد والعصا وانشقاق البحر وغير ذلك، لكن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى المعجزات الحسية التي رآها الصحابة، جاء بمعجزةٍ باقيةٍ خالدة هي معجزة القرآن.

يعني لو قلنا مثلاً لواحد من اتباع نبي الله موسى ما الدليل على نبوة موسى؟ سيقول حدثت له معجزات كذا وكذا وكذا..... نعم هذه معجزات حسية لمن رآها بعينه، لمن حضرها وشاهدها، لكن بالنسبة لنا هي خبر، طبعاً نحن كمسلمين نصدق بهذه المعجزات لأن الله أخبر بها، لكن نحن نتكلم عن شيء حسي ملموس باقٍ إلى يومنا هذا، ونفس الكلام يقال في معجزات نبي الله عيسى، إنها معجزات كانت لمن شاهدها، وحضرها.

لكننا نحن المسلمين حينما نتكلم عن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها المعجزة الباقية الخالدة معجزة القرآن كتاب الله، الذي تكفل الله تعالى بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فصانه الله تعالى من التبديل، والتغيير، والتحريف، فهو كما هو منذ أن نزل على النبي صلى الله

---

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي (2/188)

عليه وسلم إلى يومنا هذا ، ولا يعرف في تاريخ البشرية كلها كتاباً أجمع على صحته مع طول تاريخه كالقرآن ولا يعرف كتاب اهتم به العالم أجمع بدايةً من طبعه إلى صيانته إلى حفظه إلى رعاية علومه... لا يعرف كتاب كالقرآن الكريم، بل الأعجب أنه كلما امتد الزمان زادت وسائل الحفظ فبعد أن كان القرآن يكتب على الحجارة العريضة وعلى سعف النخيل وعلى الجلود صار يطبع على الأوراق ثم تطورت الأمور إلى ما نراه الآن من انتشارٍ عجيب للقرآن الكريم على كل الاجهزة الالكترونية الحديثة والاسطوانات الموجودة الصوتية ، والمطبوعات المختلفة ، وصار القرآن يرتل بجميع رواياته التي لا يعرف الناس كثيرا منها ، وصارت هناك مصاحف بهذه القراءات ، فكلما امتد الزمان زادت وسائل الحفظ، لأن رسول الله هو خاتم النبيين لا نبي بعده، فأيده جل وعلا بهذه المعجزة الباقية، وكأنها خاتمة المعجزات التي يمتد أثرها في تاريخ البشرية إلي أن يرث الله الارض ومن عليها، فالقرآن كلام الله فهو صفةٌ من صفات ذاته جل وعلا باق ببقاء الله سبحانه وتعالى. (1)

فالقرآن معجزةٌ باقية؛ فهو بين أيدينا بنصه، وفيه ما فيه من الأمور التي لم يكن لأحدٍ أن يعرفها لم يكن هناك جامعات علمية، ولا وسائل التعليم المتاحة والموجودة الآن، لكن القرآن رتلت آياته منذ أربعة عشر قرناً من الزمان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من بعده كما هو، وألفت مؤلفات كثيرة عن الإعجاز البياني، والإعجاز البلاغي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التاريخي، حتى يتبين للجميع كيف أن هذا القرآن ليس صنيع بشر؛ وإنما هو كلام رب العالمين سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج:

وهذا الحدث من أكبر المعجزات التي أيد الله بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، **قال تعالى:** ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ **[الإسراء: 1]**، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا

(1) ينظر معجزة القرآن للشعراوي (1/26 وما بعدها) ط دار أخبار اليوم

﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝١٧ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ۝١٨﴾ [النجم: 13-18]، وقد وردت روايات كثيرة في الصحيحين وكتب السنن والمسانيد عن الإسراء والمعراج سيكتفي الباحث برواية الصحيحين:

عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، (فقال له خازنها مثل ما قال الأول، ففتح). قال أنس: فذكر: أنه وجد في السماوات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم، صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر: أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة، قال أنس: فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس، قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح. (فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى، فقال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم.

قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم: أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري: كانا يقولان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام). قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت

على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك) (1)

فجاء حادث الإسراء والمعراج ليرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حفاوة الملأ الأعلى بعد ما أصابه من أذى في رحلة الطائف، وفيها اثبات لقدرة الله عز وجل وصدق النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها إبراز لمكانته بين الأنبياء.

المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر:

من المعجزات التي أيَّد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، معجزة انشقاق القمر إلى شقين، حتى رأى بعض الصحابة جبل حراء بينهما.

ووقعت هذه المعجزة عندما طلب كفار مكة من النبي صلى الله عليه وسلم آية تدل على صدق دعوته، وجاء ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم وأنها علامة من علامات اقتراب الساعة، قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۝٢**﴾ **[القمر: 1-2]**

وفي الحديث عن أنس- رضي الله عنه-: (أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما) (2)

---

(1) أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء، حديث رقم (342) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: (163)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الصحابة، باب انشقاق القمر حديث رقم (3655)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا) [1]

فهذه آية حسية رآها أهل مكة، وأقام الله بها الحجة عليهم لكنها لم تغيّر من عنادهم وكبرهم، بل رددوا سخافاتهم المتكررة بأن هذا سحر مستمر.

المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء:

الماء نعمة من نعم الله العظيمة التي تستمر بها الحياة كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]، والله تعالى بقدرته ينزل المطر من السحاب ويفجر في الأرض عيونا وينابيع فيغيث به البلاد والعباد، فما بالنا بماء يفور من بين أصابعه الشريفة صلوات ربي وسلامه عليه فيسقي جيشا من ألف وخمسمائة هم ودوابهم، يوم الحديبية ، فكانت آية بينة على أنه رسول الله رآها الصحابة -رضوان الله عليهم؛ كما يحكي جابر – رضي الله عنه – قائلا: (عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة- إناء من جلد-، فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا، وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة) [2]

ومن ذلك ما حصل بالزوراء - وهو مكان قرب السوق في المدينة - مما نقله أنس -رضي الله عنه-، قال: (أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناءٍ وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة) [3]

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب (وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا) حديث رقم (3655)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (3383)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (3379)

فهذه آية حسية يراها الصحابة بأعينهم وقد نفد الماء منهم؛ فيجري الله الماء بقدرته على يدي النبي صلى الله عليه وسلم، مما كان ولا شك له الأثر البالغ في زيادة إيمانهم، وقوة يقينهم في الله وأنه ناصر نبيه وعباده المؤمنين.

المبحث الثالث/ القدوة العملية

إن كثيرا من المناهج والنظريات والأفكار والمبادئ تبقى حبرا على ورق فلا تجد من يطبقها، ولا من يبعث فيها الروح، فإذا قام عليها من يطبقها فإنها تتحول من كلمات إلى واقع مرئي محسوس، وقد أنزل الله تعالى منهجا وهو القرآن وبعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومعلما، فكان خير مطبق لهذا المنهج، يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]

والأسوة: " بكسر الهمزة وضمها اسم لما يؤتسى به، أي: يقتدى به ويعمل مثل عمله."[1]

فكان صلى الله عليه وسلم خير مثال يحتذى لتطبيق منهج الله، ولذلك امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بهذه النعمة العظيمة فقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151]

فأرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشرا لتتحقق فيه القدوة، فيصلي النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لأصحابه: (صلوا كما رأيتموني أصلي) [2]

وكان يصلي الفرائض، ويتنفل بقيام الليل حتى تتورم قدماه، ولما يعاتب أو يراجع في ذلك يقول: (أفلا أكون عبدا شكورا) [3]

---

(1) تفسير التحرير والتنوير (21/302)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم حديث رقم (5662)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب التهجد، باب: قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه حديث رقم (1078)

وكذلك في مناسك الحج قال -صلى الله عليه وسلم- (لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه) [1]

فكان صلى الله عليه وسلم قدوة مرئية محسوسة يراها الناس فلا تجد شيئا في حياته صلى الله عليه وسلم، ولا قولا قاله بعيدا عن هذا المنهج الرباني - القرآن-، فكان صلى الله عليه وسلم يري الناس كيف يصلون وكيف يحجون وكيف يتعبدون لله تعالى، فكان خير معلم وخير مطبق لمنهج الله – سبحانه وتعالى – وربى أصحابه على هذا المنهج حينا بعد حين، وكان مع هذا كله يتحلى صلى الله عليه وسلم بالصبر وبالحلم والرفق والرحمة، -فقد كان معلما رحيما صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع/ تغيير المنكر باليد

من الوسائل الحسية تغيير المنكر باليد وإزالته على وجه يراه الناس جميعا من ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [2].

فالتغيير باليد هو أقوى درجات الإنكار، كما أخبر -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث، وقد غير النبي صلى الله عليه وسلم المنكر بيده عندما دخل مكة فاتحا ودخل الكعبة فأزال الأصنام التي نصبت حولها، وطهرها من أدناس الشرك، وقد روى ذلك ابن مسعود -رضي الله عنه- فقال (دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل). (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) [3]

---

(1) رواه مسلم كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، وبيان قوله صلى الله عليه وسلم: لتأخذوا مناسككم حديث رقم (1297)

(2) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، حديث رقم (49)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح حديث رقم (4036)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قاتلهم الله، لقد علموا: ما استقسما بها قط). ثم دخل البيت، فكبر في نواحي البيت، وخرج ولم يصل فيه) [1]

ومن الصور أيضا لتغيير المنكر باليد لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه يلبس خاتما من ذهب فنزعه من يده وطرحه في الأرض والحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده! فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله، لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم.) [2]

المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة.

المطلب الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتبار بالأمم السابقة.

المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة:

ذكر الله في قصص القرآن الكريم أحوال الأمم السابقة، وما أصابهم من عقوبات شديدة عندما كفروا بالله ورسله، والغرض من ذكرها الاعتبار بحالهم لئلا يصيبنا ما أصابهم، (وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين. ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين كما قال تعالى لما قص

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح حديث رقم (4037)

(2) رواه مسلم كتاب اللباس والزينة، باب في طرح خاتم الذهب، حديث رقم (2090)

قصة يوسف مفصلة وأجمل قصص الأنبياء، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: 111]، أي هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة كنحو ما يذكر في الحروب من السير المكذوبة. وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: 25-26] ،وقال في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أعدائه ببدر وغيرها: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 13] ، وقال تعالى في محاصرته لبني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]، فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة وممن قبلها من الأمم)[1]

وجاء التحذير واضحا بينا في مواضع عدة أن سنة الله -تبارك وتعالى- في كل من كفر به وبرسله أن يهلكهم، فقال شعيب عليه السلام محذرا قومه أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من الأقوام السابقة من عقوبات، إذا استمروا في تكذيبهم ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 89] ، وقال تبارك وتعالى بعد ذكره لعقوبة قوم لوط ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ۝٨٢ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝٨٣﴾

(1) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (28/427)

[هود: 82-83]، والله عز وجل حليم لا يعجل، لأن العجول من يخشى فوات ما يطلب لكنه سبحانه يفعل ما يشاء بحكمته، ويحكم ما يريد بعزته، وهو -تبارك وتعالى- يحلم على عبيده ويمهلهم، وهو سبحانه لا يظلم عباده مثقال ذرة؛ إنما يُصيبهم بذنوبهم بعد تحذيرهم وإنذارهم، وإقامة الحجة عليهم، فإذا أصروا على كبرهم وعنادهم أهلكهم الله، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ **[العنكبوت: 40]**

المطلب الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتبار بالأمم السابقة:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مناسبات عدة يذكر أصحابه من بعض الذنوب التي كانت سببا في إهلاك الأمم السابقة منها على سبيل المثال:

1- **مروره بديار ثمود:** لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بديار ثمود قال لأصحابه:(لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم) [1]

2- التحذير من الركون إلى الدنيا:

فحذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الاغترار بالدنيا وزينتها والتنافس عليها فقال: (فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم) [2]

---

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب أبواب المساجد، باب: الصلاة في مواضع الخسف والعذاب حديث رقم (423) وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، رقم: (2980)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الخمس، باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب حديث رقم (2988) وأخرجه مسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق، رقم: (2961)

3-التحذير من الشفاعة في الحدود:

عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (أتشفع في حد من حدود الله). ثم قام فخطب، قال: (يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) [1]

****

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان حديث رقم (6406)

الخاتمة

- أهم النتائج.
- التوصيات.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاة وسلاما على معلمنا وإمامنا وقدوتنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد/

هنا يصل البحث إلى خاتمته والتي تشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها ثم أتبعها بذكر أهم التوصيات.

أهم النتائج

أولا/ الحقائق العلمية السابقة:

1- القرآن الكريم معجزة رسول الله الخالدة، الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، وكلما أطال المسلم التأمل والنظر في آياته استخرج كنوزا، وخرج بفوائد عظيمة.

2- المقصد الرئيس لسورة هود وماورد فيها من قصص الأنبياء السابقين وأحوالهم مع أقوامهم؛ هو تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والدعاة إلى الله من أمته من بعده في مواجهة المكذبين، وأن الله ناصر عباده المؤمنين وأن الابتلاء لأصحاب الدعوات سنة جارية.

3- دعوة الناس إلى توحيد الله، وتنقية هذا الاعتقاد من كل شائبة شرك هي دعوة الأنبياء جميعا من لدن آدم -عليه السلام- إلى خاتمهم محمد -صلى الله عليه وسلم- وهذا يبين مكانة الدعوة إلى التوحيد في سلم الأولويات الدعوية.

4- ينبغي على الداعي إلى الله أن يعلم أن دلالات نجاحه في الدعوة بإخلاصه لله، وبذل أقصى ما يستطيع في نصح الناس وتعليمهم وإرشادهم، فالدعوة إلى الله ليست بكثرة المستجيبين له، وأنه كلما زاد عدد المؤمنين دل على نجاح الداعية، فهذا نوح – عليه السلام- بقي ألف سنة إلا خمسين عاما وما آمن معه إلا قليل.

5- لقول الحق ضريبة يدفعها المصلحون في كل زمان ومكان، وقد تعرض رسل الله وهم خيرة خلقه وأمناء وحيه، وحملة مشاعل الهداية إلى الناس؛

تعرضوا للسب والاستهزاء والتهكم والتضييق والتهديد بالنفي، ومنهم من قتل، ومنهم من سجن، وكل هذا لم يمنعهم أبدا من مواصلة الدعوة إلى الله.

6- الصراع بين الحق والباطل سنة كونية، والعاقبة للمتقين، والخسار والبوار على المجرمين.

ثانيا / أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الرسالة:

1- سورة هود من سور القرآن التي اشتملت على مناهج الدعوة إلى الله كالمنهج العاطفي والمنهج العقلي والمنهج الحسي؛ وهي مناهج ذات أثر بالغ في النفوس عند تطبيقها في الدعوة إلى الله.

2- المنهج العاطفي من المناهج المهمة في الدعوة إلى الله حيث ينطلق الداعية في دعوته للناس بإظهار العاطفة نحوهم وإظهار الاهتمام بهم، والخوف عليهم بإنذارهم من عذاب الله إن هم أصروا على معصيته، ويستعمل معهم أيضا أسلوبي الترغيب والترهيب، والقصص العاطفية المؤثرة، وتذكيرهم بنعم الله عليهم وأن دوام النعم بدوام شكر الله عليها واستعمالها في مرضاته.

3- المنهج العقلي من المناهج الدعوية التي يستعملها الداعية لتحرير العقل من الجمود والتقليد الأعمى بالدعوة إلى النظر والتأمل والاستدلال، وذلك من خلال المجادلة بالتي هي أحسن والحوار الهادف، وسوق الأدلة القوية، والبراهين الناصعة لإثبات صحة ما يقول ويدعو إليه.

4- المنهج الحسي من المناهج الدعوية المؤثرة في المدعوين لاعتمادها على مخاطبة الحواس، بالدعوة إلى المشاهدة والنظر في الكون والاعتبار بمن سبقنا من الأمم، ومن خلال القدوة الصالحة في الداعية بأن يرى الناس في أخلاقه وسلوكه تطبيقا عمليا لما يدعوهم إليه.

5- على الدعاة إلى الله الاقتداء بالرسل –عليهم الصلاة والسلام-؛ واتباع منهجهم في الدعوة إلى الله، من أجل تحقيق الثمار المرجوة –بإذن الله-

6- على الداعي إلى الله أن يكون ربانيا، قوي الصلة بالله، فيركن دائما إلى ربه، ويستمد القوة والعون والمدد منه -تبارك وتعالى- في حركته

للدعوة ومواجهة أصناف الناس المختلفة، مع يقينه بنصر الله وتخلقه بحسن الخلق الذي يؤثر تأثيراً كبيراً في كسب قلوب الناس.

7- على الداعي إلى الله الاقتداء بنبي الله نوح؛ الذي دعا قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا، فيطرق كل الأبواب والمنابر للدعوة إلى الله، بهمة عالية، وحرص على تبليغ دعوة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: التوصيات

1- أوصي نفسي وطلبة العلم بتقوى الله ومراقبته في السر والعلن، وبالحرص على زكاة العلم بنشره، فإن العلم يزكو بالإنفاق.

2- على الدعاة إلى الله الاجتهاد في أخذ منهج الدعوة إلى الله من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فهما النبعان الصافيان لهذه المهمة العظيمة، وسوف نجد فيهما غنية في معالجة ما يعترض طريق الدعاة إلى الله من عقبات وعوائق.

3- أوصي أن يولي الباحثون في علم الدعوة عنايتهم لدراسة المناهج الدعوية للأنبياء؛ فهذا ميدان خصب يحتاج لمزيد من العناية والدراسة.

4- على الدعاة إلى الله أن يمزجوا في دعوتهم بين الترغيب والترهيب، فلا يكتفي الداعية بالترغيب فقط فيقع الناس في التواكل، ولا بالترهيب فقط فيوقع الناس في اليأس والقنوط.

5- على الدعاة إلى الله أن يناقشوا الأفكار والمعتقدات الخاطئة وعدم السكوت عليها، بالحجة والأدلة وسوق البراهين الواضحة، مع سلوك طريقة القرآن بعدم تسمية من قال هذا القول من أهل الباطل، وإنما نجد السياق القرآني يبرز أهمية مناقشة الاعتقاد الباطل، أو الفكرة الخاطئة وإبطالها دون التوقف طويلا عند قائلها واسمه ولونه وجنسه، حتى لا يؤدي ذلك إلى شخصنة الأمور، والانزلاق إلى هاوية الصراعات الشخصية.

6- تدريب الدعاة إلى الله على كيفية التعامل مع الوسائل الدعوية الحديثة، واستثمار الطفرة الالكترونية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، التي تتميز بقوة التأثير وسرعة الانتشار، وبلوغها أكبر عدد من الناس في زمن قياسي.

7- ضرورة إعداد نخبة من طلبة العلم النبهاء إعدادا جيدا، وتعليمهم اللغات الأجنبية لمخاطبة الشعوب بلسانها ولغتها للقيام بواجب الدعوة إلى الله كما ينبغي.

8- على الدعاة إلى الله مراعاة اختلاف عقليات الناس وأفهامهم، ومراعاة اختلاف الزمان والمكان، ومخاطبة كل نوع منهم بما يناسبه من الأساليب الدعوية.

9- معيار النجاح في الدعوة إلى الله بالبلاغ المبين، وأن يكتب الله للداعية قبولا في قلوب عباده، وليس معيار النجاح الشهرة وذيوع الصيت، فلا يكن هم الداعية إلى الله كثرة المتابعين له على وسائل التواصل أو أن يكون معيار النجاح كثرة المشاهدات لمقاطع الخطب والمحاضرات، فإن هذا التصور الفاسد يؤدي إلى فتور الداعية لقلة عدد متابعيه، أو قلة مرات مشاهدة خطبة ودروسه.

10- أوصي بعقد مؤتمرات علمية تجمع العلماء العاملين في مجال الدعوة للحديث عن مشكلات الدعوة، وسبل معالجتها، وكيفية مواجهة تيارات الإلحاد، والدعاوى الهدامة التي تدعو للانحلال الأخلاقي والتفسخ الاجتماعي، ووضع الخطط المستقبلية للعمل الدعوي.

****

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذه الرسالة عملا خالصا لوجهه الكريم

وأن ينفعني بها حيا وميتا، وأن يديم علينا جميعا شرف الدعوة إلى الله، ونشر الإسلام،

وأسأل الله أن يقر أعيننا بعز الإسلام وعز الموحدين، وأن يرفع راية القرآن على العالمين،

اللهم آمين.

الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

أولا / فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

م	الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	25	331
2	﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ﴾	47	261
3	﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ﴾	49	259
4	﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ﴾	50	259
5	﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا موسى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾	53	262
6	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ﴾	54	246
7	﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾	57	74،262،313
8	﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ﴾	60	263،284،313
9	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾	61	267 ،74،285
10	﴿وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ﴾	67	315
11	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾	68	315،116
12	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾	69	315،116
13	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ﴾	70	315،116
14	﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾	71	315،116
15	﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾	72	315،116
16	﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾	73	315،116
17	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾	74	315
18	﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾	132	283

19	﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾	151	384
20	﴿رَبَّنَا أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾	250	95
21	﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	261	338

سورة أل عمران

22	﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ﴾	13	387
23	﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾	44	44
24	﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾	50	379
25	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾	59	349
26	﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾	64	363
27	﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	65	363
28	﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم﴾	66	363
29	﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا﴾	67	363
30	﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾	68	363
31	﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	69	363
32	﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	70	363
33	﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾	71	363
34	﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾	159	328،335

سورة النساء

35	﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾	77	79

36	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	164	62

سورة المائدة

37	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ﴾	3	80
38	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا﴾	20	74،286
39	﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي﴾	21	74،286
40	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾	22	74،286
41	﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾	23	74،286
42	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا﴾	24	74،286
43	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾	25	74،286
44	﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾	26	74،286
45	﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾	72	333

سورة الأنعام

46	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾	9	182

سورة الأعراف

47	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾	58	370
48	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ﴾	59	94
49	﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ﴾	60	107
50	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾	61	89،108

51	﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾	62	108
52	﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾	63	108،137،141،144،145
53	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ﴾	65	133،134،141،152
54	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	66	109،112،143،152
55	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾	67	144
56	﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ﴾	68	144
57	﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾	69	108،137،41،144،145
58	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ﴾	70	136، 145
59	﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	71	136،154،145
60	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ﴾	73	167،168،171،185
61	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾	74	158،171،186،190
62	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	75	55،184،399
63	﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ﴾	76	55،184
64	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾	78	61
65	﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾	79	56،61
66	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾	80	57،197،202
67	﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ﴾	81	57،197
68	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ﴾	85	60،196
69	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	88	55،184،399

70	﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا﴾	89	228
71	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾	91	61
72	﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ﴾	93	56،61
73	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا﴾	96	135
74	﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾	108	68،272،274،309
75	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى﴾	127	69
76	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ﴾	130	70،310
77	﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾	131	310
78	﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾	132	311
79	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ﴾	133	70،133
80	﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى﴾	134	312
81	﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ﴾	135	312
82	﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ﴾	136	312
83	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا﴾	138	71،283
84	﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ﴾	139	71،283،268
85	﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾	140	71،283،268
86	﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾	141	71،283
87	﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾	142	72

88	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾	143	72،305
89	﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾	144	72،305
90	﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾	145	72
91	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾	146	72
92	﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	191	355
93	﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ﴾	195	355

سورة الأنفال

94	﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ﴾	25	371

سورة يونس

95	﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	6	377
96	﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾	83	69،70
97	﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ ﴾	84	250
98	﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾	85	95
99	﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	86	95
100	﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾	88	70
101	﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾	89	70
102	﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ﴾	92	71،259
103	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأرض﴾	99	97

سورة هود

104	﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	3	134،153
105	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾	25	86،94
106	﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ﴾	26	86،94،112
107	﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	27	50،114
108	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾	28	50،105،113، 143،152
109	﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾	29	50،109،113
110	﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾	30	113،177،186
111	﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾	31	113/،114،109
112	﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾	32	51،91،110،114
113	﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾	33	91،110،114
114	﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ﴾	34	91،110،114
115	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾	35	91،114
116	﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ﴾	36	51،94،95
117	﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾	37	109
118	﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾	38	91،109،115
119	﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾	39	91،109،115

120	﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	40	51
121	﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ﴾	41	51،92
122	﴿وهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾	42	51،85،116
123	﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾	43	51،85،116
124	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾	44	52
125	﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ﴾	45	52،117
126	﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾	46	52،117
127	قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾	47	52،117
128	﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾	48	52،118
129	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾	50	53،134،141،152
130	﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	51	142،153
131	﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾	52	134،153،402
132	﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾	53	146،154،162
133	﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا﴾	54	146،147،154
134	مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ﴾	55	147،154
135	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ﴾	57	149
136	﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾	58	54
137	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾	61	54،171،185
138	﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا﴾	62	179،186

139	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾	63	109،112،186
140	﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾	64	169،186،189،190
141	﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾	65	56،190
142	﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾	68	61
143	﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾	78	54
144	﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ﴾	79	54
145	﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي﴾	80	54
146	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾	82	54،387
147	﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ﴾	83	54،387
148	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	84	60،196
149	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ﴾	87	60
150	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾	88	109،112،186
151	﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	90	217
152	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا﴾	91	230
153	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ﴾	92	235
154	﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾	93	61
155	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾	94	61
156	﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا﴾	95	61
157	﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا﴾	114	39

158	﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾	120	44

سورة يوسف

159	﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾	111	7

سورة إبراهيم

160	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾	7	247
161	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	32	341
162	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾	33	341
163	﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾	34	341

سورة الحجر

164	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	9	379
165	﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾	65	59
166	﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾	66	59
167	﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾	78	214
168	﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾	79	214
169	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ﴾	94	77
170	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	95	77

سورة النحل

171	﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	20	125

سورة الإسراء

172	﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾	1	380
173	﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾	3	49
174	﴿إِنَّ الۡمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخۡوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾	27	194،334
175	﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾	42	354
176	﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾	49	357
177	﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾	50	357
178	﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ﴾	51	357
179	﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ﴾	90	362
180	﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ﴾	91	362
181	﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ﴾	92	362
182	﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾	93	362
183	﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنۡ يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ﴾	94	150
184	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا موسى تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ﴾	101	308

سورة مريم

185	﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ﴾	66	356
186	﴿أَوَ لَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ﴾	67	356

سورة طه

187	﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ موسى﴾	9	300
188	﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾	10	300
189	﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰموسى﴾	11	300
190	﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾	12	300
191	﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾	13	300
192	﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾	14	300
193	﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾	15	300
194	﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ﴾	16	300
195	﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰموسى﴾	17	301
196	﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا﴾	18	301
197	﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰموسى﴾	19	301
198	﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾	20	301
199	﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا﴾	21	301
200	﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ﴾	22	301
201	﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾	23	301
202	﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾	24	301
203	﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾	25	302
204	﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾	26	302

205	﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾	27	302
206	﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾	28	302
207	﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾	29	302
208	﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾	30	302
209	﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾	31	302
210	﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾	32	302
211	﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾	33	302
212	﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾	34	302
213	﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾	35	302
214	﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَا مُوسَى﴾	36	302،67
215	﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَى﴾	37	302،257
216	﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَا إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾	38	302،257
217	﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ﴾	39	302،257
218	﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾	39	302،257
219	﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ﴾	40	302،257
220	﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾	41	302،257
221	﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي﴾	42	302
222	﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾	43	302
223	﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾	44	302

224	﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ﴾	45	302
225	﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ﴾	46	302
226	﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾	47	302
227	﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾	47	296
228	﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ﴾	48	302
229	﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰموسى﴾	49	257
230	﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾	50	257
231	﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾	51	257
232	﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾	52	257
233	﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾	53	258
234	﴿كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾	54	258
235	﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾	59	68
236	﴿قَالَ لَهُم موسى وَيْلَكُمْ﴾	61	253
237	﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾	62	279،280
238	﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾	63	279،280
239	﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا﴾	64	279،280
240	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾	65	69،279
241	﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾	66	280
242	﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾	68	69،279،281

243	﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾	71	69،382
244	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا﴾	72	69،382
245	﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾	73	69،382
246	﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾	74	69،382
247	﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾	75	69،382
248	﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	76	69،382
249	﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾	83	268،290
250	﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِى﴾	84	268،290
251	﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾	85	268،290
252	﴿فَرَجَعَ موسى إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾	86	269
253	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾	86	73،269،290
254	﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾	88	73،291
255	﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾	89	73
256	﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾	90	292
257	﴿قَالَ يَهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ﴾	92	293
258	﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾	93	293
259	﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ﴾	94	293
260	﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِىُّ﴾	95	73،294
261	﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾	96	73،294

262	﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾	97	73،294
263	﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾	97	320
264	﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾	98	251،297،320،298

سورة الأنبياء

265	﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾	16	377
266	﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾	17	377
267	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	22	354
268	﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾	23	354
269	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾	25	196
270	﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ﴾	26	359
271	﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾	29	359
272	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾	30	383
273	﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾	35	163
274	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ﴾	98	358
275	﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾	99	358
276	﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾	100	358
278	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾	101	358،359
279	﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ﴾	102	358،359

سورة الحج

280	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾	39	79

سورة المؤمنون

281	﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾	27	127
282	﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾	28	100
283	﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ﴾	29	100
284	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	33	150
285	﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ﴾	34	150
286	﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾	81	356
287	﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾	82	356
288	﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾	83	356
289	﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾	91	354

سورة الشعراء

290	﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ﴾	16	271
291	﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	17	271
292	﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ﴾	18	67،271
293	﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾	19	67،271
294	﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾	20	67،271

295	﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾	21	67،271
296	﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾	22	67،271
297	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	23	68،272،273
298	﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	24	68،272،273
299	﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾	25	68،272
300	﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	26	68،272،273
301	﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ﴾	27	68،272،274
302	﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾	28	68،272،274
303	﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى﴾	29	68،272،274
304	﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾	30	68،272،274
305	﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	31	68،272،274
306	﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾	32	68،272،275
307	﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾	33	68،272،275
308	﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ﴾	34	68،275
309	﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾	35	68،275
310	﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾	36	68،275
311	﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾	37	68،275
312	﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾	54	،259
313	﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾	55	259

314	﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾	56	259
315	﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	57	320
316	﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	58	320
317	﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	59	320
318	﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ﴾	61	71،259،312
319	﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾	62	71،259،312
320	﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ موسى أَنِ ٱضْرِب﴾	63	71،259،312
321	﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾	119	129
322	﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	125	195
323	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	126	195
324	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾	128	158،153
325	﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾	129	153،159
326	﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾	130	53،153،159
327	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	131	53،135،138،153
328	﴿وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾	132	153،138،135
329	﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾	133	153،138،135
330	﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	134	153،138،135
331	﴿إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ﴾	135	133،138،153
332	﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ﴾	136	153،138،160

333	﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾	137	153،138،160
334	﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾	138	153،160
335	﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ﴾	142	177،201،168
336	﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	143	168،
337	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	144	168،
338	﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾	146	177،171
339	﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	147	171
340	﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾	148	171
341	﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾	149	171،173
342	﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾	151	181
343	﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	152	181
344	﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾	153	56،174،181
345	﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ﴾	154	56،174،181
346	(قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ﴾	155	189
347	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾	160	194،196
348	﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	161	194،196،206
349	﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	162	196،206
350	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	163	196،206
351	﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾	164	196،206

352	﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	165	98،202
353	﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾	166	98،202
354	﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَلُوطُ﴾	167	203
355	﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾	168	204،207
356	﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾	169	204،207
357	﴿إذ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	177	223
358	﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ﴾	181	215
359	﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ	182	215
360	﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾	183	61،215
361	﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾	184	221
362	﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾	185	227
363	﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ﴾	186	227
364	﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	187	227
365	﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	188	227
366	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	214	326

سورة النمل

367	﴿وَأَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا﴾	10	301
368	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾	46	168،178

369	﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾	47	183
370	﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾	48	181
371	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ﴾	54	202
372	أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً	55	202
373	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا﴾	56	197،203
374	﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	60	375
375	﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ﴾	61	375
376	﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾	62	375
377	﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ﴾	63	375
378	﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾	64	375
379	﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾	88	377

سورة القصص

380	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	4	63،254
381	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾	7	63،255
382	﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾	8	63،255
383	﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي﴾	9	63،255
384	﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ﴾	11	63
385	﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾	12	256
386	﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾	13	256

387	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ﴾	15	64،248
388	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾	16	64،248
389	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فلَنْ﴾	17	64،248
390	﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾	18	64
391	﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي﴾	19	64
392	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾	20	65
393	﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ﴾	21	65
394	﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ﴾	22	65
395	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ﴾	23	65
396	﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾	24	65
397	﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى﴾	25	65
398	﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾	26	66
399	﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى﴾	27	66
400	﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾	28	66
401	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾	30	67
402	﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾	31	67
403	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ﴾	38	273
404	﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ﴾	71	342
405	﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ﴾	72	342

406	﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾	73	342

سورة العنكبوت

407	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	7	332
408	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ﴾	14	94
409	﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾	15	136
410	﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾	26	57
411	﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ﴾	29	168
412	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	36	196،213،216
413	﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ﴾	40	388
414	﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾	43	368

سورة الروم

415	﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾	50	357

سورة لقمان

416	﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ﴾	11	377

سورة فاطر

417	﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾	9	357

سورة الصافات

418	﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾	137	59
419	﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	138	59

سورة الزمر

420	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾	65	333

سورة غافر

421	﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ﴾	4	107
422	﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ﴾	57	123،357

سورة فصلت

423	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾	13	150
424	﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾	14	150
425	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	15	134،160،162
426	﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ﴾	39	351

سورة الزخرف

427	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	9	357
428	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ﴾	57	359
429	﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾	58	359

430	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾	59	359
431	﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾	60	359
432	﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾	61	359

سورة الدخان

434	﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	25	320
435	﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	26	320
436	﴿وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾	27	320
437	﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾	28	320
438	﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾	29	320

سورة الأحقاف

439	﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾	21	53
440	﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾	24	54
441	﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا﴾	25	54

سورة الحجرات

442	﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾	12	335

سورة ق

443	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾	6	376
444	﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾	7	376
445	﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾	8	376
446	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا﴾	9	376
447	﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾	10	376
448	﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾	11	376

سورة القمر

449	﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾	1	382
450	﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا ﴾	2	382
451	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾	11	129
452	﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾	12	129
453	﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾	13	129
454	﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ﴾	14	129
455	﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾	29	170،190
456	﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	30	170،190
457	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾	31	170،190
458	﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾	36	198

459	﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا﴾	37	55،210
460	﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرّ﴾	38	210
461	﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	39	210

سورة الواقعة

462	﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾	63	343
463	﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾	64	343
464	﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ﴾	65	343
465	﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾	66	343
466	﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾	67	343
467	﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾	68	343
468	﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾	69	343
469	﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾	70	343
470	﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾	71	343
471	﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ﴾	72	343
472	﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾	73	343

سورة الحشر

473	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	2	387
474	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ﴾	21	368

سورة الصف

475	﴿وَإِذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ﴾	5	246

سورة المنافقون

476	﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾	8	151

سورة التغابن

477	﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ﴾	7	356

سورة التحريم

478	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾	10	52،58

سورة الحاقة

479	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾	6	54
480	﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ﴾	7	54
481	﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ﴾	8	54

سورة نوح

482	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾	1	94
483	﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾	2	90
484	﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾	3	90

485	﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾	4	90
486	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾	10	92،121
487	﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾	11	121،122،134،153
488	﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾	12	92،121،122
489	﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وقارا﴾	13	98،99،105،123
490	﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾	14	99،105،123
491	﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ﴾	15	99،106
492	﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾	16	99،106،124
493	﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	17	99،124
494	﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ﴾	18	125 ،99،124
495	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾	19	99،100،125
496	﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾	20	99،100،125
497	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾	26	51،94
498	﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾	27	51،94
499	﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ﴾	28	86،87

سورة المدثر

500	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾	1	77
501	﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾	2	77

502	﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾	3	77
503	﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	4	77
504	﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	5	77
505	﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾	6	77
506	﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	7	77

سورة المرسلات

507	﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾	39	147

سورة النازعات

508	﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾	18	246،266،303
509	﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾	19	246،266،303
510	﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾	25	387
511	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾	26	387

سورة الشمس

512	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾	11	56
513	﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾	12	56
514	﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ﴾	13	56،169
515	﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾	14	56،170

516	﴿ولَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾	15	56،170

سورة العلق

517	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾	1	77
518	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾	2	77
519	﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾	3	77
520	﴿الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾	4	77
521	﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	5	77

ثانيا/ فهرس أطراف الحديث

م	طرف الحديث	ورود الحديث	رقم الصفحة
1	(أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)	مسلم	335
2	(أتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناءٍ)	البخاري	383
3	(أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه)	البخاري ومسلم	332
4	(أحب الكلام إلى الله تعالى أربع...)	مسلم	345
5	(اجتنبوا السبع الموبقات.....)	البخاري ومسلم	334
6	(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء)	البخاري ومسلم	215
7	(أفلا أكون عبدا شكورا)	البخاري	384
8	(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ..)	البخاري ومسلم	333
9	(الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي)	البخاري	345
10	(الطهور شطر الإيمان، والحمد لله)	مسلم	345
11	(اللهم! أكثر ماله وولده)	مسلم	327
12	(اللهم أنج سلمة بن هشام)	البخاري	95
13	(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك)	مسلم	346
14	(اللهم علِّمْه الحكمة)	مسلم	328
15	(اللهُمَّ فقِّهْه في الدين)	البخاري	328
16	(اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب)	البخاري	96
17	(أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية)	البخاري	382
18	(إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال)	مسلم	334
19	(إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة)	مسلم	343
20	(أن امرأة أتت رسول الله فقالت....)	مسلم	351
21	(أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي ..)	البخاري	351
22	(أن رجلا سأل النبي فأعطاه غنما)	مسلم	325

23	(أن رسول الله رأى خاتما من ذهب)	مسلم	386
24	(أن رسول الله لما قدم مكة، أبى أن يدخل)	البخاري	386
25	(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه)	مسلم	336
26	(أن ناسا من أصحاب النبي قالوا)	مسلم	352
27	(انشق القمر على عهد رسول الله فرقتين)	البخاري	383
28	(انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم)	البخاري ومسلم	331
29	(أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية)	البخاري	389
30	(إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها)	البخاري	336
31	(إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت)	البخاري	329
32	(أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل)	أبو داوود	327
33	(بينما رسول الله يصلي عند البيت)	البخاري ومسلم	78
34	(بينما نحن جلوس مع النبي في المسجد)	البخاري	366
35	(جاء رجل إلى رسول الله من أهل نجد)	البخاري	365
36	(جاء رجل من بني فزارة إلى النبي)	البخاري ومسلم	360
37	(دخلت امرأة النار في هرة ربطتها)	البخاري ومسلم	340
38	(دخل النبي مكة يوم الفتح، وحول البيت)	البخاري	385
39	(دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء)	البخاري	337
40	(ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض)	مسلم	346
41	(شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات)	الترمذي	40
42	(صارت الأوثان التي كانت في قوم)	البخاري	49
43	(صلوا كما رأيتموني أصلي)	البخاري	384
44	(عطش الناس يوم الحديبية)	البخاري	383
45	(فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة)	البخاري ومسلم	381
46	(فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب)	البخاري ومسلم	75

47	(فوالله لا الفقر أخشى عليكم)	البخاري	388
48	(قسم النبي قسمة كبعض ما كان يقسم)	البخاري	328
49	(كان غلام يهودي يخدم النبي فمرض)	البخاري	330
50	(كنت أمشي مع رسول الله وعليه برد)	البخاري ومسلم	337
51	(كان في بني إسرائيل رجل قتل)	البخاري ومسلم	339
52	(لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه)	البخاري ومسلم	340
53	(لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين)	البخاري ومسلم	388
54	(لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري)	مسلم	385
55	(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس)	البخاري	343
56	(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي)	البخاري ومسلم	164،240،378
57	(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها)	البخاري	370
58	(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن)	البخاري	372
59	(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده)	مسلم	385
60	(من سبح الله في دبر كل صلاة)	مسلم	345
61	(من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ)	أحمد	329
62	(ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا)	البخاري	96
63	(يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم)	مسلم	326
64	(يرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن)	البخاري ومسلم	208

ثالثا/ فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العلم	رقم الصفحة
1	أبو بكر بن العربي	96
2	ابن حجر العسقلاني	164
3	بدر الدين العيني	372
4	سيد قطب إبراهيم	45
5	زكريا بن محمد الأنصاري	162
6	عبد الرحمن السيوطي	40
7	محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)	368
8	محمد الطاهر بن عاشور	151
9	محمد متولي الشعراوي	163
10	مناع خليل القطان	46
11	يحيى بن شرف النووي	106
12	يوسف القرضاوي	199

رابعا / فهرس المراجع

- **القرآن الكريم كتاب الله عز وجل**

1- **إتقان. الإتقان في علوم القرآن،** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: 911هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394 هـ / 1974 م

2- **أحكام القرآن،** لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (ت: 543 هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.

3- **أدب الأنبياء مع الخلق في القرآن الكريم،** لعبد الله الغامدي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة التفسير في العام الجامعي: 1429 هـ – 1430 هـ، والرسالة لم تتول طبعها دار نشر.

4- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،** لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: 982 هـ)، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

5- **أزمة العقل المسلم،** المؤلف: لعبد الحميد أحمد أبو سليمان، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية (1412هـ -1992م)

6- **أصول الدعوة وطرقها** 3، من مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

7- **أطلس القرآن** لشوقي أبو خليل، (ت: 1431 هـ)، ط. دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الثانية (1423 هـ - 2003م)

8- **أعلام.** الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (ت: 1396هـ)، ط دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر مايو 2002 م

9 -بداية. البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت: 774هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م.

10 -بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: 1416 هـ - 1996 م

11- **تبيان. التبيان في أيمان القرآن،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، بتحقيق عبد الله بن سالم البطاطي، ط دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م.

12- **تحرير. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،** لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر -1974م، تونس 1984 هـ.

13- **تصوير. التصوير الفني في القرآن،** لسيد قطب إبراهيم (ت: 1385هـ)، ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة عام 2004م

14- **تعريفات. التعريفات،** لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (ت: 531هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الطباعة: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م

15- **تفسير. التفسير الوسيط للقرآن الكريم،** لمجموعة من العلماء بإشراف البحوث الإسلامية مجمع بالأزهر، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، (1393 هـ - 1973) إلى (1414هـ -1993م)

16- **تفسير. التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمحمد سيد طنطاوي، (ت: 1431هـ)، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى (1997 ،1998م.)

17- **تفسير. التفسير الوسيط**، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، (ت: 1436هـ)، ط. دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى - 1422 هـ.

18- **تفسير القرآن العظيم**، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م

19- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت: 1205هـ)، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت بدون تاريخ طباعة.

20- **تفسير سورة الحجر**، ليوسف القرضاوي (ت: 1444هـ)، الناشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى (1433هـ- 2012)

21- **تهذيب الأسماء واللغات**، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت: 676هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

22- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: 1376هـ)، ط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

23- **جامع. الجامع لأحكام القرآن**، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.

24- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، (ت: 310هـ)، ط. دار هجر الطبعة: الأولى، 2001م .

25- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة – الكويت الطبعة: الثانية، 1407هـ – م1987.

26- **حوار. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ليحيى زمزمي، ط دار التربية والتراث مكة المكرمة، ودار رمادي للنشر بالدمام الطبعة الأولى 1994م.

27- **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة**، ليوسف عبد الله القرضاوي، (ت: 1444 هـ)، ط. دار الشروق الطبعة الأولى 1424 هـ - 2004م

28- **حلال. الحلال والحرام**، ليوسف القرضاوي (ت: 1444 هـ)، ط مكتبة وهبة، الطبعة الثانية والعشرون (1418 هـ - 1997)

29- **رحيق. الرحيق المختوم**، لصفي الرحمن المباركفوري، ط. دار الوفاء الطبعة العشرون 2009.

30- **خصائص. الخصائص العامة للإسلام**، ليوسف القرضاوي، (ت: 1444 هـ)، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (1404 هـ -1983م)

31- **ديباج. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، (ت: 799 هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

32- **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، لمحمد ضياء الأعظمي، ط مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية 2003م

33- **دعوة الرسل عليهم السلام**، لأحمد غلوش، (ت: 1396 هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1423ه هـ -2002م.

34- **ذيل طبقات الحنابلة،** لابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الحنبلي، (ت: 795 هـ)، تصحيح: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1732هـ - 1952م.

35- **روح. الروح،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751 هـ) ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

36- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة:الأولى، 1415 هـ.

37- **زهرة التفاسير،** لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (ت: 1394 هـ)، دار الطباعة: دار النشر: دار الفكر العربي

38- **سيرة. السيرة النبوية،** لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، (ت: 213 هـ)، بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة.

39- **سنن أبي داوود،** لأبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، (ت: 275 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون تاريخ طباعة.

40- **سنن الترمذي،** لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت: 279 هـ)، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت طبعة 1998م.

41- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، (ت: 1089 هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق– بيروت، الطبعة: الأولى (1406 هـ - 1986 م)

42- **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: 256 هـ)، بتحقيق د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م

43- **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: 261 هـ)، بتحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري - وآخرون، الناشر: دار الطباعة العامرة - تركيا عام النشر: 1334 هـ.

44- **صحيح. الصحيح المسند من أسباب النزول**، لمقبل بن هادي الوادعي، (ت: 1422 هـ)، ط مكتبة صنعاء الأثرية الطبعة الثانية1425ه، 2004م

45- **صحاح. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: 393 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

46- **ضوء. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، (ت: 902 هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، بدون تاريخ نشر.

47- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، (ت: 771 هـ)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413هـ.

48- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت: 751 هـ)، حققه: محمد أجمل الإصلاحي وآخرون، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)

49- **عبرة. العبرة من قصة موسى -عليه السلام-**، لمحمد خيري عدوي، وهو في الأصل رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة 1980،1979م.

50- **علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»**، لأحمد بن مصطفى المراغي ط دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الثالثة 1993م.

51- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لبدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، (ت: 855 هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي وصورتها دور أخرى: مثل (دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) – بيروت.

52- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت: 852 هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية – مصر الطبعة: «السلفية الأولى»، 1380 هـ - 1390 هـ.

53- **فتح الرحمن بكشف ما التبس من القرآن**، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري، (ت: 926 هـ)، تحقيق الدكتور محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم بيروت 1983م.

54- **فتح القدير**، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: 1250 هـ)، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

55- **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، (ت: 1385 هـ)، ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة 1992

56- **قصص الأنبياء**، لعبد الوهاب النجار (ت: 1862 هـ)، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان الطبعة الأولى(2005-1425)

57- **قاموس. القاموس المحيط**، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ت: 1817 هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط مكتبة الرسالة، الطبعة الثامنة (1246ه -2005)

58- **قدوة. القدوة مبادئ ونماذج**، لصالح بن عبد الله بن حميد، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

59- **قصة. القصة في القرآن**، لمحمد سيد طنطاوي، (ت: 1431 هـ)، ط. نهضة مصر، الطبعة الأولى 1996م

60- **قصص. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، لصلاح الخالدي (ت: 1443هـ)، ط دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1998م

61- **كشاف. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، (ت: 538 هـ)، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة 1407 هـ - 1987 م.

62- **لباب التأويل في معاني التنزيل** لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741 هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ

63- **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، (ت: 711هـ)، ط دار المعارف.

64- **محرر. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - 1422هـ

65- **مدخل. المدخل إلى علم الدعوة**، لمحمد أبو الفتح البيانوني، (ت: 1396هـ)، ط. الشؤون الإسلامية بقطر الطبعة الرابعة 1997 م.

66- **مستفاد. المستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة**، لعبد الكريم زيدان، (ت: 1435هـ)، ط الرسالة الطبعة الأولى 1998.

67- **معجم. المعجم الوسيط**، الصادر من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة (1425هـ-2004)

68- **مفردات. المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: 502هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - 1412 هـ

69- **منهاج. المنهاج شرح صحيح مسلم** بن الحجاج لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392هـ.

70- **مواهب. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، (ت: 923هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر

71- **موسوعة. الموسوعة الفقهية الكويتية**، الصادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)

72- **مباحث في علوم القرآن**، لمناع القطان، (ت: 1420هـ)، ط مكتبة وهبة الطبعة الحادية عشرة عام 2000م.

73- **مجموع الفتاوى**، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، (ت: 728هـ)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية عام النشر: 1425 هـ - 2004 م.

74- **مدارج السالكين في منازل السائرين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وآخرون. الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الثانية، 1441 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)

75- **مرشد الدعاة، لمحمد نمر الخطيب،** ط دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الأولى، 1401هـ / 1981م

76- **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** لأحمد بن محمد بن حنبل، (ت: 241هـ)، بتحقيق شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

77- **معارج التفكر ودقائق التدبر،** لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ت: 1425هـ)، ط دار القلم – دمشق الطبعة الأولى 2006م.

78- **معالم التنزيل في تفسير القرآن،** لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، (ت: 516هـ)، بتحقيق عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ.

79- **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،** لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: 626هـ)، بتحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م

80- **معجم البلدان،** لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: 626هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية 1995م

81- **معجم الفروق اللغوية،** لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

82- **معجم مقاييس اللغة،** لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: 395هـ)، أبو الحسين تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: (1399هـ - 1979م).

83- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (ت: 606هـ)، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ

84- **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة،** لعبد الله العقيل، ط دار البشير الطبعة السابعة 2008م.

85- **مناهج البحث العلمي،** لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الثالثة 1977م

86- **من بلاغة القرآن المعاني -البيان - البديع"،** لمحمد شعبان علوان، والدكتور نعمان شعبان علوان، ط الدار العربية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1998م

87- **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم،** لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة.

88- **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة،** لعلي محفوظ، (ت: 1361هـ)، طبعة دار الاعتصام الطبعة التاسعة 1399 هـ - 1979م.

89- **وافي. الوافي بالوفيات،** لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، (ت: 764هـ)، بتحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر: 1420هـ- 2000م.

90- **وجيز. الوجيز في أصول الفقه،** لوهبة الزحيلي (ت: 1436هـ)، ط دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، إعادة الطبعة الأولى1419هـ، 1999م

****

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	الصفحة
الإهداء	2
شكر وتقدير	3
ملخص الرسالة بالعربية	4
Summary of the thesis	5
المقدمة	7
الفصل التمهيدي	35
المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث	36
المبحث الثاني: التعريف بالسورة وفضلها وآياتها ووقت نزولها	39
المبحث الثالث: استعراض السورة وقضاياها الرئيسة	41
المبحث الرابع: بيان لأهمية القصص القرآني من خلال سورة هود، والحكمة من تكرار القصص في القرآن الكريم.	43
المبحث الخامس: تعريف موجزٌ بالرسل الواردين في السورة	48
1- نوح - عليه السلام-	49
2- هود - عليه السلام-	53
3- صالح- عليه السلام-	55
4- لوط- عليه السلام-	57
5- شعيب- عليه السلام-	60
6- موسى- عليه السلام-	62
7-خاتم الأنبياء والمرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم-	76
الباب الأول: المناهج الدعوية في رسالة نوح -عليه السلام-	81

الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة نوح-عليه السلام-	82
المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة	83
المطلب الأول: تعريف معنى الرفق	84
المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)	84
المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوهم	85
المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يا بني)	85
المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه	86
المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.	86
المبحث الثاني/ الترغيب	87
المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب	88
المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق	88
المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار	92
المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة	92
المبحث الثالث/ الترهيب	93
المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب	93
المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله	94
المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك	94
المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله	97
المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله.	97
المطلب الثاني: نعمة الخلق أطوارا	98
المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات والأرض والشمس والقمر	99
المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوطة والسبل الفجاج	99
المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة.	100

الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة نوح-عليه السلام-	101
تعريف المنهج العقلي لغة واصطلاحا	102
المبحث الأول/ الاستفهام	103
المطلب الأول: تعريف الاستفهام	103
المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم	104
المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم	105
المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون لله وقارا	105
المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض	106
المبحث الثاني/ الجدال	106
المطلب الأول: تعريف الجدال	106
المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين	107
المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم	109
المبحث الثالث/ الحوار	111
المطلب الأول: تعريف الحوار	111
المطلب الثاني: حواره مع قومه	112
المطلب الثالث: حواره مع ولده	115
المطلب الرابع: حواره مع رب العالمين	117
الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة نوح-عليه السلام-	119
تعريف المنهج الحسي لغة واصطلاحا	120
المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم	121
المطلب الأول: تعريف الاستغفار	121
المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار	121
المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية	122

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور	123
المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض	123
المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر	124
المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور	124
المطلب الخامس: آية بسط الأرض	125
المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون)	125
المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة	126
المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه	126
المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين	127
المطلب الرابع: وفار التنور	127
المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال	129
الباب الثاني: المناهج الدعوية في رسالة هود -عليه السلام-	130
الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة هود-عليه السلام-	131
المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة	132
المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم	132
المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)	133
المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه	133
المبحث الثاني/ الترغيب	133
المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله	134
المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار	134
المبحث الثالث/ الترهيب	135
المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم	135

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم	136
المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله	137
المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح	137
المطلب الثاني: التذكير بأن الله أمدهم بأنعام وبنين وجنات وعيون	138
الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة هود-عليه السلام-	139
المبحث الأول/ الاستفهام	140
المطلب الأول: أفلا تتقون؟	141
المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم	141
المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لآبائهم	141
المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم، وأنه لا يريد لهم إلا الخير	142
المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء يبنونه	142
المبحث الثاني/ الجدال	143
المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب	143
المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل	145
المطلب الثالث: شبهة أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة	146
المطلب الرابع: شبهة أن رسولهم بشر وليس من الملائكة	150
المبحث الثالث/ الحوار	152
المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام	152
المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار	154

الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة هود-عليه السلام-	156
المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين	157
المطلب الأول: تعريف الاعتبار	157
المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين	158
المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف والطغيان	158
المطلب الأول: العبث في البناء رغبة في التفاخر	158
المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا	159
المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم	159
المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟	161
المطلب الأول: تعريف المعجزة	161
المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام-	161
الباب الثالث: المناهج الدعوية في رسالة صالح -عليه السلام-	165
الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة صالح-عليه السلام-	166
المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة	167
المبحث الثاني / الترغيب	167
المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله	168
المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار	168
المبحث الثالث/ الترهيب	169
المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء	169
المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد عقر الناقة	170
المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله	170

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد	171
المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد	171
المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض	172
المطلب الرابع: نعمة الأمن والإمداد بالماء العذب والزروع والثمار	173
الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة صالح-عليه السلام-	175
المبحث الأول/ الاستفهام	176
المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.	177
المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة	177
المطلب الثالث: انكاره عليهم تمتعهم بالنعم وكفرهم بالله	177
المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله	178
المبحث الثاني/ الجدال	178
المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم	179
المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين	181
المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كذاب أشر	182
المطلب الرابع: التشاؤم من نبيهم صالح-عليه السلام-	183
المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم.	183
المبحث الثالث/ الحوار	185
المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام	185
المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار	187
الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة صالح-عليه السلام-	188
المبحث الأول/ معجزة الناقة	189

المبحث الثاني/ الاعتبار بالسابقين	190
الباب الرابع: المناهج الدعوية في رسالة لوط -عليه السلام-	191
الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة لوط -عليه السلام-	192
المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة	193
المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم)	193
المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط)	193
المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي)	194
المبحث الثاني/ الترغيب	195
المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم	195
المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟	196
المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره من الأنبياء: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)؟	197
المبحث الثالث/ الترهيب	197
المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله	198
الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة لوط -عليه السلام-	200
المبحث الأول/ الاستفهام	201
المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله	201
المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة	202
المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه	203
المبحث الثاني/ الجدال	203
المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: "إنهم أناس يتطهرون"	203
المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء	204
المبحث الثالث/ الحوار	206

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط – عليه السلام	206
المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار	208
الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة لوط -عليه السلام-	209
المبحث الأول / هل كان للوط – عليه السلام – معجزة؟	210
المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه	210
الباب الخامس: المناهج الدعوية في رسالة شعيب -عليه السلام-	211
الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة شعيب -عليه السلام-	212
المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة	213
المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم	213
المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)	215
المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه	216
المبحث الثاني/ الترغيب	216
المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله	216
المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة	217
المبحث الثالث/ الترهيب	218
المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط	218
المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم	219
المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله	220
المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم	220
المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم	221
المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم	221

الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة شعيب-عليه السلام-	222
المبحث الأول / الاستفهام	223
المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.	223
المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟	223
المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟	224
المبحث الثاني/ الجدال	225
المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد والأمانة وعدم الغش	225
المطلب الثاني: ادعاؤهم أن نبيهم من المسحرين وأنه بشر مثلهم	227
المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر والتهديد بالنفي	228
المطلب الرابع: ادعاؤهم عدم فهم كلامه وأنه فيهم ضعيف	230
المبحث الثالث / الحوار	232
المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب – عليه السلام-	232
المطلب الثاني: التعقيب على الحوار	236
الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة شعيب-عليه السلام-	238
المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه	239
المبحث الثاني/ القدوة العملية	240
المطلب الأول: تعريف معنى القدوة.	240
المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.	241
المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين	242
الباب السادس: المناهج الدعوية في رسالة موسى -عليه السلام-	243
الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة موسى -عليه السلام-	244
المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة	245

المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية	245
المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)	246
المبحث الثاني: الترغيب	247
المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد	247
المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ	248
المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء	249
المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل	251
المبحث الثالث: الترهيب	252
المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى	252
المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا	253
المبحث الرابع: التذكير بنعم الله	254
المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بنعمه عليه	254
المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم	257
المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم	258
الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة موسى -عليه السلام-	265
المبحث الأول/ الاستفهام	266
المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون	266
المطلب الثاني: إنكاره على قومه لطلبهم طعاما غير المن والسلوى	267
المطلب الثالث: إنكاره على قومه في طلبهم تقليد عبدة العجل	268
المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل	268
المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل	269

المطلب السادس: إنكاره على السامري إيقاع قومه في الشرك	269
المبحث الثاني/ الجدال	270
المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون	270
المطلب الثاني: مجادلة موسى -عليه السلام- مع السحرة	278
المطلب الثالث: مجادلة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل	283
المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل	290
المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون	292
المطلب السادس: مجادلة موسى -عليه السلام- للسامري	294
المبحث الثالث/ الحوار	299
المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس	299
المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور	304
الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة موسى -عليه السلام-	307
المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية	308
المطلب الأول: **ما حدث مع فرعون وقومه**	308
المطلب الثاني: **ما حدث من معجزات مع بني إسرائيل**	312
المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)	319
المطلب الأول: تعريف معنى المنكر.	319
المطلب الثاني: نبي الله موسى يحرق العجل.	319
المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين	320
الباب السابع: المناهج الدعوية في رسالة خاتم الأنبياء	322
الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة خاتم الأنبياء	323

المبحث الأول/ تأليف القلوب	324
المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب	325
المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال.	325
المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين.	326
المطلب الرابع: التودد إلى الناس.	327
المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء.	327
المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو.	328
المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى.	330
المبحث الثاني/ الترغيب	330
المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله	331
المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد	331
المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات	332
المبحث الثالث/ الترهيب	333
المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله	333
المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير	334
المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة	335
المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة	335
المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة	336
المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بال في المسجد	337
المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذبه من ثوبه	337
المبحث الخامس/ القصص العاطفية	338
المطلب الأول: قصة الرجل الذي قتل مئة نفس	338
المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده	340

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة	340
المبحث السادس/ التذكير بنعم الله	341
المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله	341
المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم	343
المطلب الثالث: التنبيه على عظم بعض النعم	343
المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد	344
الفصل الثاني: المنهج العقلي في خاتم الأنبياء والمرسلين	347
المبحث الأول/ أسلوب القياس	348
المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحا	349
المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم	349
المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى	350
المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم- للقياس	351
المبحث الثاني/ أسلوب الجدال	352
المطلب الأول: بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها:	353
المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة والرد عليها	358
المبحث الثالث/ أسلوب الحوار	361
المطلب الأول: حوار النبي مع المشركين	362
المطلب الثاني: حوار النبي مع أهل الكتاب	363
المطلب الثالث: حوار النبي مع أعرابي من نجد	365
المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال	367
المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحا	367
المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة	368
المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر	369

المطلب الرابع: مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ اللَّه، وَالْوَاقِعِ فيها	370
المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن	372
الفصل الثالث: المنهج الحسي في خاتم الأنبياء والمرسلين	374
المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل	375
المبحث الثاني/ المعجزات الحسية	378
المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن	378
المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج	380
المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر	382
المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء	383
المبحث الثالث/ القدوة العملية	384
المبحث الرابع/ تغير المنكر باليد	385
المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين	386
المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة	386
المطلب الثاني: حث النبي على الاعتبار بالأمم السابقة	388
الخاتمة	390
نتائج الدراسة، والتوصيات	391
فهرس الآيات القرآنية	396
فهرس الأحاديث النبوية	428
فهرس الأعلام المترجم لهم	431
فهرس المراجع	432
فهرس الموضوعات	443